أرنالدور أندريداسون

ARNALDUR INDRIÐASON

خفايا الليل

مكتبة

MYRKRIÐ VEIT

Ce que savait la nuit

رواية

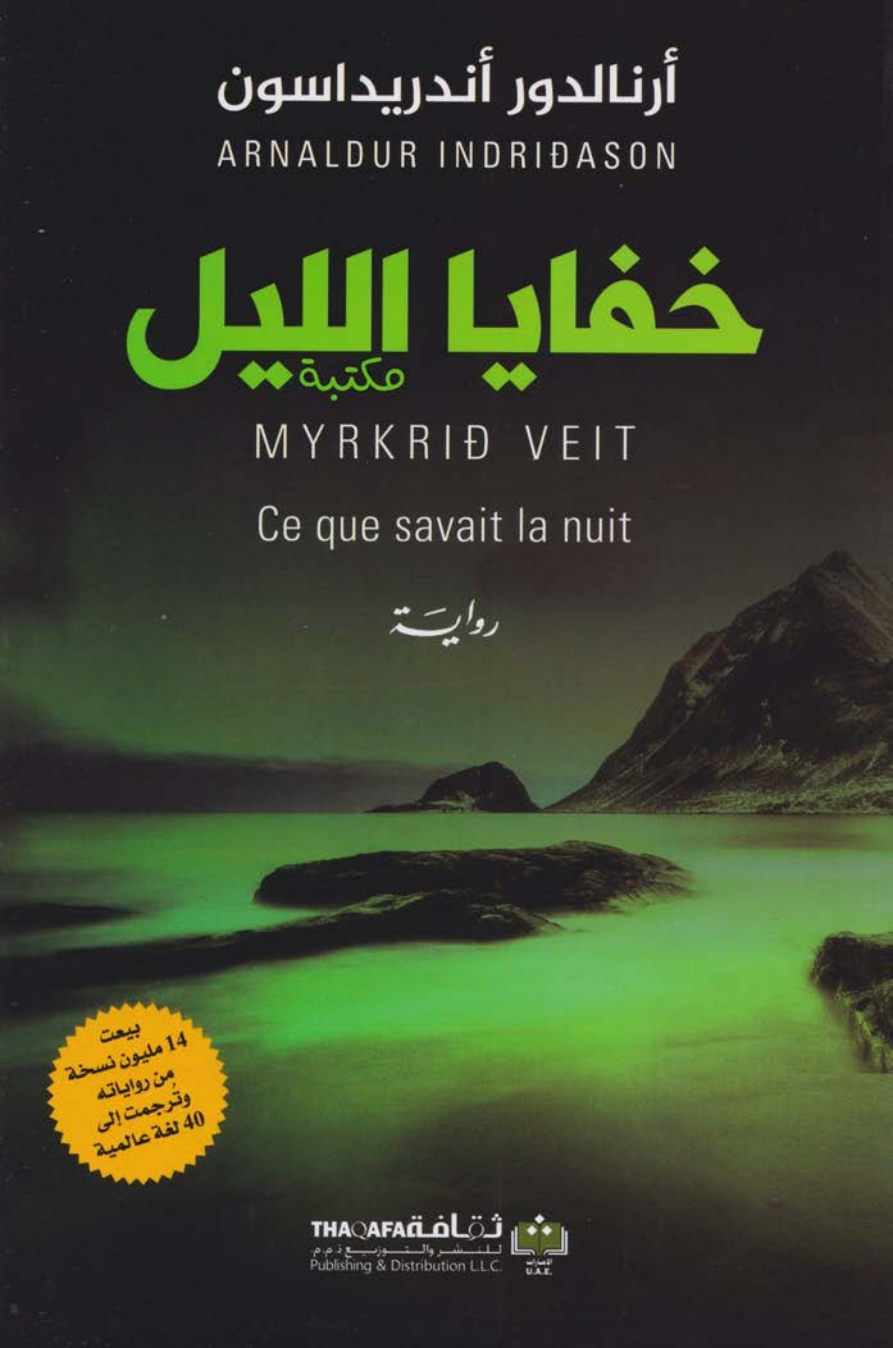

بيعت 14 مليون نسخة من رواياته وتُرجمت إلى 40 لغة عالمية

ثقافة THAQAFA
للنشر والتوزيع ذ.م.م
Publishing & Distribution L.L.C.
الإمارات U.A.E.

خفايا الليل

MYRKRIÐ VEIT

Ce que savait la nuit

يتضمن هذا الكتاب ترجمة النسخة الفرنسية
Ce Que Savait La Nuit
عن الأصل الأيسلندي
Myrkrið veit
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونيًا من الناشر
Forlagid Publishing, Reykjavik, Iceland
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين ثقافة للنشر والتوزيع ذ.م.م.
Copyright © Arnaldur Indriðason, 2017
Title of the original Icelandic edition Myrkrið veit
Published by agreement with Forlagid Publishing, www.forlagid. is
Frensh translation copyright © Éditions Mélailié, Paris, 2019
All rights reserved

Arabic Copyright © 2021 by Thaqafa Publishing and Distribution-UAE
تم ترجمة هذا الكتاب بدعم مالي من:
This Book has been translated with a financial support from
ICELANDIC LITERATURE CENTER

الطبعة الأولى: تموز/يوليو 2021 م - 1442 هـ

ردمك 978-9948-471-10-3

جميع الحقوق محفوظة للناشر

ثقافة للنشر والتوزيع ذ.م.م
THAQAFA Publishing & Distribution LLC.

كابتال تاور، مركز أبو ظبي للمعارض ADNEC
ص. ب: 27977، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة
هاتف: 6766700 (2-971+) فاكس: 6766972 (2-971+)
بيروت هاتف: 786233 (1-961+) فاكس: 786230 (1-961+)
بريد إلكتروني: smartd_1@eim.ae

telegram @soramnqraa
16 3 2023

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**

أرنالدور أندريداسون

ARNALDUR INDRIÐASON

خفايا الليل

MYRKRIÐ VEIT

Ce que savait la nuit

رواية

مكتبة | سُر مَن قرأ

t.me/soramnqraa

ترجمة

أوليغ عوكي

ثقافة للنشر والتوزيع ذ.م.م

THAQAFA Publishing & Distribution L.L.C.

يعرف الليل أشياء كثيرة،
– يزداد ذهني ثقلاً.
كثيراً ما رأيتُ الرمال السوداء
تستهلك المروج الخضراء.
في المجلَّدة، صدوع أعمق
من زئير الموت.

يوهان سيغوريونسون

1

كان الطقس رائعاً عندما جلست لتستريح قليلاً مع بقية المجموعة بعد نزهتهم الطويلة، وأخرجت وجبةً خفيفةً من حقيبة ظهرها وراحت تتأمل المُجلَّدة، ثم توقف نظرها فجأة عند المنظر الذي تراءى لها على سطحها.

بعد أن تأخَّرت قليلاً لتفهم ماهية المشهد الذي ظهر أمام عينيها، نهضت بسرعة وصرخت صرخةً زعزعت سَكينة المكان، وأجفلت السيّاح الألمان الجالسين في مجموعات صغيرة على الجليد، والذين لم يروا ما الذي يمكنه أن يزعج مرشدتهم السياحية الآيسلندية إلى هذا الحد، تلك المرأة التي في منتصف العمر والتي تحافظ على هدوئها في كل الظروف.

كانوا قد تسلَّقوا البارحة مُجلَّدة إيافيالايوكل التي أصبح البركان القابع تحتها مشهوراً منذ بضع سنوات عندما ثار نافثاً سحابة رمادٍ شلّت حركة الملاحة الجوية في أوروبا، لكن الطبقة السميكة من الجَبَث التي غطت المحيط اختفت الآن بعد أن شتَّتتها الرياح أو امتصَّتها الأرض بفعل الأمطار، واستعادت جوانب المُجلَّدة لونها الطبيعي وتعافت الطبيعة من الكارثة.

من المفترض أن تستغرق الرحلة عشرة أيام تتسلّق خلالها المجموعة أربع مُجلَّدات، وقد تركوا ريكيافيك منذ حوالي أسبوع في مركبات ملائمة للقيادة على الجليد، وراحوا يبيتون في فنادق مريحة في إقليم سودورلاند. هؤلاء السيّاح، وهم مجموعة أصدقاء من مدينة فولفسبورغ المشهورة بمَصنع السيارات الذي فيها، أشخاصٌ أغنياءٌ لا يرفضون تجربة أي شيء، ويُحضرون معهم أطعمة شهية في نزهاتهم، وعندما يعودون إلى الفندق في المساء، يُقيمون حفلة كبيرة. من الشائع أن تُنظَّم رحلات ذات مدة معقولة على المُجلَّدات، تتخلّلها فترات استراحة لتناول الطعام، وقد كانت المجموعة محظوظة جداً بالطقس الجيد، حيث الشمس تلمع في سماء صافية كل يوم من أيام سبتمبر هذا، وأمضى السيّاح وقتهم في سؤال مرشدتهم السياحية عن ظاهرة الاحتباس الحراري وعواقبها على آيسلندا. مرشدتهم

السياحية فصيحة بالألمانية كونها دَرَست الأدب في هايدلبرغ منذ عشرين سنة تقريباً، وتتحدَّث معهم بهذه اللغة حصراً، باستثناء مصطلح الاحتباس الحراري الذي نطقوه بالإنكليزية، والذي يعودون إليه بين الحين والآخر.

أخبَرتهم أن المناخ تغيَّر كثيراً في السنوات الأخيرة فأصبحت فصول الصيف أكثر حرارةً، وازداد عدد الأيام المشمسة، وهو أمر لا يشتكي منه الناس هنا. وبعد أن كان لا يمكن توقّع حال الصيف الآيسلندي، أصبح بالإمكان الآن الاتكال بشكل مؤكَّد تقريباً على أن الطقس سيبقى جيداً لعدة أيام متتالية، وحتى لعدة أسابيع متتالية. كما أصبحت فصول الشتاء ألطف رغم استمرار حلول الليل الشمالي الطويل. لكن أكثر تغيير ملموس أصاب المُجلَّدات التي راحت تنحسر بسرعة، كمُجلَّدة سنايفلزيوكل مثلاً التي لم تعد سوى ظل لما كانت عليه في السابق.

تتضمن النزهة الأخيرة في البرنامج تسلّق مُجلَّدة لانغيوكل التي فقدت عدة أمتار من سماكتها في وقت قصير جداً. ثلاثة أمتار بين عامَي 1997 و1998، حسبما قالت. كما تقلَّصت مساحتها الإجمالية بنسبة 3.5% في السنوات الأخيرة. وبما أنها نُصحَت خلال تدريبها كمرشدة سياحية بأن تستظهر بعض الأرقام، أشارت للسيّاح أيضاً أن المُجلَّدات تشكِّل 11% من مساحة آيسلندا، وكمية المياه التي فيها مرادفة لهطول الأمطار لمدة خمس وعشرين سنة.

بعد قضائهم ليلتهم في هوسافَل، انطلقوا حوالي الساعة الحادية عشرة. كانوا مجموعة لطيفة جداً في حالة بدنية جيدة، ومجهَّزين بأفضل أحذية السير والثياب الواقية، ولا شيء أفسد برنامج الرحلة، فلم يمرض أحدٌ، ولم يشتكِ أحدٌ أو يسبِّب أي إزعاج للآخرين، وبقي الجميع حريصين على الاستفادة من هذه اللحظات إلى أقصى حد ممكن. ساروا على طول المُجلَّدة لبعض الوقت قبل أن يبدأوا الصعود سيراً على الأقدام، وراح الجليد يصدر صريراً مع كل خطوة، ورأوا قنوات مياه كبيرة نوعاً ما تنساب في كل مكان على السطح. مشت المرشدة السياحية في الطليعة، وشَعَرت بالأنفاس الباردة للمدى المتجمِّد تداعب وجهها. هناك عدد لا بأس به من الناس في الأرجاء، وقد شاهدوا أشخاصاً في سيارات جِيب ودرّاجات ثلج يقودون بسرعات عالية، فسألها الألمان إن كان الآيسلنديون يحبّون

هذا النوع من النشاطات، وأخبَرتهم أنهم يحبّونها. غالباً ما يسألونها أسئلة مدهشة رغم أنها مستعدة لأي احتمال، فذات يوم على الفطور، سألوها إن كانوا يصنعون الجبن في آيسلندا.

تدرَّبت لتصبح مرشدة سياحية عندما بدأت السياحة تزدهر في البلاد، بعد أن بقيت عاطلة عن العمل لثمانية أشهر. وقد خسِرت شقتها خلال الأزمة، ولم تعد قادرةً على تسديد الفواتير، وذهَب رفيقها البنّاء ليعيش في النروج حيث لا يوجد نقص في الوظائف، وقد حلَف ألا تطأ قدماه آيسلندا مرة أخرى أبداً، هذه البلاد العَفِنة التي أفلسها مغفَّلون. سمِعت أن السياحة ستزدهر، فلم تعد عملة الكرونة تساوي شيئاً، وأصبحت آيسلندا تُعتبر رخيصةً للغرباء، لذا تسجَّلت في تلك الدورة التدريبية حيث تعلَّمت أن السيّاح يحبّون آيسلندا لمناظرها الطبيعية وهوائها النظيف وسكونها.

لكنهم لم يذكروا أبداً خلال الدروس احتمال مصادفة جثة متجمِّدة على مُجلَّدة.

تحلَّق الألمان حولها وتبِعوا نظراتها، وتوقفوا عند البقعة التي يمكن فيها رؤية وجه بدا أنه يريد الخروج من الجليد.

– ما هذا؟ سألت امرأةٌ وهي تقترب.

– هل هذا رأسٌ؟ سأل آخر.

كان الوجه مخفياً جزئياً تحت طبقة رقيقة من الثلج الناعم لم تمنع من تمييز الأنف ومَحجِرَي العينين وجزء كبير من الجبهة.

– ماذا حصل له؟ سأل سائح ثالث كان طبيباً سابقاً.

– هل هو هنا منذ فترة طويلة؟ تساءل آخر.

– عندي انطباع أنه لم يمت البارحة، ردَّ الطبيب وهو يركع.

راح يُبعد الثلج بعناية بيديه العاريتين إلى أن ظَهَر الوجه من تحت غطائه ا. ليدي.

– لا يجب أن تلمس أي شيء، حذَّرته زوجته.

– لا تقلقي، سأتوقف هنا، رَدَّ عليها ونهض.

بدا لهم وجه الرجل مثل قطعة خزفية بيضاء نصف شفافة مرسومة بعناية

وهشّة جداً بحيث يمكن أن تنكسر من أخفّ صدمة. من المستحيل تحديد منذ متى وهذا الرجل مدفون في الجليد الذي أبقى جثته سليمة بحمايتها من التحلّل. بدا في حوالي الثلاثينات من عمره، وله وجه عريض، وفم كبير، وأسنان قوية وجميلة، وأنف مستقيم، وعينان غائرتان، وشعر أشقر كثيف.

– من الأفضل أن تتصلي بالشرطة يا صغيرتي، اقترحت زوجة الطبيب وهي تنظر إلى المرشدة السياحية.

– طبعاً، رَدَّت بذهول وهي غير قادرة على رفع عينيها عن وجهه. سأتصل فوراً.

أخرجت هاتفها مطمئنةً أنه سيعمل فقد كانت قد تحقَّقت أن هذا الجزء من المُجلَّدة تغطيه شبكات الاتصالات عن بُعد، وهي تصرّ دائماً على عدم مغادرة مناطق التغطية في حال حصول شيء. أجابها مركز الطوارئ فوراً، فأبلغت العامل باكتشافها.

– نحن قريبون جداً من غايتلاندزيوكل، وضّحت له وهي تنظر إلى القمة التي سُمّي الجزء الجنوبي الغربي للمُجلَّدة على إسمها.

بينما كانت تحضِّر للرحلة، قرأت في مكان ما أنه إذا تابعت المُجلَّدة الذوبان بهذه الوتيرة فإنها ستختفي كلياً تقريباً عند مطلع القرن.

2

قرَّر أخيراً أن يخرج وهو ثمل تماماً ويواجه العاصفة الثلجية، فصديقه مفقود منذ بعض الوقت، والأرجح أنه عاد إلى منزله. كانا قد التقيا سابقاً في المقصف كالعادة، وشاهدا مباراة حماسية، ثم راح يدردش مع رجال لا يعرفهم وبقي صديقه إنغي صامتاً على عادته بعدما يحتسي الشراب، ولم يقل أي كلمة أبداً.

مُخفِضاً رأسه، أغلق سترته بإحكام مغلِّفاً جسمه الضعيف بأفضل ما يستطيع، وتقدَّم متحدّياً الرياح العاتية، وسرعان ما بدأت النُدَف تتراكم على ملابسه، وراح يرتعش ويشتم نفسه لعدم ارتدائه مئزره السميك. يغادر دفء حجرته على مضض كل صباح في الشتاء ليذهب إلى موقع عمله، لكن كوبَي قهوة وسيجارة وتلك التركيبة الزرقاء تجعل المحنة مُحتَمَلة أكثر. لم تعد الحياة معقَّدة أكثر من ذلك، وهناك مُتع بسيطة عليك أن تتعلَّم كيفية التمتّع بها. مباراة في كُرة القدم مع كوب شراب شعير منعش. كوب قهوة وسيجارة. وبذلة دافئة في الشتاء.

سار بسرعة على الرصيف، وأفكاره مشوَّشة مثل خُطاه على الثلج.

لم يتمكّن أبداً من نسيان الرجل الذي التقى به عند المشرب والذي بدا له مألوفاً منذ بداية حديثهما، ثم تعرَّف عليه بعد حين. كان الجو مظلماً ومُحاوِره يرتدي قبعة وبقي يُخفض رأسه دون أن ينظر إليه. راحا يتناقشان بشأن المباراة واكتشفا أنهما يناصران نفس الفريق، وعندما لم يعد قادراً على التحمّل أكثر، أخبَره عن تلة أوسكجوليد وسأله بكل صراحة إن كانا لم يلتقيا هناك سابقاً وإن كان لا يتذكَّره.

– لا، ردَّ الآخر وهو يرفع نظره لبرهة سريعة من تحت حافة قبعته، مما بدَّد أي أثر للشكّ لديه.

– كان ذلك أنت، أليس كذلك؟! صاح. كان ذلك أنت. ألا تتذكَّرني؟ لا يمكنني أن أصدِّق! ألم تستجوبك الشرطة أبداً؟

لم يُجبه الآخر، بل بقي مُحنياً رأسه ويتجنَّب نظراته. لكنه أصرّ على موقفه

وأخبَره أنه روى تلك القصة للشرطة منذ سنوات، لكنهم لم يصدِّقوه فقد كانوا يتلقون ملايين المعلومات المماثلة، وكان لا يزال وقتها ولداً وربما كان الأمر...

– اتركني وشأني!

– ماذا؟

– كلامك هُراء، اتركني وشأني! ردَّ الآخر وقد فَقَد أعصابه، ونهض ليخرج.

بقي لوحده مرتاباً لبضع لحظات، ثم غادر المكان مترنِّحاً والثلج يتساقط بغزارة لدرجة أنه بالكاد استطاع أن يرى من عمود إنارة إلى عمود إنارة آخر. وصل إلى شارع ليندارغاتا وهو يقول لنفسه إن عليه الذهاب إلى الشرطة فوراً. وعندما اجتاز الشارع وأوشك على الوصول إلى الرصيف المقابل، شَعَر أن خطراً وشيكاً يهدِّده، فقد أُضيئ الشارع فجأة، وفي خضمّ عويل العاصفة، سمِع هدير محرِّك يقترب بأقصى سرعة. طار جسمه عالياً في الهواء، ثم شَعَر بألم فظيع وارتطمت جمجمته بحافة الرصيف حيث بعثرت الرياح الثلج.

خفَّ الهدير ثم تلاشى تماماً، وحل محله عويل العاصفة العاتية التي تسرَّبت إلى داخل سترته، ووجد نفسه مسمّراً على الأرض وكل جسمه يؤلِمه، وخاصة رأسه.

حاوَل أن يطلب النجدة، لكن لم يخرج أي صوت من فمه.

فَقَد الإحساس بالوقت، وسرعان ما أصبح لا يعي شيئاً، ولم يعد يشعر بالبرد. لقد جَعَله الشراب خَدِراً. راح يفكِّر بذلك الرجل، وبخزّانات الماء الساخن على تلة أوسكجوليد حيث كان يستمتع كثيراً، وما شهِده في طفولته.

كان متأكداً أنه محقّ، فقد رأى ذلك الرجل من قبل.

إنه هو.

لا شكّ في ذلك أبداً.

3

سمِع كونراد رنين هاتفه وفتح عينيه. على غرار أحيان كثيرة، لم يتمكّن من أن ينام، فلا الحبوب المنوِّمة نفعته، ولا شراب العنب الأحمر استطاع أن يفيده بأكثر من جعل ذهنه يشرد.

لم يستطع أن يتذكَّر أين ترَك هاتفه الخلوي، فهو يضعه عادة على منضدة سريره أو في جَيب بنطلونه. وذات مرة، بقي يبحث عنه لعدة أيام ثم عثر عليه أخيراً في صندوق سيارته. نهض وذهَب إلى غرفة الجلوس، وترَك الرنين يرشده إلى المطبخ، حيث رأى الجهاز على الطاولة. السواد حالك في الخارج، فهو الخريف.

– عذراً يا كونراد، أظن أنني أيقظتك، همَس صوتٌ أنثويٌ على الطرف الآخر للخط.

– على الإطلاق.

– أعتقد أنه من الأفضل أن تأتي إلى المُشرَحة.

– لماذا تهمسين؟

– آه، هل أهمس؟

سعَلَت محدِّثته سڤانهيلدور الطبيبة الشرعية في المستشفى الوطني.

– ألم تسمع نشرة الأخبار؟ تساءلت.

– لا، رَدَّ كونراد وهو يخرج من خَدَره، بعد أن كان قد أمضى أمسيته غارقاً في أوراق أبيه القديمة، وهو أمر معتاد أن يفعله عندما يصيبه الأرق.

– أحضَروه إلى هنا حوالي الثامنة هذا المساء، تابَعت سڤانهيلدور، بعد أن عثروا عليه.

– عثروا عليه؟ مَن هو؟ ومَن عثر على مَن؟

– سيّاح ألمان في نزهة على لانغيوكل. لقد لفظت المُجلَّدة الجثة.

– لانغيوكل؟

– إنه سيغورڤن يا كونراد. لقد عثر عليه الألمان.

– سيغورڤن؟

– نعم.

– لكن... كيف يُعقَل ذلك؟!

– نعم، من الصعب تصديق الأمر بعد كل هذه السنوات يا كونراد. قلتُ لنفسي إنك قد تريد رؤيته.

– هل أنتِ متأكدة؟

– أعرف أن المسألة مذهلة، لكنه هو بلا أدنى شكّ.

لم يعد كونراد يعرف بماذا يفكّر وقد راح صدى كلمات سڤانهيلدور يتردَّد من بعيد، كما لو أنها قادمة من حلم منسي منذ زمن طويل، وبعد أن كان قد أقنَع نفسه أخيراً أنه لن يسمع تلك الكلمات أبداً. ليس بعد كل ذلك الوقت. ليس بعد كل تلك السنوات. ومع ذلك فقد بقي دائماً ينتظر هذه المكالمة الهاتفية، وبقيت تراوده في أعماقه دائماً فكرة أن تلك الأحداث الماضية ستعاود الظهور في نهاية المطاف، عِلماً أنها لم تنتمِ إلى الماضي حقاً بما أنها رافَقته مثل ظله كل تلك السنوات. لم يعرف ماذا يقول.

– كونراد؟

– لا يمكنني تصديق ذلك. سيغورڤن؟ هل عثرنا على سيغورڤن؟ رَدَّ وهو يرتخي على كرسي في المطبخ.

– نعم، إنه هو.

– قلتِ سيّاحاً ألمانيين؟

– كانوا في نزهة على لانغيوكل. شرح العلماء على الراديو أن المُجلَّدة تقلّصت كثيراً منذ اختفاء سيغورڤن نتيجة الاحتباس الحراري. ألا تستمع إلى الأخبار أبداً؟ اعتبرتُ أنك قد تريد رؤيته قبل أن تستأنف الشرطة تحقيقاتها صباح الغد. لقد حافظ عليه الجليد في حالة جيدة جداً.

بدا كونراد مذهولاً.

– هل لا تزال معي؟

– نعم.

– لن تصدِّق عينيك!

ارتدى ملابسه وهو مستغرق في التفكير، ونظر إلى الساعة قبل أن يركب سيارته فوجد أنها الثالثة فجراً تقريباً، وراح يقود في الشوارع المهجورة لمقاطعة أوربايرـ لقد بدأت سڤانهيلدور عملها في المستشفى الوطني منذ أكثر من ثلاثين سنة، وقد تعرّفا على بعضهما منذ سنوات. شعر بالسرور من أنها حذّرته، وبقي يفكّر بالمُجلَّدة طوال الطريق، وبسيغورڤن والسنوات التي مرَّت منذ اختفائه. لقد بحثوا في الموانئ والشواطئ والكهوف والصدوع والمنازل والمركبات، لكن المُجلَّدات لم تخطر ببال أحد فكل شخص استجوبته الشرطة في ذلك الوقت لم تكن له أي علاقة للوهلة الأولى بتسلّق الجبال أو الرحلات على المُجلَّدات.

وَصَل إلى بولفار ميكلابرو دون أن يمرّ بأي سيارة. لقد انتقَل وزوجته إرنا إلى منزل مزدوج صغير في مقاطعة أوربايرـ في أوائل الثمانينات، ولم يعجبه المكان أبداً من البداية، فهو يحبّ وسط ريكيافيك، وقد أمضى طفولته في حي الظلال سكوغاهڤرفي، لكن إرنا شَعَرت بالراحة في أوربايرـ مثل إبنهما الذي أصبح يدرس في إحدى أفضل المدارس حيث أقام صداقات جديدة وابتكر كوناً مدهشاً تماماً بين تلة أرتون ووادي إيلّيدا. بقي كونراد يشعر أن الحي ناءٍ جداً ومعزول عن العالم مثل جزيرة في ضواحي ريكيافيك، مثل جزيرة يسكنها منبوذون، ولم تُعجبه ما تسمى ثقافة المتجر* التي اعتبرها الخصوصية الوحيدة للحي، ووفقاً له، لا يوجد أي مكان آخر في آيسلندا يُستهلَك فيه هذا العدد الكبير من ألواح شوكولا لايون [الأسد] نظراً للمغلفات الكثيرة المرمية في الشوارع. وعندما سئمت إرنا من سماع هذا التذمّر، أدرك على مضض أن جمال الطبيعة في وادي إيلّيدا يكاد يُنسيك الغبار والضجيج المتواصل لحركة المرور على الطريق الوطني الذي يجتاز تلة أرتون.

رَكَن أمام المَشرَحة وأقفل سيارته. وجد سڤانهيلدور تنتظره خلف الباب، ففتَحت له وقادته إلى غرفة التشريح بصمت وجدّية في بلوزتها البيضاء ومئزرها وقبعتها الورقية المشبَّكة التي ذكَّرته بعمّال المخابز. لقد شاركت في عدة تحقيقات

---

* المتجر (بالآيسلندية: sjoppa) هو خصوصية آيسلندية لا مرادف دقيق لها في فرنسا ولا علاقة له بمتاجر بيع التبغ هناك. إنه متجر صغير يبيع سجائر (مخفية خلف ستارة) وحلويات ومياه غازية ومجلات وصحف أيضاً، وأحياناً برغر وبوظة وحساء ساخن وشطائر ونقانق. كما هو أيضاً مكانٌ يلتقي فيه الشباب في أغلب الأحيان. (كل هذه الملاحظات هي من المترجم إلى اللغة الفرنسية).

أجراها كونراد أثناء عمله في الجنائية.

– لقد قصّوا كامل الرقعة حول الجثة لإحضارها إلى هنا، قالت موضّحةً.

اقتربت من طاولة التشريح التي توجد عليها قطعة جليد كبيرة تذوب بسرعة وعلى سطحها جثة حُفظَت بشكل جيد جداً لدرجة أن المرء يظن أن الوفاة حصلت البارحة رغم البشرة الصلبة بشكل غريب والبيضاء والناعمة الملمس. الذراعان تستريحان على جانبَي الجثة، والرأس مائل قليلاً، والذقن يلمس الصدر، وبركة الماء التي تشكّلت على الأرض تنساب نحو أخدود تحت الطاولة.

– أنتِ مَن سيشرِّح الجثة؟ سأل كونراد.

– نعم، رَدَّت سڤانهيلدور. سأفعل ذلك بعدما يذوب الجليد عنها، وأظن أن الأعضاء الداخلية محفوظة أيضاً مثل الأعضاء الخارجية. إنه لشعور غريب بلا شك أن تراه أمامك هكذا.

– هل أعادوه على متن مروحية؟

– لا، في شاحنةٍ. لقد بحَثوا محيط المكان حيث عثروا عليه وسيتابعون البحث في الأيام القليلة المقبلة. ألم يتصل بك زملاؤك السابقون؟

– ليس بعد. أظن أنهم ينتظرون حتى الغد. شكراً لإخباري.

– لا شكّ أن هذا هو الرجل الذي كنت تبحث عنه، كرَّرت سڤانهيلدور.

– نعم، إنه سيغورڤن. وأنتِ محقّة بأنه شعور غريب رؤيته مرة أخرى بعد كل تلك السنوات وكأن شيئاً لم يحدث.

– لقد كبرنا في السن كثيراً منذ ذلك الوقت، قالت سڤانهيلدور، بينما هو يبدو أنه جدَّد شبابه.

– أمرٌ لا يُصدَّق، همَس كونراد. هل تعرفين كيف مات؟

– تلقّى ضربةً على أسفل الجمجمة، ردَّت الطبيبة الشرعية وهي تشير بسبابتها نحو الرأس الذي ذاب الجليد عنه بالكامل تقريباً، كاشفاً جرحاً على العنق.

– هل قُتل على المُجلَّدة؟

– المستقبل سيُخبِرنا.

– وعثروا عليه في هذه الوضعية، ملقى على ظهره؟

– نعم.

– ألا تجدين هذا غريباً؟

– كل شيء غريب في هذه القصة، رَدَّت سڤانهيلدور. وأنت أكثر شخص يعلم ذلك.

– لا يبدو أنه يرتدي ملابس مناسبة ليواجه قسوة الجبال.

– ماذا تنوي أن تفعل؟

– ماذا تقصدين؟

– هل ستقدِّم خدماتك أم تفضِّل أن تبقى خارج القضية؟

– سيتدبّرون أمرهم، رَدَّ كونراد. لقد تقاعدتُ، وعليكِ أن تفعلي مثلي أيضاً.

– أشعر بالضجر، قالت سڤانهيلدور متضرِّعة، فهي مطلَّقة وفكرة التقاعد تُقلِقها. لكن كيف حالك؟

– جيد جداً. فقط لو يمكنني أن أنام.

بقيا يقفان صامتين لبرهةٍ وهما يراقبان الجليد يذوب.

– هل سمِعتَ يوماً عن بعثة فرانكلين؟ سألت سڤانهيلدور مستفسرةً.

– فرانكلين...؟

– قام البريطانيون بعدة بعثات بحثاً عن الممر الشمالي الغربي الشهير، وحاوَلوا اجتياز الأطواف الجليدية في كندا الشمالية، وأشهَرها كانت بعثة فرانكلين. ألا يعني لك هذا شيئاً؟

– لا.

سڤانهيلدور تحبّ كثيراً قصة فرانكلين، القبطان في أسطول جلالتها، الذي غادر مع سفينتين علقتا في الجليد واختفى أي أثر لهما بالكامل. وقبل ذلك، مات ثلاثة من بحّارته، فدَفن جثثهم في تربة صقيعية، ثم تابَعت بقية البعثة طريقها. وقد عُثر على قبور أولئك البحّارة الثلاثة منذ ثلاثين سنة، وكانت جثثهم سليمةً عملياً. احتوت تلك القبور على معلومات قيّمة عن حياة البحّارة في القرن التاسع عشر، وقد أكَّدت التحاليل طبيعة المشاكل التي فرضتها البعثات الطويلة أمثال بعثة فرانكلين. فمن المعروف أن بعض البحّارة ذهبوا في رحلات دامت سنتين أو ثلاث سنوات أحياناً، وعادوا منهكين بالكامل، ثم ماتوا بلا سبب محدَّد، وهذه ظاهرة تم توثيقها، وهناك عدد كبير من الأمثلة المسجَّلة بعناية. لم

يتوافق العلماء على أسباب ذلك الإنهاك الغريب، وطُرحت عدة نظريات من بينها التسمّم بالرصاص، وقد أكّدت الجثث المُكتشَفة في التربة الصقيعية ذلك، حيث إن تشريحها كشفَ تسمّماً واضحاً جداً بالرصاص، والذي تفسّره طريقة حفظ الطعام التي تم اكتشافها في القرن التاسع عشر واستخدامهم للعبوات.

أخفَضت سڤانهيلدور نظرها إلى الجثة.

– إنه إحدى تلك الروايات المثيرة للاهتمام التي يقدِّمها لنا العِلم الجنائي، قالت، فقد أقلعت السُفن محمَّلةً بكميات كبيرة من العبوات، لكن الطعام كان ملوَّثاً بالرصاص الذي في الأغطية.

– لماذا تخبريني كل هذا؟

– تذكَّرتُ بعثة فرانكلين عندما أحضَروا رفات سيغورڤن إلى المَشرَحة، فقد ذكّرني بأولئك البحّارة الثلاثة في التربة الصقيعية. يبدو كما لو أنه مات البارحة.

اقترب كونراد من الجثة، وبقي يراقبها للحظةٍ طويلةٍ وهو مندهش من حالتها المحفوظة جيداً.

– ربما علينا أن ندفن موتانا في المُجلَّدات، اقترَحت سڤانهيلدور. ما علينا سوى نقل مقابرنا إلى هناك بما أننا لم نعد نتحمَّل فكرة أن تأكلنا الديدان.

– لكن المُجلَّدات تختفي، صح؟

– هذا مؤسف، ردَّت الطبيبة الشرعية، وسقطت قطعة كبيرة من الجليد على الأرض حيث تحطَّمت إلى ألف قِطعة.

عاد كونراد إلى منزله في الليل المظلم وهو يشعر بالإنهاك، وتمدَّد لكن دون أن ينجح في النوم فقد اجتاحته الذكرى الثقيلة لهذا التحقيق، والفكرة التي لا تُطاق لوجود ذلك الرجل على المُجلَّدة. لم يستطع أن يطرد صورة وجهه المجمَّد من أفكاره.

ارتعَش.

شعَرَ أنه استطاع أن يلمح ابتسامة غريبة على شفتَي سيغورڤن المنكمشتين اللتين بدتا مثل جلد رثّ، واللتين كشفتا عن أسنانه كما لو أنه يسخر من كونراد ليذكِّره كم كان ذلك التحقيق كارثياً.

4

تلقَّى مكالمة أخرى بعد يومين. كان الرنين سيُجفله عادة، لكنه لم يعد يتلقى أي مكالمات في المساء أو في الصباح الباكر منذ أن تقاعد، وهذا أكبر تغيير حصل له في حياته. لكن الهاتف أصبح يرنّ باستمرار تقريباً الآن، والاتصال هذه المرة هو من صديقته وزميلته السابقة، وكان يتوقَّع اتصالها.

– يريد أن يتكلّم معك، أعلنت مارتا، رئيسة جنائية ريكيافيك.

– يرفض الاعتراف، أليس كذلك؟ رَدَّ كونراد، فقد قرأ على الانترنت أن الشرطة اعتقَلت رجلاً يدعى هجالتلين، ولم تفاجئه هوية المشتبه به. هذا السيرك بأكمله على وشك أن يبدأ مرة أخرى، لكنه مصمِّم الآن على عدم المشاركة. لقد استجوبه الصحافيون بعد اكتشاف الجثة، ورَدَّ عليهم بأنه لا يريد أن يتحدّث بالمسألة في الوقت الحاضر، فهو لم يعد شرطياً، وقد حلّ محله آخرون.

– يطالب برؤيتك، قالت مارتا. ويرفض التحدّث إلينا.

– هل شرحتم له أنني تقاعدتُ؟

– يُدرك ذلك، لكنه مصرّ.

– ماذا أخبركم؟

– الشيء نفسه دائماً. يدّعي البراءة.

– لديه سيارة جِيب كبيرة.

– بالفعل.

– يمكنه استخدامها لصعود المُجلَّدة.

– تماماً.

– هل يحقّ له أن يتلقى زيارات؟ اعتقَدتُ أنه في الحبس الاحتياطي؟

– سنقوم باستثناء، رَدَّت مارتا. أما بالنسبة لك، فستعمل لنا بصفة مستشار في مهمة قصيرة الأجل.

– لا أريد العودة إلى ذلك يا مارتا. ليس في الوقت الحاضر. ألا تريدين أن

نتكلّم عن هذا لاحقاً؟

– الوقت يضغطنا.

– بالطبع.

– لم أتخيَّل أبداً أنه يمكننا إيجاده بعد كل هذا الوقت.

– ثلاثون سنة وقتٌ طويلٌ.

– ألا تريد رؤية الجثة؟

– رأيتها من قبل، ردَّ كونراد. بدا كما لو أنه مات البارحة.

– آه طبعاً، لقد حذَّرتك سڤانهيلدور. حسناً، هل ستأتي وتتكلَّم مع سجيننا؟

– أنا متقاعد.

– لا داعي لتكرار ذلك.

– سنتكلَّم عن ذلك مرة أخرى، ختمَ كونراد الحديث قبل أن يغلق الخط.

لم يتوقف عن التفكير بسيغورڤن وزيارته إلى المَشرَحة لرؤية سڤانهيلدور منذ البارحة، لكنه رفَض أن يقرّ بذلك لزملائه السابقين الذين اتصل به العديد منهم. كرَّر لنفسه أنه متقاعد، وأنه ليست لديه النيّة للعودة إلى الخدمة مهما كانت القضية، فقد بقوا يبحثون عن سيغورڤن لأكثر من ثلاثين سنة، وقد استجوبت الشرطة عدداً كبيراً من الأشخاص دون توجيه التهمة لأي شخص، رغم أن مجرى التحقيق اتّجه سريعاً نحو هجالتلين، لكنهم لم ينجحوا في إثبات التهمة عليه، فقد بقي ينكر بشكل قاطع أنه أذى سيغورڤن، وأُطلق سراحه، ولم يتم العثور على الجثة أبداً، وبدا لهم كما لو أن سيغورڤن تبخَّر في الهواء.

والآن ها هو في المَشرَحة كما لو أنه عاد بعد غياب قصير، وسڤانهيلدور لم تكذب أن جثته محفوظة بشكل جيد جداً. لم يتم تشريح الجثة بعد، وسيغورڤن لا يزال يرتدي الملابس التي كان يرتديها عند وفاته، وهي عبارة عن حذاء رياضي وسروال جينز وقميص وسترة. لقد مات من ضربة قوية على الجهة الخلفية للعنق نُفّذَت بأداة غير حادة سبَّبت له جرحاً عميقاً، وقد عُثر على دم على الجهة الخلفية لرأسه وعلى ملابسه.

تذكَّر كونراد السنوات التي تلت اختفاءه، ولطالما تساءل كيف ستكون ردّة فعله إن تم العثور على الجثة. من جهته، تخلّى منذ فترة طويلة عن البحث عنه

حتى ولو لم يستطع نسيان تلك القصة، وأنه اعتقَد دوماً أنه سيتلقى في أي وقت مكالمة هاتفية يُخبرونه فيها أنه عُثر على جثته، وعندما جاءت تلك المكالمة الهاتفية، شَعَر بالعجز. لقد بقي يتساءل لعقودٍ عما حصل لذلك الرجل، والآن أصبح يعرف الجواب بعد أن بقوا يجهلون ظروف وفاته كل هذا الوقت، عِلماً أنهم لم يكونوا متأكدين من وفاته، لكنهم أصبحوا يعرفون الآن متى وكيف فقَدَ حياته. بقي اختفاؤه سراً حتى هذا اليوم، ولن يفشل فحص رفاته في تزويد المحقِّقين بمعلومات مهمة، فقد أصبحت لديهم الآن بعض الدلالات على سلاح جريمة القتل، وقد بدأت قِطع الأحجية تتجمَّع أخيراً.

جالساً في المطبخ وفي يده كوب شراب عنب أحمر، أشعلَ كونراد سيجاراً. هذه متعةٌ يعطيها لنفسه عندما يشعر أنه بحاجة إليها، رغم أنه ليس مدخِّناً منتظماً. رنَّ هاتفه مرة أخرى. إنها أخته إليزابيث تريد الاطمئنان عليه.

– كل شيء على ما يرام، رَدَّ وهو يأخذ نَفَساً عميقاً، ما عدا أن الهاتف يرنّ باستمرار.

– أبسبب هذه القضية التي عاودت الظهور؟ سألت إليزابيث التي يناديها الأصدقاء المقرّبون بيتا. فهي بدأت مثل أي شخص آخر تتابع آخر المستجدات بحشرية كبيرة منذ اكتشاف الجثة.

– أشعر أن هجالتلين يحاول إجباري على استئناف التحقيق، رَدَّ كونراد. فهو موضوع في الحبس الاحتياطي منذ بضعة أيام ويطلب التحدّث معي. أخبَره زملائي السابقون أنني تقاعدتُ، لكنه لا يكترث.

– هل تعتقد حقاً أنه يمكن التخلّي عن تحقيقٍ كهذا؟

– إنني أسأل نفسي هذا السؤال بالضبط منذ بضعة أيام.

– ألا تريد أن تعرف ماذا يريد أن يُخبرك؟

– أعرف تماماً ماذا سيُخبِرني يا بيتا: أنه بريء، وأن عثورنا على الجثة لن يغيِّر أي شيء، فلم يكن لدينا أي دليل ضده منذ ثلاثين سنة، ولن نجد أي دليل اليوم لأنه بريء. هذا ما سيُخبِرني به. ولا أفهم لماذا يشعر بالحاجة إلى إخباري ذلك مرة أخرى.

بقيت بيتا صامتة. لم يكن الأخ والأخت مقرَّبين من بعضهما أبداً، فقد عاشا

طفولتهما بعيدين عن بعضهما بعد طلاق والديهما، ومنذ ذلك الوقت وهما يحاولان إصلاح الأمور على طريقتهما، محقّقَين نجاحاً صغيراً.

– في ذلك الوقت، لم تكن مُقتنِعاً كلياً أنه المذنب، تابَعت تقول.

– صحيح، خلافاً لزملائي، لكن هناك شكوك كبيرة تحوم حوله.

لقد كان هجالتلين المشتبه به الوحيد عام 1985، وقد وُضع وقتها في الحبس الاحتياطي، لكنه لم يعترف أبداً، وفشلت الشرطة في إثبات تورّطه في الاختفاء. كان آخر شخص شوهد بصحبة سيغورڤن، وعرَفنا أنهما تجادَلا بحدّة قبل ذلك بأيام، وأن هجالتلين هدَّده.

– هل طلب منك زملاؤك السابقون مساعدتهم؟ سألت بيتا.

– لا.

– لكنهم يريدونك أن ترى المدّعى عليه؟

– يعتقدون أنه قد يُخبِرني أشياء يرفض إخبارهم إياها، عِلماً أنه لا يتكلّم مع أي شخص.

– ثلاثون سنة وقتٌ طويلٌ جداً.

– لقد أخفى سيغورڤن جيداً. وقد أفلت بفعلته لأنه لم يتم العثور على الجثة. سنرى إن كان سيعترف بسهولة هذه المرة.

– لكن ليس لديكم أي دليل؟

– لدينا بعض الخيوط، لكن هذا غير كافٍ. لم يرغب النائب العام أن يخاطر بأخذ القضية إلى المحكمة.

– إذاً لا تتورَّط فيها. أنت متقاعد.

– بالتأكيد، فأنا متقاعد.

– حسناً، أراكَ قريباً.

– أراكِ لاحقاً.

راح لعاب الصحف يسيل على حادثة اكتشاف الجثة، وشرَحت سڤانهيلدور لكونراد كيف حصلت الأمور بالتفصيل. استكشف أربعة أعضاء من فريق الأدلة الجنائية المحيط، وكان رجال شرطة بورغارنس أول الواصلين إلى هناك بعد اتصال مجموعة السيّاح الألمان بمركز الطوارئ، فتسلَّقوا لانغيوكل مجهَّزين بشكل سيئ، ثم

اتصَلوا بألوية المنقذِين في بلدة بورغارنس، وسرعان ما أدرك الصحافيون أن شيئاً يحصل. أكَّدت الشرطة أنه تم العثور على جثة شخص في الثلاثينات من عمره على المُجلَّدة حيث تواجد منذ وقت طويل جداً على الأرجح، وطُلب منهم عدم لمس أي شيء، وعدم الاقتراب من المكان، وإبقاء رجال الصحافة بعيدين، ثم تم الاتصال بقسم ريكيافيك للأدلة الجنائية. كان المنقذِون قد وصلوا وقتها إلى سفح المُجلَّدة بسياراتهم الجِيب المجهَّزة خصيصاً لذلك، ورافَقوا السيّاح الألمان ومرشدتهم السياحية أداالهيدور، وهي امرأة آيسلندية في الستينات من عمرها، إلى فندقهم في هوسافَل، ثم غادروا نحو ريكيافيك في المساء. ثم استجوبت الشرطة السيّاح ومرشدتهم السياحية، واعترف ألماني مسنّ، وهو طبيب، أنه أزال الجليد والطبقة الرقيقه من الثلج التي أخفت الوجه، لكن لا أحد لمسَ أي شيء غير ذلك.

جرى قَطع لوح جليدي يزن حوالي مئتَي كيلوغرام حول الجثة، ووُضع على منصة شاحنة فرقة المنقذِين، ورافَقها عضو في فريق الأدلة الجنائية إلى ريكيافيك وهو يجمَع كل الماء الذائب لفحصه. ثم عادت مجموعة من رجال الشرطة والمنقذِين في وقت لاحق من ذلك المساء لقضاء الليل في هوسافَل، وبقي عدد قليل منهم على المُجلَّدة لإبعاد الفضوليين.

استضافت الإذاعة عالِم جليد آيسلندياً مشهوراً شرَح أنه منذ 1985، وهو العام الذي اختفى فيه سيغورڤن، الغطاء الجليدي الذي تبلغ سماكته اليوم حوالي ستمئة متر انحسر بأكثر من سبعة كيلومترات، وأضاف أن التقديرات تشير إلى أن المُجلَّدة ستخسر 20% من حجمها في السنوات الخمسة والعشرين القادمة، وهذا نتيجة الاحتباس الحراري، وانخفاض هطول الأمطار، وازدياد عدد الأيام المشمسة.

– ولا يزال هناك أشخاص يشكّون بتأثير النشاطات البشرية على المناخ، قال عالِم الجليد بنبرة شاجبة في البرنامج الصباحي.

– إذا فهمتُ بشكل صحيح فقد دُفنَت الجثة تحت الجليد؟ سأل المذيع.

– ليس سهلاً الجزم بذلك، والأرجح أن قاتله رماه في صَدع، فحادثة الاختفاء وقعت في فبراير، ولم يكن من الممكن على الأرجح حَفر الجليد في ذلك الوقت. يمكننا أن نفترض أن طبقة سميكة من الثلج غطته، إلا إذا انفتحت فجوةٌ تحت الجثة مما جعلها تغرق إلى أعماق المُجلَّدة التي لفظتها خارجها بعد ثلاثين سنة.

– ثم ذاب الجليد إلى أن ظَهَرت؟

– علينا أن نتحقَّق بالطبع من صحة هذه الفرضية، لكنها تبدو لي مُقنِعةً، وهي أكثر شرح منطقي فالمجلّدات تتقلّص بسرعة قصوى، مثلما يعلم الجميع.

رنين الهاتف كسر الصمت في منزل أورباير مرة أخرى. إنها سڤانهيلدور تعاود الاتصال بكونراد لتسأله إن اتّخذ قراراً، فقد سمِعت أن هجالتلين يريد التكلّم معه.

– لا أعرف، رَدَّ. ربما من الأفضل أن أذهب وأراه. لن ندري أبداً.

– لا شكّ أن الموضوع يثير حشريتك. إنه سيغورڤن! وهذا يجب أن يهمّك.

– لم يكن هجالتلين قد بلغ الثلاثين من عمره عندما تم اعتقاله.

– أتذكَّر ذلك.

– واليوم يكاد يصبح في الستين. لم أره طوال هذه السنوات.

– هل تعتقد أنه تغيَّر كثيراً؟

– قبل كل شيء، أعتقد أنه لا يزال غبياً جداً.

– لا يعجبك كثيراً.

– لا، قال كونراد مُقرّاً، رغم اقتناعه بنقيض ذلك. لا أفهم لماذا يريد أن يتكلّم معي. أنا لا أثق به، ولو لم يكن زملائي السابقون يخشون من تركه حراً طليقاً، لما احتاجوا إلى وضعه في الحبس الاحتياطي. كان على وشك مغادرة البلاد عندما اعتقَلوه بعد يوم على العثور على الجثة، وادّعى أنها مجرد صُدفة.

– هل تحسَّن نومك؟

– ليس حقاً.

– تعرف أنه يمكنك أن تتصل بي إن احتجتَ إلى أن تكلّم أحداً، اقترحت سڤانهيلدور.

– نعم، لكن كل شيء على ما يرام، رَدَّ بجفاء.

– حسناً. كانت سڤانهيلدور على وشك الاستئذان بالانصراف، لكنها غيَّرت رأيها وأضافت: لم تعد تتصل بي...

– لا، أنا... لم يعرف كونراد ماذا يقول.

– اتصل بي إذا كنتَ...

لم يُجبها، لذا تودَّعا. أخذ كونراد كوب شراب عنب أحمر وأشعلَ سيجاراً

ثانياً. لقد تباحثَ أحياناً مع إرنا في فكرة الانتقال ومغادرة مقاطعة أوربابر، لكن ليس للذهاب إلى دار للمسنّين، بل إلى شقة صغيرة مريحة في الوسط، وقالت إرنا إنه من الأفضل تجنُّب حي ثينغهولت حيث يعيش الكثير من الأشخاص اليافعين والمشهورين، وإن الحي الغربي أهدأ، لكنهما بقيا هناك. وغالباً ما تناقشا بمسألة اختفاء سيغورڤن هنا في هذا المطبخ، ولطالما دعمته وشجَّعته.

الطاولة مزدحمة بأوراق قديمة تخصّ أبيه، حيث إن سنواتٍ مرّت منذ أن أعاد قراءة المستندات المخزَّنة في صناديق في القبو. لقد استأنَف مؤخراً تحقيقاً يعود إلى الحرب العالمية الثانية لعِب فيه وسطاء روحيون كاذبون دوراً مهماً، وذلك أجَّج اهتمامه القديم بأبيه الذي وُجد ذات مساء من عام 1963 مطعوناً في شارع سكولاغاتا أمام مسالخ سودورلاند، وقد فشل التحقيق في تحديد قاتله، وبقي كونراد يضع تلك القضية على الرفّ طوال فترة عمله في الشرطة. كان أبوه رجلاً بغيضاً عادى كثيرين في كل مكان، وقد سُجن مرات عديدة بتهمة التهريب أو السرقة أو الاحتيال، كما أنه عمِل مع وسيط روحي كاذب، وربما حتى مع عدة دجّالين خلال الحرب. وانتهى الأمر بوالدة كونراد أن هجرته آخذةً إبنتها، لكنه رفَض أن يدعها تأخذ إبنه فبقي معه.

راح يتصفَّح تلك الأوراق المصفَرّة مرة أخرى، وكلها تعود إلى سنتين قبل وفاة أبيه، وأبدى اهتماماً خاصاً باثنتين من قصاصات الصحف التي احتفظ بها أبوه، وهما تتكلَّمان عن الروحانية والعالم الآخر. كان هناك مقال عن وسيط روحي كاذب، وكذلك مقابلة مع نفساني آيسلندي في مجلةٍ أسبوعيةٍ لم تعد تصدر منذ زمن بعيد. تتكلَّم إحدى القصاصتين عن الجمعية الروحانية الآيسلندية، والحياة في الآخرة، وما يسمّيه البعض عالم الأثير. تساءل كونراد عن إمكانية أن يكون أبوه قد استأنَف نشاطه الاحتيالي قبل معرفته نهايته المأساوية تلك لكي يبتزّ المال من أشخاص ساذجين عبر دعوتهم إلى جلسات روحانية كاذبة.

5

رغم سرور بعض زملائه للهرب من ضجة المدينة وفوضى المخفر، إلا أنه حزِن عندما قرَّرت الإدارة نقل المشبوهين الموضوعين في الحبس الاحتياطي إلى سجن ليتلا-هرون بدلاً من سَجنهم في ريكيافيك، فعليه الآن أن يجتاز أرض هيليشيدي السبخة الرتيبة، وينزل عبر ممر ثرنغسلن، ويعبر جسر أوسيري، ثم يسلك الطريق الذي يميل شرقاً نحو ستوكسيري وإيرارباكي. صحيح أنه علق مرتين في الثلج ذات شتاءٍ، لكنه يستغل تلك الرحلة أحياناً ليسترخي قليلاً، ويأخذ قسطاً من الراحة، ويشتري بوظة أثناء عبوره قريتَي هڤيراغردي وسيلفوس. لسنواتٍ عديدةٍ بقي المشبوهون في الحبس الاحتياطي يُوضعون في سجن سيدومولي الذي يبعد مسافة معقولة من المخفر، وقد بقي هجالتلين هناك لبعض الوقت، لكن الأزمنة تتغيَّر وهذا قرنٌ جديدٌ، هكذا أخبَر كونراد نفسه في طريقه إلى سودورلاند أثناء اجتيازه جبل ڤيفيلڤَل والكافيتيريا الصغيرة ليتلا كافيستوفان في أعلى الأرض السبخة.

قرَّر أخيراً الذهاب لرؤية السجين. ليس لأنه يطالب به ويرفض أن يتكلّم مع أحد غيره، بل لأنه كرَّس ذات يوم الكثير من الوقت لهذه المسألة، ولم يتوقف أبداً في الواقع عن البحث عن أجوبة. فخلافاً لأكثرية التحقيقات في جرائم القتل، لم تُحلّ هذه القضية في غضون أيام، بل سرعان ما تشعَّبت في عدة اتجاهات، ورغم أن هجالتلين كان المشتبه به الرئيسي، إلا أن الشرطة استجوبت الكثير من الأشخاص المشتبه بهم مثله. واكتشاف الجثة الآن غيَّر القضية بشكل جذري.

لم يرغب كونراد أن يستأنف هذا التحقيق مع زملائه السابقين، وبدا هجالتلين مقتنعاً أنه الشرطي الوحيد الذي يمكنه أن يثق به: شاءت الصُدَف أن يكون كونراد هو الوحيد الذي أمضى أطول وقت معه، ولهذا السبب على الأرجح طالَب السجين اليوم أن يتكلّم معه. استجابت الشرطة لطلبه، وكذلك فعل كونراد، لكن الأمر يقتصر على ذلك فقط لأنه أصبح معتاداً على رفاهية التقاعد، وعلى تمضيته وقته كيفما يشاء دون أن يقلق بشأن الحالات الطارئة أو تحمّل أي

مسؤولية. لقد أدّى واجبه، وأصبح دور الآخرين الآن تولي زمام الأمور. إذا سمحت مقابلته مع هجالتلين أن تمضي الشرطة قدماً فهذا سيكون أمراً جيداً، أما بالنسبة للباقي فإن كونراد يرفض أن يتورَّط أكثر من ذلك.

عند سماعه الأخبار، اتصل به إبنه ليسأله عن شعوره الآن وقد عُثر على الجثة. أجاب كونراد أنه مرتاح أن الشرطة تستطيع استغلال ذلك الاكتشاف، لكن باله مشغول بشأن المقرَّبين من سيغورڤن الذين عانوا كثيراً وعاشوا طويلاً في الريبة.

منذ بعض الوقت وكونراد يعاني من الأرق، وعاد مرة أخرى يفكّر باستمرار بسيغورڤن وهجالتلين وذلك التحقيق القديم، ويشعر أنه كان بإمكانه أن يحقِّق نتائج أفضل، وأصبح يمضي لياليه الحالية يستعرض كل شيء في ذهنه. لقد تغيَّرت أمور كثيرة في الثلاثين سنة الماضية. وقتها كان شراب الشعير محظوراً في آيسلندا، وهناك إذاعة وطنية واحدة وقناة تلفزيونية واحدة فقط، ومصانع صهر الألومنيوم أقل عدداً، ولم تكن خرائط سد كارانيوكر الكهرمائي، وهو الأكبر في أوروبا، قد وُضعت بعد، والثلج يتساقط بشكل دوري في ريكيافيك خلال الشتاء. لم تكن هناك انترنت أو هواتف خلوية، وقلّة من المنازل فقط تحتوي على حاسوب. وكانت خصخصة المصارف، والفوضى المالية، والغباء المنتصِر لأصحاب القرار، ودُعاة التجارة الحرة ومهندسو الانهيار الاقتصادي ينتظرون قدوم القرن الجديد. كان العام 2000 يبدو بعيداً جداً وضرباً من الخيال العلمي.

قُبيل حلول الليل في أحد أيام فبراير الباردة وهناك رياح جليدية تغمر الشوارع، تلقى المخفر في شارع هڤيرفيسغاتا اتصالاً من امرأة أرادت التبليغ عن اختفاء أخيها سيغورڤن الذي في الثلاثينات من عمره. أخبرتهم أنها تكلَّمت معه على الهاتف قبل يومين واتفقا على لقاءٍ لم يأتِ إليه، لذا حاوَلت الاتصال به في منزله، لكنه لم يُجب على الهاتف. كان سيغورڤن رجل أعمال، ولم يره موظفوه ليومين. لذا ذهَبت أخته إلى منزله، وبقيت تقرَع على بابه لفترة طويلة، ثم اتصلت أخيراً بخبير أقفال خوفاً من أن يكون طريح الفراش وغير قادر على الردّ على هاتفه أو على النهوض وفتح الباب لها. بَحَثت عنه في كل الغُرف ولم تجده، وعلى حد علمها، لم يكن ينوي أن يسافر إلى الخارج لأنه يُخبرها مسبقاً كلما أراد أن يسافر، وقد وجَدت جواز سفره في جارورٍ في صِوان غرفة الطعام. أخوها مطلَّق

منذ بعض الوقت، ويعيش لوحده، ولديه إبنة.

اعتبرت الشرطة أنه سيعاود الظهور قريباً، وأنه لن يمرّ وقت طويل قبل أن يصلها خبر منه، لكنهم دوَّنوا أوصافه، وطلبوا منها صورة فوتوغرافية له، وأرسلوا بلاغ بحثٍ وتحرٍ إلى كل الصحف الآيسلندية والمخافر. وقد أثبت لهم جواز سفره أنه لم يغادر البلاد، إلا إذا كان قد فعل ذلك بهوية مزوَّرة أو استطاع التحايل على عناصر أمن الحدود، لكن أخته وجدت ذلك الافتراض منافياً للعقل. فلماذا يسافر بجواز سفر مزوَّر؟

دخلت ألوية المنقذِين المشهد بسرعة كبيرة، وقامت بإعداد النظام المعتاد، وبدأ البحث على ساحل ريكيافيك والنواحي المحيطة به، واهتمّت وسائل الإعلام بهذه القصة وراحت تتكلَّم كثيراً عن الشخص المفقود، وطُلب من أي شخص يظن أن لديه معلومات، مهما بدت له عديمة الأهمية، أن يتقدَّم بها. ثم لم يمرّ وقت طويل حتى اكتُشفت سيارته الجِيب قرب خزّانات الماء الساخن على تلة أوسكجوليد. وضعت شرطة ريكيافيك رقماً خاصاً في الخدمة فبدأت الاتصالات تنهمر عليه، بعضها مثير للاهتمام أكثر من غيره، وانشغل عناصر الشرطة باستقصاء كل خيط. وقد اتصلت امرأةٌ وأدلت بما لديها بسرعة كبيرة قبل أن تغلق الخط، حيث قالت إنها سمِعت شريك سيغورڤن السابق يهدِّده في مرأب سيارات شركته.

تحقَّق كونراد من إدعائها، واكتشف أن هجالتلين بقي يهدِّد سيغورڤن لبعض الوقت فعلاً، متّهماً إياه بأنه نصبَ عليه بعدة ملايين، حيث إن الرجلين امتلكا ذات يوم ثلاثة زوارق وشركة لصيد السمك تُرك أمر إدارتها لسيغورڤن. كان هجالتلين شريكاً بسيطاً أعطى شريكه كامل الحرية في إدارة تجارتهما، وقد اهتمّ بإدارة متاجر الثياب التي يملكها في ريكيافيك، كما لديه شركة استيراد وبعض الأسهم في عدة شركات أخرى، ولطالما افتخر بعدم خوضه البحر أبداً. كان الرجلان قد تعرّفا على بعضهما في كلية إدارة الأعمال ڤيرسلونرسكولي، ونجَح سيغورڤن في إقناع هجالتلين بشراء زورق معه. وبفعل عزيمتهما القوية وإقدامهما، سرعان ما اشتريا زورقاً ثانياً ثم ثالثاً وأسَّسا شركة صيد السمك تلك. ثم وافَق هجالتلين على بيع حصته إلى شريكه عندما طلب منه الأخير ذلك، ووقَّعا عقد البيع، لكنه اتَّهَم سيغورڤن بسرقته بعد مرور بعض الوقت، حيث اعتبر أنه تقصَّد

أن يقلّل من قيمة الشركة التي كان من المتوقع أن ترتفع كثيراً إذا أحسنَ إدارتها بما أن الحكومة فرضت نظام حصص يحدّ من الوصول إلى مناطق صيد السمك. لذا ندِم هجالتلين عندما علِم بذلك النظام الجديد، وقد أعطاه الخبراء الذين استشارهم لمحة سريعة عن توقّعات نمو كانت متفائلة أكثر بكثير من تلك التي أطلعه عليها سيغورڤن، وشَعَر أنه أخطأ في ثقته بصديقه القديم. أنكرَ سيغورڤن أي محاولة منه لتحريف الوقائع بقصد النصب قائلاً إن الشغل شغل، وإن هجالتلين وقّع ذلك العقد بملء إرادته ولم يُجبره أحدٌ على ذلك.

قال عدة شهود إن العلاقة بين الرجلين ساءت منذ ذلك الوقت، وكثيراً ما كان هجالتلين يأتي إلى مكتب سيغورڤن ويتجادل معه بحدّة، ويخبط الأبواب، ويهدّده بعنف، وحتى يراقبه خلسةً في مرأب السيارات.

– فقط احذر! صرَخ به في زيارته الأخيرة. أنصحك أن تنتبه لنفسك أيها الحثالة! أنا لا أسمح لأي شخص بأن يعاملني هكذا!

حصل ذلك قبل ثلاثة أسابيع من الاختفاء. وآخر مرة شوهد فيها سيغورڤن كانت في مساء ذلك اليوم الذي تكلّم فيه مع أخته على الهاتف، حيث رآه أحد موظفيه يتناقش في مرأب سيارات الشركة مع رجلٍ أكّد لاحقاً أنه هجالتلين بالفعل. استطاع كونراد أخيراً أن يعثر على ذلك الشاهد الذي لم يرغب أن يأتي إلى المخفر وفضّل أن تبقى هويته سرية كونه معروفاً من الشرطة وقد سُجن عدة مرات بتهمة السرقة وجرائم أخرى. كان ذلك الموظف قد أخبر أصدقاءه بما سمِعه، وقد اتصَل أحدهم بالشرطة ليُبلغ أن شريك سيغورڤن السابق هدَّده بالقتل.

لم يسمع الموظف سوى نهاية المحادثة، حيث رفع هجالتلين صوته ولوَّح قبضته مهدداً قبل أن يغادر حانقاً:

– ... هل تسمعني... سأقتلك، أيها الحثالة...!

6

دخلَ كونراد عبر البوابة الزرقاء الكبيرة، وركن سيارته الجِيب، وخرَج منها، وراح يحدِّق لبضع لحظات بسجن ليتلا-هرون، ذلك المبنى الأبيض المَهيب المتعدد الجملونات ذو الهندسة المشابهة للبيوت الريفية الآيسلندية القديمة.

ذهَب ليتناول القهوة في مكتب مدير السجن الذي يعرفه جيداً، وأخذ الرجلان يتحدّثان عن الاكتشاف المذهل وانحسار المُجلَّدات، ويتساءلان إن كانت تحوي أي أسرار أخرى في أعماقها.

- المستقبل سيُخبِرنا، قال المدير خاتماً الحديث، ورافَق كونراد إلى القسم المخصَّص لسجناء الحبس الاحتياطي. لا أعتقد أن هجالتلين سيبقى هنا طويلاً، فالمحكمة العليا تعيد درس مذكرة التوقيف، وأظن أنهم سيُطلقون سراحه قريباً.

- أنا متفاجئ أنه سُجن من دون أي دليل.

- حاوَل الهروب إلى خارج البلاد.

- هذا صحيح.

- هل تعرف عن المرض؟

- المرض؟ مرض مَن؟

- هجالتلين. وجوده هنا لم يساعده.

- لم أكن أعرف. ماذا لديه؟

- خضع للتو لجلسة علاج كيميائي لسرطان الحنجرة. القضية إنسانية أيضاً، فهو طريح الفراش منذ وصوله، وعلينا أن نتجنَّب إجهاده. لقد طلبَ أن يتكلّم معك في زنزانته لأن ذلك سيكون أقل إرهاقاً له من الجلوس في غرفة الاستجواب، ووافَقنا أن نقوم باستثناء له. ظننتُ أن مارتا والآخرون أخبَروك.

- لم أكن أعرف كل هذا. لكن أخبِرني، هل حالته خطيرة؟ هل سيتعافى؟

- لا أعرف.

افترق الرجلان عند باب الرواق، ورافَق حارسٌ كونراد إلى الزنزانة، وتركه شرطيا

الجنائية اللذان رافَقاه يدخل لوحده، ورأى أن محامي هجالتلين غائبٌ. من وجهة نظر إدارية فقد تمت الاستعانة بكونراد لأجلٍ قصيرٍ ليشارك في التحقيق، ويجب أن تبقى مقابلته مع المشتبه به سريةً.

فتح الحارس باب الزنزانة، ودعا كونراد إلى الدخول، وأغلق الباب بهدوء وراحة ضمير، ثم راح صوت خطواته يهمَد في الرواق.

وجدَ هجالتلين مستلقياً على سرير مثبَّت بالأرض وجدار الزنزانة المفروشة بكرسي ومكتب صغير والمجهَّزة بمغسلة ومرحاض، وهناك ضوء شاحب يدخل عبر قضبان النافذة ويسقط على السرير. كما رأى كتاب حِكم قديمة عتيقاً ذا غلاف بالٍ وتجليد رثّ على المكتب، وشمَّ رائحة مادة مطهِّرة عابقة في الجو.

– أخبروني عن مرضك، قال كونراد. ما كان يجب أن يضعوك هنا.

اكتفى هجالتلين بالابتسام دون حتى أن يستوي جالساً، بل أبقى يده خلف رأسه وعينيه نصف مغمضتين، وراح ينظر إلى كونراد غير مبالٍ تقريباً لزيارته رغم أنه هو مَن طالَب بهذا اللقاء. إذا تغاضينا عن حدثٍ يفضِّل كونراد نسيانه فإن الرجلين لم يريا بعضهما منذ عقود، لذا احتاج إلى بضع لحظات لكي يتعرَّف عليه، فقد كبُر هجالتلين في السنّ كثيراً وأصبح أنحف، وافترَض كونراد أن ذلك بسبب المرض، حيث إن العلاج الكيميائي أفقده شعره، مما عزَّز زُرقة عينيه المنتفختين، وطول وجهه الهزيل، وسُمرة بشرته، وأصبحت جمجمته بيضاء كالثلج تقريباً، وبدا أشبه بأمهق عجوز.

– لا يأبهون أبداً. تبدو بصحة جيدة، قال هجالتلين بلطف بصوته الأجش.

– خشوا أن تهرب.

– هل يسجِّلون حديثنا؟

– ليس على حد علمي.

قرَّب كونراد الكرسي وجلس بجانب السرير.

– كنتُ متأكداً أنهم سيقبضون عليَّ، لذا أردتُ أن أرحل.

– إلى تايلندا، أليس كذلك؟

– إنها دولة سامية، ردَّ هجالتلين وهو يرفع نظره إليه. لم أرغب أن أكون في الزنزانة مرة أخرى.

– لا أعتقد أنهم يسجّلون حديثنا، لكنهم سيسألونني عما أخبَرتني. يبدو أنك لا تريد أن تتكلّم مع أي شخص، ولا حتى محاميك.

– حالما سمِعتُ أنه تم العثور على جثة سيغورڤن، هرعتُ إلى مطار ليفشتود الدولي، واشتريتُ تذكرة إلى لندن وواحدة أخرى إلى تايلندا، لكنهم كانوا سريعين جداً وقبضوا عليَّ من على متن الطائرة. هل كنتَ تعرف ذلك؟

– لا، رَدَّ كونراد.

– اعتبروا أن محاولة هروبي دليلٌ على جرمي، فلو كنتُ بريئاً، لما حاولتُ مغادرة البلاد، لكنني حاولتُ الفرار بالضبط لأنني لم أفعل شيئاً. أردتُ الهروب من كل شيء، من هذه الزنزانة، من كل هذا الكلام الفارغ. أردتُ فقط أن أموت بسلام... فقط لا غير.

– أخبرتَ الشرطة أن رحيلك على عجل كان مجرد صُدفة. هل تجد أنه يمكن تصديق هذا الإدّعاء؟

أغمضَ هجالتلين عينيه.

– إنني أُخبِرك الحقيقة يا كونراد. منذ بداية هذه القصة وأنا لم أكذب عليك أبداً.

– بالطبع.

قبل ثلاثين سنة، لم يتأخر المحقّقون في اكتشاف مَيل واضح ومريض تقريباً للكذب لدى هجالتلين، وقد قبضوا عليه بالجرم المشهود أكثر من مرة، فيبدأ بتأكيد هذا وذاك من الأمور ثم ينكرها مناقضاً نفسه بشكل دوري. من الواضح أن تحريفاته تلك للواقع لا تشكّل له أي مشكلة، وهو يستغل ذلك مما يعرقل التحقيق ويجعل المسارات ضبابية.

– تؤسفني رؤيتك مُصاباً بمرض خطير، تابَع كونراد.

– شكراً.

– هل تجد أنه من المنطقي أن تذهب إلى آسيا في هكذا حالة؟

– أردتُ تجربة الأدوية البديلة التي تُستخدَم هناك، فقد وجَدتُ طبيباً... من الواضح أنك لا تصدّقني.

– لماذا أردتَ رؤيتي؟

– أنتَ تفهمني.

– كلا... لا أعتقد أن أي شخص يستطيع أن يفهم...

– هل تعرف يا كونراد شعور أن يكون المرء في حالة مثل حالتي؟ هل لديك أي فكرة؟ هل يمكنك أن تتخيَّل ذلك؟

– لا، لم أختبر هذا أبداً.

– لطالما قضَّت هذه القصة مضجعي منذ شبابي، فقط لأنني هدَّدتُ سيغورڤن، لأنني صرختُ به شيئاً في مرأب للسيارات وسمِعني شاهدٌ هو مجرد شخص كريه.

– فعلاً.

راح هجالتلين يحدِّق بالسقف.

– نصحني الأطباء أن أتكلّم بأقل قدر ممكن لأتجنَّب إجهاد صوتي، فقد انتشر السرطان في كل جسمي. اعتقدوا أن ذلك لن يحصل، لكنه حصل.

– ألا تعتقد أنك يجب أن تغتنم الفرصة لتريح ضميرك في حال حصول الأسوأ؟

– أريح ضميري؟ ماذا تقصد؟ أنا لم أفعل أي شيء، وأعرف أنك تصدِّقني. كنتَ الوحيد الذي لديه شكوك. لطالما كان لديك شكّ بجرمي.

كان الشاهد المعروف لدى الشرطة قد زوَّد وصفاً دقيقاً للرجل الذي رآه في مرأب السيارات وقد طابقَ أوصاف هجالتلين، لذا ذهَب رجال الشرطة إلى المشتبه به الذي بقي ينكر بشكل قاطع أنه هدَّد سيغورڤن. عندها عرضوا عليه أن يُثبت براءته عبر قدومه إلى المخفر لجلسة تعرّف على الهوية، فلم يتردَّد لثانيةٍ ووافق فوراً.

– إنه هو، قال الشاهد عندما رآه بين آخرين.

– هل أنت متأكد؟

– نعم.

– ألا تريد أن تتحقّق. لدينا متّسع من الوقت.

– إنه هو، أكَّد الشاهد.

لم يتمكن هجالتلين من العودة إلى المنزل، فقد وُضع في زنزانة ونُصح أن يتصل بمحامٍ، لكنه احتجّ بقوة مجادلاً أنه أتى إلى المخفر بملء إرادته، وأن المسألة

مجرد سوء تفاهم. كان الشاهد واثقاً من نفسه، وحدَّد لهم الوقت الدقيق للجدال بين الرجلين، فسألت الشرطة المشتبه به أين كان في ذلك الوقت، وردَّ أنه لا يتذكَّر. وعندما سئل مرة أخرى بعد قليل، أعطاهم إسم شابة يمكنها تأكيد أنهما كانا معاً في منزله في الوقت المذكور. عثرت الشرطة على الفتاة فوراً، واستجوبها كونراد في المخفر. تبيَّن أنها بائعة في متجر الثياب الذي يملكه هجالتلين، وبدأت تواعد مديرها منذ بعض الوقت، وقد أكّدت رواية حبيبها في البدء، لكن كونراد شَعَرَ أنها تأخذ حذرها. لقد كانت أول مرة تُستدعى فيها إلى المخفر وهي تُستجوَب عن حالة اختفاء أو حتى جريمة قتل بقيت الصحف تتكلَّم عنها باستمرار. بالإضافة إلى ذلك، وبسبب عدم تعاطيها أبداً مع الشرطة من قبل، راحت تتساءل عما يحصل لها، لكن كان هناك شيء آخر. ذلك الرباط المطاطي الذي بقيت تبرمه بين أصابعها، ونظراتها الماكرة، ولمحاتها المنتظمة نحو الباب المُغلق وأسئلتها المتكرِّرة: هل انتهينا؟ اعترَفت أخيراً بعد ساعتين أنها زارت هجالتلين بالفعل، لكنها غادرت في نفس وقت مغادرته، ولا تعرف إلى أين ذهَب، وقد تطابق الوقت الذي ذكرته مع توقيت الجدال في مرأب السيارات. ثم أضافت أن هجالتلين اتصل بها لاحقاً ليطلب منها أن تقول إنها أمضت المساء بأكمله في منزله في حال سألها أحدٌ – وقد بدا أمراً غير محتمل.

– متى؟ سأل كونراد الشابة التي أمضت وقتها تعبث برباطها المطاطي.

– ماذا؟

– متى اتصل بك ليطلب منك ذلك؟

– آه، بعد بضعة أيام.

– بعد بدء البحث؟

– نعم.

– هل أنتِ متأكدة أنه اتصل بك بعد بدء البحث؟ هذا مهم جداً.

– نعم، بعد بدء البحث.

– ماذا أخبرك؟ إلى أين ذهب تلك الليلة؟ سأل كونراد.

– لزيارة صديق.

حدَّق بها كونراد.

– صديق؟

– نعم.

– سيغورڤن؟

– لا أعرف. ذكرَ صديقاً فحسب.

– لا أفهم. هل كان لديه موعد مع سيغورڤن أم مع صديق آخر؟

– لا أعرف. لم أسمع جيداً ما قاله.

وفقاً للمحامي الذي طالَب أن يُخلى سبيل موكِّله، بدا واضحاً لماذا طلب ذلك الأخير من الفتاة أن تكذب، فقد خشي هجالتلين أن يُشتبَه به بسبب الشجار الذي وقع بينه وبين سيغورڤن وأراد أن يحمي نفسه. كان تصرّفاً مُربِكاً، إن لم نقل غبياً، لكنه أيضاً تصرّف بشري ومفهوم تماماً. فلو طلب من هذه الشابة أن تكون دليل عدم تواجده في مكان الجريمة قبل بدء البحث، لاختلفت الأمور كثيراً، ولأصبح عندها منطقياً جداً أن يُعتبر المسؤول عن اختفاء سيغورڤن.

التواقيت التي قدَّمتها البائعة حدَّدت أنه كان لدى هجالتلين متّسع من الوقت ليزور سيغورڤن في مركز عمله، لذا غيَّر المشتبه به روايته فجأة، وقال إنه يتذكَّر الآن ذهابه إلى مرأب السيارات ذاك قبل أن يزور امرأةً رفَض أن يكشف هويتها كونها متزوجة.

راح كونراد يحدِّق بكتاب الحِكم القديمة على المكتب، وتساءل إن فتحه السجين يوماً ما، وإن كان يعرف الحكمة التالية: "الأمين في القليل أمين أيضاً في الكثير، والظالم في القليل ظالم أيضاً في الكثير".

– أقرأه كل يوم، قال السجين وقد رأى كونراد يحدِّق بالكتاب. هذا يساعدني كثيراً.

7

شَعَر أن هجالتلين غفا، فقد أغمض عينيه وتباطأت أنفاسه، وقال كونراد لنفسه وهو يجلس صامتاً بجانب سريره أنه لن يعيش طويلاً. بدا له شاحباً جداً ومُتعَباً جداً، وكانت بشرته الضاربة إلى الرمادي دلالةً على أن المرض سينتصر.

– هل تفكِّر بالماضي؟ سأل هجالتلين بصوت أجش ودون أن يفتح عينيه. غالباً ما أفكِّر بذلك الحجز لدى الشرطة قبل ثلاثين سنة، وهي ذكرى سيئة جداً.

– لقد أبليتَ بلاءً حسناً، رَدَّ كونراد. تريد الشرطة معرفة كيف أوصلته إلى تلك المُجلَّدة. لقد تم اعتقالك أسبوعين بعد الاختفاء، وهذا أعطاك وقتاً أطول مما تحتاج إليه لإخفاء الجثة.

فتَح هجالتلين عينيه، وبقي يحدِّق بالسقف لفترة طويلة قبل أن ينهض ويجلس على حافة السرير. وضع وجهه بين يديه، وتنهَّد تنهيدةً عميقةً، ثم ملَّس رأسه الأصلع، ونظَرَ إلى كونراد.

– لم تطأ قدماي أي مُجلَّدة أبداً، همَس بصوتٍ منهكٍ. توقف عن ذلك يا كونراد، فلم يعد لديَّ الكثير من الوقت.

– كان لديك جِيبٌ وقتها.

– الجميع كان لديه واحدٌ. ليس لديك الحق بأن تفعل شيئاً كهذا بي، فأنت مَن كان يُفترَض به أن يحل هذا التحقيق، لكن انظر إلى فعلتَه بي يا كونراد. كما لو أنك قتلتني، ولم تكن لديَّ أي حياة، فالجميع ينظرون إليَّ كما لو أنني قاتل، ويعتبرون أنني قَتَلتُه. الجميع يحدِّقون بي و... هل يمكنك أن تتخيَّل هذا الشعور يا كونراد؟ هل يمكنك أن تتخيَّل أن تحيا هكذا حياة؟ أن تتحمَّل هكذا جحيم كل يوم؟ كانت مسؤوليتك أن تجد القاتل، لكنك مجرد تافه. أنت وزملاؤك كلهم مجرد أشخاص غير كفوئين. مجرد حفنة من العاجزين المساكين.

شَعَر كونراد بإنهاك هجالتلين الكبير، وراح يستمع إلى غضبه بصمت وهو

يُشفق عليه، فلم تكن حياته ممتعة منذ لحظة اعتقال الشرطة له.

– وماذا بشأن تلك المرأة التي تدّعي أنك أمضيتَ المساء معها، تلك المرأة المتزوجة التي لا تريد أن تكشف لنا إسمها أبداً...

– ليست مهمة في أي شيء.

– لأنها لم تتواجد أبداً، ردّ كونراد بحدّة. لماذا تصرّ على هذا الهُراء؟ لقد تشاجَرتَ مع سيغورڤن، وهدَّدته، وتبَعته وتجسَّستَ عليه، وانتظَرت اللحظة المناسبة لتهاجمه بجانب خزّانات الماء الساخن على تلة أوسكجوليد.

راح هجالتلين يحملِق به.

– قلتَ إنك تصدِّقني.

نهض كونراد معتبراً هذه المحادثة غير ضرورية.

– قلتُ إن لديَّ شكوك، وكان عليَّ أن أمتنع عن ذلك، وما كان عليك أن تستمع إليَّ، فحتى اليوم لا زلتَ المشتبه به الوحيد، ولم يتغيَّر أي شيء. كما أن هروبك لم يخدم مصلحتك.

– ومع ذلك فقد قلتَ ما قلتَه.

لطالما توسَّل هجالتلين رجال الشرطة أن يحقّقوا بخيوط أخرى، لكنهم اعتبروا أنهم فعلوا ما فيه الكفاية فكل الدلالات تشير عليه. وذات يوم وبعد أن أصبح منهكاً بعد ساعات طويلة من الاستجواب، خطرت ببال كونراد فكرة سيئة أن يُفهمه أنه ليس من المستحيل أن يكون بريئاً، وأن رجال الشرطة لم يستكشفوا حقاً المسارات الأخرى بما فيه الكفاية، لذا راح هجالتلين يستغلّ ذلك.

– لماذا جعلتني آتي إلى هنا؟ سأل كونراد. ليس لديك شيء لتُخبرني إياه، وتُسمعني نفس الأسطوانة دائماً.

– أنت الوحيد الذي يمكنني أن أتكلّم معه. أعرفك جيداً، وكنا في ذلك الزمن نناقش أشياء أخرى أحياناً غير سيغورڤن اللعين.

– تغيَّرت أمور كثيرة منذ ذلك الوقت.

– ظننتُ أننا أصدقاء.

– حسناً، أنت مخطئ.

– حقاً؟

– آسف. لا، لستُ صديقك، وأنت تعرف ذلك جيداً. أتساءل ما الذي تحاول أن تفعله، لكن...

بدا هجالتلين وكأنه ارتدّ إلى الخلف، فقد جرحه كونراد.

– هل... هل تظن نفسك متفوقاً على جميع الآخرين؟ لا يمكنك حتى أن تحلّ تحقيقاً بسيطاً!

– من الأفضل أن نُنهي هذه المحادثة. آمل ألا يكون ألمك قوياً جداً وأن تتعافى قريباً... تؤسفني رؤيتك مُصاباً بمرض خطير، لكن لا يمكنني للأسف أن أفعل شيئاً لك، لذا...

– هل لا يزال ليو الغبي يعمل في الشرطة؟

– ليو؟ نعم، لماذا؟

– إنه قذر حقيقي. لقد فعلَ كل شيء ليحطّمني، وأمضى وقته يكرّر أنني مجرد كذّاب، أنني مذنب.

– قذر؟ هذا ما كنتَ تقوله عنا كلنا.

– ليس عنك.

بقي هجالتلين يحدّق بكونراد لفترة طويلة بعينيه الزرقاوين الفاتحتين اللتين كانتا أشبه بجزيرتين من النضارة على وجهه المدمَّر.

– تذكَّرتُ أبيك عندما وصلتَ، قال.

– لن تعاود هذه السيرة من جديد، أليس كذلك؟

– وفقاً لزملائك، لم يكن عفيفاً. هل تتذكَّر؟ لقد وصفوه لي كوغدٍ حقيقي.

ابتسم كونراد، فقد بقي هجالتلين يُخبره عن أبيه بشكل دوري خلال جلسات الاستجواب في سجن سيدومولي، حيث إن أحد الحرّاس أخبَره القصة بلا شكّ، لذا أصبح هجالتلين يفتح هذا الموضوع كل مرة.

– لطالما شعرتُ بالإطراء من اهتمامك بي، قال كونراد بسخرية.

– لا شكّ أنك صُدمتَ عندما قُتل، قال هجالتلين. أظن أنه موقف صعب جداً. هل كنتما مقرَّبين من بعضكما؟ أم كان حقاً وغداً غير مثير للاهتمام مثلما أخبَرني الحرّاس في سجن سيدومولي؟ زملاؤك. أصدقاؤك. هل صحيح أنه كان يضرب أمك؟ هل رأيتَ ذلك بنفسك؟

لم يُجب كونراد.

– وفقاً لهم، كان مجرد شخص خسيس.

– كل هذا ليس من شأنك، قال كونراد زاجراً.

– قالوا إنه ربما لم يتجنَّب الطعنات التي تلقَّاها قرب المسالخ. هل هذا رأيك؟ هل تعتقد أنه استحَقها نظراً لما كان يفعله بأمك؟

– إلى أين تريد أن تصل يا هجالتلين؟

– كنتُ آمل ألا تكون وغداً مثله.

– حسناً، اعتنِ بنفسك! قال كونراد خاتماً الحديث وهو يهمّ بالمغادرة. كل هذا لا يهمّني.

– هل تعتقد أن المرء يستطيع ألا يتأثر نفسياً بعد أن يرى هكذا صنف من الرجال؟ بعد أن يختبر تلك الأشياء؟ هل تهتمّ لأمره؟ هل هناك شيطان صغير في داخلك؟

– وداعاً.

– لم تعرف أبداً لماذا طُعن، أليس كذلك؟ أصرَّ هجالتلين رافضاً السماح لكونراد بأن يُفلِت منه. لكن لا شكّ أنك أردتَ أن تعرف، في البداية على الأقل، لكن ماذا بعد ذلك؟ كيف كانت ردّة فعلك عندما وجدتَ أنه لا يمكنك إيجاد جوابٍ؟ هل استسلمتَ؟ لم تعد تهتمّ؟ لم يكن يستحق العناء؟ كان مجرد رجل شرير ووغد؟

لم يدع كونراد وابل الأسئلة هذا يُفقده توازنه.

– أليس هذا صحيحاً؟ تابَع هجالتلين. لم يكن يستحق العناء؟

– حسناً، أنا ذاهب. لقد بدأتَ تهذر مرة أخرى، كالعادة.

– أنت صديقي يا كونراد. يمكنك أن تنكر ذلك وترفضه، ويمكنك أن تدافع عن نفسك ضده، لكنك صديقي الوحيد في كل هذه المعمعة، ولطالما كنتَ كذلك. أنت تفهم الأشخاص الذين مثلي ومثل أبيك. أعترف أن لديَّ عيوباً، لكنني لم أقتل سيغورڤن. لستُ القاتل!

عاد هجالتلين إلى السرير.

– أودّ أن أطلب منك معروفاً صغيراً، تابَع يقول. طالما بقي لديَّ بعض العمر

لأعيشه، أتوسَّلك أن تعثر على الذي ارتكب تلك الجريمة.

– تماماً، زملائي السابقون مُقتنِعون بضرورة القبض على المذنب.

– لستُ المذنب، كرَّر هجالتلين. لن أتسلَّق مُجلَّدةً أبداً يا كونراد، أبداً. اطرح هذا السؤال على أي شخص.

– يمكنك أن تكون قد طلبتَ من أحدهم أن يفعل ذلك نيابة عنك، مثلاً من شخصٍ متورِّطٍ في هذه المسألة.

لم يُجب هجالتلين. لم يكن معروفاً في الوقت الحاضر ما إذا مات سيغورڤن على المُجلَّدة، أو ما إذا نقل القاتل جثته إلى هناك. الفرضية الأولى هي الأقل احتمالاً، لأن سيغورڤن لم يكن مولَعاً جداً بالتخييم أو بالنزهات على المُجلَّدات، كما لم يُعثَر على معدّات في منزله توحي أنه كان مهتماً بها. صحيح أنه امتلَك زوج زلاّجات، على غرار كثيرين في ريكيافيك، لكنه استخدَمها فقط للنزهات على جبال بلاوفيول قريباً جداً من العاصمة، ولم تكن سيارته الجِيب مجهَّزة لمواجهة المُجلَّدات، ولم يمتلك درّاجة ثلجية أبداً. لذا فإن الفرضية الثانية أكثر احتمالاً: أن قاتله أحضَر جثته إلى لانغيوكل على الأرجح.

– لماذا اخترتَ مُجلَّدةً؟ سأل كونراد. أظن أنه كان يمكنك أن تجد مكاناً أفضل للتخلّص من الجثة، فالمُجلَّدة لا تمحو الأدلة بل تحافظ عليها، تماماً مثلما حافظت على الجثة. لقد رأيتُ سيغورڤن، وبدا كما لو أنه مات البارحة. لم يُفسده الجليد، بل على العكس تماماً. يبدو أن تلك السنوات الثلاثين لم تشوّهه أبداً.

ابتسم هجالتلين ابتسامةً حزينةً.

– هل ستفعل لي ذلك المعروف؟

– لم أعد شرطياً، رَدَّ كونراد. لقد أتيتُ إلى هنا بناءً على طلبك، فقد كنتُ فضولياً قليلاً وأردتُ معرفة إن تغيَّرت، لكنني أتقاضى مبلغاً زهيداً مقابل هذا.

– أريدك أن تبرّئني من تلك الشكوك لمرة واحدة وإلى الأبد، رَدَّ هجالتلين بصوتٍ منخفضٍ لدرجة أنه بالكاد يمكن سماعه. هل تراني؟ انظر إليَّ! أريدك أن تبرّئني! لم تتمكّنوا أبداً من إثبات التهمة عليَّ، ولن تفعلوا ذلك اليوم. ليس أنا مَن وضعه على تلك المُجلَّدة، بل شخص آخر.

استوى جالساً على سريره وراح يحدِّق بكونراد.

– ليس أنا!

– وداعاً.

– إذا عثرتَ على القاتل، اجعله يدفع الثمن، ختمَ هجالتلين كلامه وانهار على السرير. هلاّ فعلتَ ذلك لي؟ دفّعه ثمن الجحيم الذي جَعَلني أعيش فيه...

ارتاح كونراد لعودته إلى الهواء المنعش للطقس الصافي، فقد بقي يشعر بانزعاج متزايد خلال تواجده في تلك الزنزانة، ولم يساعده وجه هجالتلين المنهك والمريض. دوّن ملخّصاً بمقابلته في تقريرٍ، ثم غادر بهدوء إلى منزله مروراً ببلدة سيلفوس، وسرعان ما وجَد نفسه على أرض هيليشيدي السبخة، وقد تجاوز سُحُب البخار الأبدية لمصنع الطاقة الحرارية الأرضية، ثم شاهَد ريكيافيك من بعيد. لم يستطع أن يتوقف عن التفكير بتلك الزيارة، بذلك الصوت الأجش المنهك، بوجه هجالتلين المتّشح بموت وشيك، وبكلمات الحارس عندما سأله إن كان السجين يقرأ كتاب الحِكم القديمة.

– لم أره يفتحه أبداً، رَدَّ مناقضاً كلام السجين. أخبَرني أنه لا يساعده أبداً.

كان كونراد لا يزال يفكّر بذلك عندما أوى إلى السرير بُعيد منتصف الليل، والمطر ينهمر بغزارة. لم يعرف مَن الذي أخبَر هجالتلين عن مصير أبيه المأساوي أثناء تواجده في الحجز لدى الشرطة قبل ثلاثين سنة، وقد راح المشتبه به يستجوبه عن ذلك الموضوع طوال الوقت، بتردّد في البدء، لكن لم يمرّ وقت طويل حتى ازدادت ثقته بنفسه وأصبح يكلّمه عن الأمر كلما التقيا. لقد وجَد هجالتلين نقطة ضَعفه.

– لماذا تعتقد أنه قُتل؟ سأل. ألم تحاول أن تعرف بعد أن عملتَ في الشرطة؟ يف كانت علاقتكما؟ هل كان أباً صالحاً؟ هل كان ألطف معك مما كان مع ك؟

بقي كونراد يتفادى تلك الأسئلة في البداية، لكنه استسلم في النهاية وأخبره بما يعرفه عن وفاة أبيه، عندما يترك له المجال ليتكلّم. كان كونراد في الثامنة عشرة من عمره عندما وقعت جريمة القتل، وشرَح لهجالتلين أن أباه طُعن مرتين، وأن الشرطة لم تعثر أبداً على سلاح الجريمة أو القاتل. لقد غطّت الصحف القضية

بشكل مكثّف، واكتفى كونراد بتلخيص ما قرأه فيها. ومع اقتراب نهاية فترة حجزه، أراد هجالتلين أن يعرف المزيد فسأله عن الشعور الذي انتابه وعن سبب انفصال والديه، لكن كونراد رفَض الإجابة على ذلك.

– وأصبحتَ شرطياً، أشار هجالتلين عندما أُطلق سراحه. أنت إبن ذلك الرجل. ألا يبدو لك ذلك غريباً؟ هل تجد هذا منطقياً؟

راح كونراد يتقلّب على سريره محاولاً التفكير بشيء آخر، ثم غفا في نهاية المطاف، لكن النوم لم يجلب له الراحة فقد رأى في حلمٍ وجهَ هجالتلين الشاحب مثل ملاءةٍ وعينيه الزرقاوين تحدّقان به. استيقَظ جافلاً في منتصف الليل والعرق يزخّ منه، وقد تملّكه شعورٌ بغيضٌ.

بعد بضعة أيام على مقابلتهما في سجن ليتلا–هرون، حكمت المحكمة العليا بعدم وجود سبب لإطالة فترة احتجاز هجالتلين.

وبعد أسبوعين، علَم كونراد أنه تُوفِّي في قسم السرطان في المستشفى الوطني. بقي حتى لحظاته الأخيرة ينكر أنه قتل سيغورڤن.

8

اجتاحت منخفضات الخريف العنيفة شمال المحيط الأطلسي، وأغدقت على آيسلندا حصتها من الأمطار والعواصف مما سبَّب انخفاض درجات الحرارة. منذ أن تقاعد كونراد والأيام تبدو ضعف طولها العادي، خاصة في هذا الفصل من السنة، والعالم منعدم الوزن، والدقائق تطول وتصبح ساعاتٍ، والوقت يسير ببطء متحرِّراً من أصفاد العادة. أيامٌ ولياليٍ من العمل. استراحات غداء. ساعات عمل إضافية. اجتماعات. استراحات قهوة. أيام عطل. عمل. لقد اندمجت كل تلك الأمور في سبتٍ طويلٍ، وأضحت حياته مجرد يوم عطلة لا ينتهي.

يذهب من وقت لآخر ليتناول العشاء في منزل إبنه ويسهر معه. يقرأ الصحف والكتب، ويتصفَّح الانترنت، ويزور المتاحف، ويذهب إلى السينما والمسرح، ويتنزَّه في مكتبات الكتب المستعملة، ويفعل كل شيء كان مقتنعاً أنه لم يكن لديه الوقت الكافي ليفعله طالما أن لديه دوراً ليلعبه في المجتمع. غالباً ما شَعَر كأنه سائحٌ في المدينة، عِلماً أنه اختلط بهم أكثر من مرة في متحفٍ أو أثناء سيره في شارع سكولافوردستيغور، فلا يعود يسمع فجأة سوى السويدية من حوله. كما أنه تمت مخاطبته مرتين بالفرنسية أثناء انتظاره في الطابور خارج أحد المطاعم. هذا ما يحصل لك عندما تتجوَّل في المدينة بينما الجميع في وظائفهم.

أصبح الوقت يُقاس بفصول السنة من الآن وصاعداً، وكونراد يفضِّل الربيع، فالأيام تطول، والشمس تصبح أعلى في السماء، والنباتات تستيقظ، والطيور المهاجِرة تعود، وتبدأ المدينة عودتها إلى الحياة بعد الشتاء. كان معتاداً أن يسافر مع زوجته إرنا داخل آيسلندا في الصيف، وقد أصبحت بعض الأماكن عزيزة عليهما، مثل ثاغيل، عند سفح ميردالسيوكل، على مقربة من بركان كاتلا، وقد حاوَلا أن يذهبا إلى هناك كل سنة. كونراد لا يحبّ الخريف، فالشمس تنخفض في السماء، والرياح تطيِّر الأوراق الميتة في الشوارع، والشتاء هو فصل الجمود في السنة، حيث يمضيه الناس بانتظار أن تبدأ الشمس بالارتفاع قليلاً أكثر في السماء.

خيَّم منخفض جوي آخر فوق المدينة، مصحوباً برياح عاتية مفاجئة ومطر غزير، واستقرّ كونراد داخل مكتب مارتا في مخفر هڤيرفيسغاتا ليسألها عن ساعات هجالتلين الأخيرة، بعد أن فكَّر ملياً واتصل ليسألها إن كان يمكنه القدوم لرؤيتها. بكل سرور، رَدَّت عليه. لم يعد كونراد يزور المخفر كثيراً منذ تقاعده، ولا يعرف رجال الشرطة الجدد، لكن زملاءه القدامى حيّوه بحرارة، واطمأنوا على أحواله، وأخبروه أن هذا المجتمع على شفير الهلاك، لكن هذا ليس خبراً جديداً.

مارتا امرأةٌ بدينةٌ في الأربعينات من عمرها، وذات بشرة داكنة بشكل مدهش ورأس مَهيب، وشعرها أشعث في معظم الأحيان، وذوقها في الملابس المشكوك بأمره كثيراً يتلخَّص بسراويل واسعة وسترات عديمة الشكل، ومن النادر أن تضع أحمر شفاه أو ترشّ عطراً. عاشت مع امرأةٍ من جُزُر ڤيستمان لفترة طويلة، لكنها عزباء منذ انفصالهما، ويسخر منها زملاؤها بتلقيبها مارتا الأنيقة.

– دُفن هجالتلين وسيغورڤن بفارق أسبوع بينهما، قالت وهي تقدِّم القهوة لكونراد في كوب بلاستيكي. ألا تعتقد أن هذا الأمر غريب؟ تُوفِّي أحدهما مؤخراً والآخر منذ ثلاثين سنة.

– لم تُخبِرني أن هجالتلين مريض.

– لا. هل تعتقد أنه كان عليَّ أن أحذِّرك؟

– كان في حالة صحية رهيبة.

– لم نعرف أنه لم يتبقَّ له سوى وقت قصير.

– هل وجدتم أي أدلّة على المُجلَّدة؟

– لا. أظن أننا سنغلق هذه القضية بالتأكيد.

– ألم يعترف هجالتلين أبداً؟

– لا.

– لماذا إغلاق التحقيق إذاً؟

– القرار ليس قراري. يرى الرؤساء أن القضية طالت جداً.

– طلب مني إيجاد القاتل.

– كان عنيداً. ماذا قلتَ له؟

– أنني تقاعدتُ.

كانت الطبيبة الشرعية سڤانهيلدور قد أعلمت كونراد سراً أنها تثبّتت من صحة افتراضها في بداية تشريح الجثة بأن سيغورڤن مات من صدمة في الرأس، حيث إن قاتله ضربه مرتين على الجهة الخلفية لرأسه ساحقاً عظام جمجمته. وقد أظهرت حالة يديه أن سيغورڤن لم يقم بأي محاولة ليدافع عن نفسه، فأظافره نظيفة ومقلّمة بشكل أنيق، وقد زار مصفِّف الشعر مؤخراً. لم تُفحَص أعضاؤه الداخلية إلى أن ذاب الجليد، وقد أصبحت أصابع سڤانهيلدور باردة جداً خلال تشريح الجثة لدرجة أنها اضطرت أن تغطّسها بشكل دوري في حاوية ماء ساخن وضعتها بجانبها. كشفت محتويات معدة سيغورڤن أنه أكَل همبرغر وبطاطا مقلية قبل وقت قصير على وفاته، افتراضياً في مطعم وجبات سريعة. ولم يُعثَر على شيء في جيوبه غير مفاتيح منزله ومحفظته، وقد افتُرض أنه توقَف في منزله بعد نهاية يوم عمله والمشادّة في مرأب السيارات، وخلع بذلته ليرتدي ملابس مريحة أكثر قبل أن يعاود قيادة سيارته ليشتري طعاماً ويصعد إلى خزّانات الماء الساخن في أعلى تلة أوسكجوليد. وفي ذروة البحث، كافحت الشرطة عبثاً لإيجاد شهود رأوه في مطعم وجبات سريعة أو محطة وقود.

كشف التحقيق أنه عاش حياة هادئة، ولم تكن له أي علاقة بعالم الانحراف، أو بأي لصوصٍ ومحصِّلي ديونٍ، ناهيك عن مجرمين خطيرين، بل أدار أعماله بشكل جيد، ولم يذكر أيٌّ من موظفيه الكُثُر سوى أشياء جيدة عن مديرهم. لم يُعرَف ماذا ذهَب يفعل قرب الخزّانات، فقد كانت فارغة ومهجورة في ذلك الوقت، لكنها لطالما أفادت المدينة بتزويدها بالماء الساخن. وفي وقت اختفاء سيغورڤن، كان الأولاد قد حوَّلوها إلى أحد ملاعبهم، حيث يرسمون غرافيتي عليها أو يتسلَّقونها، وحتى أن الجريء منهم يتسلّقها إلى أعلاها، وهذا أمر خطير جداً.

– باختصار، هل يمكننا القول إنه كان لديه موعد مع أحدهم قرب الخزّانات، ثم رافق ذلك الشخص إلى المُجلَّدة – إن كان قد قُتل هناك؟ سأل كونراد.

– نعم، لكنه لم يكن يرتدي ملابس مناسبة، رَدَّت مارتا. ولا شكّ أن مَن كان معه قد أعاره ملابس دافئة ثم خلعها عنه، وهذا يبدو لي أمراً بعيد الاحتمال.

– سيغورڤن اختفى في فبراير مرتدياً قميصاً عادياً وسترةً صيفيةً، مما يلمّح إلى أنه لم يكن يتوقع أن يبقى خارجاً لفترة طويلة.

– إضافةً إلى أنه كان يرتدي حذاءً رياضياً، كما لو أنه لم يكن ينوي حتى أن ينزل من السيارة، ناهيك عن الانتقال إلى مُجلَّدة. وفي الليلة التي شُوهد فيها لآخر مرة، كان الطقس جيداً جداً. صحيح أن السماء أثلجت كثيراً منذ بداية السنة، لكن الحرارة عادت وارتفعت مرة أخرى قبل وصول موجة برد أخرى. وحين اختفى، كانت الشوارع خالية من أي ثلوج. هل تتذكَّر؟

– من الممكن أن يكون قاتله قد خطفه، حيث إنه رَكِب سيارة جِيب معه، واكتشف فجأة أنه يؤخَذ إلى مُجلَّدة، فنشبت مشادَّةٌ تلقى خلالها ضربةً على رأسه. إلا إذا ذهَب إلى هناك بملء إرادته؟

– وفقاً لنتائج تشريح الجثة فقد تُوفِّي قبل ذلك، لأن الجثة بدأت تتصلَّب والأنسجة تتفكَّك.

– لكن لماذا أخذه إلى مُجلَّدة؟ وما المميّز في لانغيوكل؟ لماذا أخفاه هناك؟

– هل تتكلّم عن هجالتلين؟ لا أعرف.

هزَّ كونراد كتفيه، وتذكَّر كيف عُثر على السيارة، فقد نشرت الشرطة بلاغ بحثٍ وتحرٍ، وسرعان ما تلقت اتصالاً هاتفياً للتبليغ عن وجود جِيب شيروكي أحمر في أعلى تلة أوسكجوليد. غالباً ما يفكِّر كونراد بتلك المركبة لأنه يحلم باقتناء واحدة مثلها، فهو يجدها جميلة وفسيحة بشكل كافٍ، ومجهَّزة بخيارات جذّابة كالتحكّم بالتروس من المِقوَد، لكن حتى ولو كان قادراً على تحمّل ثمنها فإنه لن يختار اللون الأحمر بل الأبيض. عُثر على الجِيب المهجور في نهاية طريق حصى يؤدي إلى الخزّانات، وتم تمشيط التلة والمنطقة المحيطة بها بشكل جيد باستخدام كلاب بوليسية على أمل العثور على سيغورڤن هناك، لكن دون جدوى. عُثر على الطريق وبجانب الخزّانات على آثار عجلات كثيرة، ورفعَ فريق الأدلة الجنائية الآثار الأقرب إلى الجِيب، لكنهم لم يجدوا أي آثار عراك أو أقدام على الطريق. توفِّر قمة تلة أوسكجوليد منظراً بانورامياً للمدينة فتمكّنك من رؤية خليج فاكسافلوي، ومُجلَّدة سنايفلزيوكل، وأرض هيليشيدي السبخة، وسلسلة جبال بلاوفيول، وجبل إسجا، ورأس شبه جزيرة ريكيانس.

– هل زرتِ هجالتلين في المستشفى؟ استفسر كونراد وهو يُنهي قهوته، ملاحظاً أن المذاق لم يتحسَّن منذ تقاعده.

– لا، رَدَّت مارتا. تدهورت حالته كثيراً خلال احتجازه. في الواقع، دخلَ المستشفى حالما أُطلق سراحه، ولم يعتقد طبيبه أن الأمور ستسير بهذه السرعة.

– لا شكّ أنه صُدم عند سماعه أنه عُثر على سيغورڤن بعد كل ذلك الوقت.

– أتخيَّل ذلك.

– لكنه لم يذكر لي ذلك عندما زرتُه. وجدتُه مستلقياً على سريره، هادئاً ومستسلماً. من الواضح أنه كانت لديه أشياء أخرى ليفعلها في حالته تلك.

– ألم يُخبرك بأي شيء جديد؟

– لا، كرَّر لي أنه بريء.

– وماذا تنوي أن تفعل بهذه المعلومة؟

– لا يمكنني أن أفعل أي شيء بها، رَدَّ كونراد. هذه ليست مسؤوليتي.

– هل طلب منك أن تساعده؟

– نعم.

– و؟

– الأمر غير وارد أبداً. أنتِ مَن سأله عن مكان مفاتيح سيارة سيغورڤن؟

– لم يعرف، أجابت مارتا. وهل سألتَه هذا السؤال؟

– لم أعرف أنه لم يُعثر عليها مع الجثة، فسڤانهيلدور لم تكن قد أنهت تشريح الجثة بعد عندما ذهَبتُ لرؤية هجالتلين. كان سيغورڤن يحمل محفظته ومفاتيح منزله معه، لكن ليس مفاتيح سيارته. ألا تجدين هذا غريباً؟ مَن معه مفاتيح جِيبه؟

هزَّت مارتا كتفيها تعبيراً عن جهلها الجواب.

– هناك نوع من الإهمال في كل هذا، قال كونراد. عندي انطباع أن القاتل أفسدَ المهمة الموكلة إليه.

– لم ألتقِ أبداً بشخص عنيد مثل هجالتلين، قالت مارتا بعد صمتٍ. كان يعرف إلى أين هو ذاهب عندما أطلقنا سراحه، ويعرف أن مصيره محتوم.

– ورغم كل شيء، بقي ينكر أنه قتل سيغورڤن، رَدَّ كونراد. رغم أنه ليس لديه أي شيء آخر ليخسره، ورغم أنه يُحتضَر.

– بقي ينكر حتى نَفَسه الأخير، ختمت مارتا الحديث وهي تسحق كوبها قبل رميه في سلة النفايات.

9

يعمل هوغو، إبن كونراد، معالِجاً وظيفياً في المستشفى الوطني، ويحضر بشكل دوري مؤتمراتٍ حول العالم مع زوجته التي تدير متجراً في مركز التسوّق كرينغلان. عندما يسافر هوغو، غالباً ما يعتني كونراد وإرنا بإبنيهما التوأمين المفعمَين بالحيوية والمتعلّقين جداً بجَدَّيهما. أصبح الفتَيان الآن في الثانية عشرة من عمرهما، ويدّعيان أنهما قادرين على أن يعتنيا بنفسيهما أثناء سفر والديهما، لكن رُفض هذا الخيار، وأخذهما كونراد إلى منزله لبضعة أيام، واعداً إياهما بأخذهما إلى السينما، فاختارا مشاهدة فيلم حركة سيئ حقاً لم يفهم جَدّهما شيئاً منه، وهو بطولة نجمة من هوليود دهنت جسمها بالزيت واستطاعت أن تقضي على جيش العدو بأكمله.

أعطته صُحبة حفيدَيه استراحةً لطيفةً من الروتين، وحاوَل إرضاءهما رغم أنه افترَض أن والديهما يدلّلانهما أكثر من اللازم، لكنه رفَض أن يتدخّل بطريقة تربيتهما، وقد دُهش جداً من المتطلبات التي على هذين الولدين المسكينين تلبيتها، حيث يُجبران على ممارسة كل أنواع النشاطات الرياضية طوال الأسبوع، وأخذ دروس موسيقى، والمشاركة في ورش عمل فنون تشكيلية، وأشياء عديدة أخرى لم يستطع كونراد الاستمرار في عدّها.

– يعاني هذان المسكينان من إرهاق في الطموح، قالت أخته بيتا ذات يوم بينما كانا يتناقشان جدول مواعيد الولدين المزدحم.

كان كونراد قد أوصلهما إلى المدرسة في الصباح، ثم اصطحبهما بعد دروس الغيتار ليأخذهما إلى السينما، فوضعا آلاتيهما الموسيقيتين في صندوق سيارته الجِيب، وعندما عادا إلى المنزل، طلب منهما أن يُرياه ماذا يمكنهما أن يعزفا. رفَض الولدان بحجة أن دروس الغيتار مملة بما فيه الكفاية، ثم احتكَرا التلفزيون عبر توصيل جهاز ألعاب الفيديو به، وبقيا في فقاعتهما إلى أن حان وقت النوم. إنه يوم الجمعة، فسمح لهما كونراد أن يبقيا مستيقظين بقدر ما يشاءان، لكنه أطاع إبنه عندما اتصل به من غوتنبرغ حوالي منتصف الليل وطلب منه أن

يرسلهما إلى سريريهما.

كان الولدان قد سمِعا والديهما يتكلّمان عن اكتشاف الجثة.

– جَدّي، سأل أحدهما وهو يُلقي رأسه على الوسادة، هل صحيح أنك تعرف الرجل الذي عُثر عليه على المُجلَّدة؟

– لا، رَدَّ كونراد.

– لكن هذا ما قاله لنا بابا، أصَرَّ الآخر وعيناه لا تزالان حمراوين من كل القتل الذي ارتكبه في لعبة الفيديو الخاصة به.

– لم أعرفه شخصياً، لكنني أعرف مَن هو.

– أخبَرنا بابا أنك بقيت تبحث عنه لسنواتٍ عندما كنتَ شرطياً.

– هذا صحيح.

– لكنك لم تعثر عليه أبداً.

– لا.

– لماذا؟

– لأن قاتله أخفاه على تلك المُجلَّدة. بالمناسبة، الفيلم الذي أجبرتماني على مشاهدته سيئ حقاً.

– لا، كان رائعاً، احتجّ التوأمان. رائع جداً!

– أنتما غبيان صغيران، رَدَّ كونراد وهو يبتسم لهما قبل أن يغلق باب غرفتهما.

تبِعته ضحكة الأخوين إلى المطبخ الذي راح يرتّبه قبل أن يأوي إلى السرير، وعندما صمتا، سمِع قرعاً هادئاً على الباب الأمامي. ظنَّ في البدء أن الرياح تهزّ مُصفِّقة صندوق البريد عند المدخل، لكنه سمِع قرعاً آخر وبدا حازماً أكثر. لم يكن يتوقع زيارةً، عِلماً أن أخته بيتا تصل عادة في أي وقت من النهار أو الليل، لكنها تملك مفتاحاً وتدخل منزله دون إنذار مسبق، فهي لا تتكبَّد أبداً عناء قرع الباب، والاحتمال ضئيل أن يكون هناك مندوب مبيعات يتنقّل من بيت إلى آخر في هكذا وقت، عِلماً أن كونراد معتاد أن يشتري جمبري وسمكاً مجفَّفاً من أولئك الأشخاص، لكنهم لا يغامرون بإزعاجه في وقت متأخر من الليل.

ذهَب ليفتح الباب، ووجدَ امرأةً مجهولة السنّ على الدرج.

– رأيتُ الضوء، قالت. هل يمكنني أن أتكلّم معك؟

بسبب خجلها وتردّدها وعدم قدرتها على صياغة سبب زيارتها، توقّع كونراد أن تسلّمه صحيفةً أو تذكرة قرعة، وخطر بباله أن يطردها، لكنه وجدها بائسة وعاجزة لدرجة أنه لم يتجرّأ أن يفعل ذلك. بدت له ملابسها سيئة، فهي ترتدي سروال جينز رثّاً، وسترةً من الجلد الاصطناعي، وكنزةً أرجوانيةً، وهناك رباط أسود يحيط شعرها الأشقر السميك، ورأى أنها لا تزال جميلة ونحيلة رغم أن آثار العمر وتجارب الحياة بادية على وجهها، وعلى شفتيها المزمومتين، وفي التجاويف العميقة المحفورة تحت عينيها.

– أعتذر لإزعاجك في هذا الوقت المتأخر، قالت.

– ماذا تبيعين؟ سأل كونراد. هل انتبهتِ كم الوقت الآن؟

جالَ بنظره على مرأب السيارات ليتأكد أنها لوحدها، فقد حصَل معه أكثر من مرة أن الأشخاص الذين يتعامل معهم بُحكم عمله لا يوبّخونه على الهاتف فحسب، بل يأتون إلى منزله في المساء ليُخبروه بما يدور في ذهنهم، ودائماً ما ينتهي الأمر بشكل جيد حيث يكون شراب العنب مسؤولاً عن زيارتهم في كل مرة، فيتمكّن كونراد من تهدئة الشخص المعني دائماً، أو يستمع إلى تأنيبه بصبر قبل أن يستأذن بالانصراف بتهذيب.

– إنني لا أبيع شيئاً، رَدَّت المرأة. أردتُ فقط إخبارك عن أخي، إذا سمحتَ لي بالدخول للحظةٍ.

– أخوك؟ هل أعرفه؟

– لا. لا أظن.

– وأنتِ؟ هل يجب أن أعرفك؟

– أنا هنا لأكلّمك عن شيء رأيتُه في طفولتي، عند أسفل الخزّانات على تلة أوسكجوليد.

10

همَست الغريبة كلماتها الأخيرة بصوتٍ خافتٍ لدرجة أن كونراد بالكاد سمِعها، وعندما حدَّق بها وفهِم فوراً عما تتكلَّم، أخفَضت نظرها كما لو أنها طرحت موضوعاً تخجل منه، وساد صمتٌ سرعان ما خرقه هدير محرِّك صاخب لسيارةٍ مرَّت بجانب المنزل. هذه أول مرة يرى فيها كونراد هذه المرأة، وكان متأكداً أنه لم يستجوبها خلال التحقيق.

– قلتِ خزّانات أوسكجوليد. هل تقصدين سيغورڤن؟ سأل بحذر.

– سامحني لإزعاجك في هكذا وقت.

– لا تقلقي.

– هل يمكنني الدخول؟

– تفضلي، رَدَّ كونراد وهو يفتح بابه ويدعوها إلى الدخول. لن أدعك تبقين في الخارج، رغم أنني غير معتاد على استقبال زوّارٍ في هكذا وقت متأخر من الليل، وحتى يمكنني أن أقول في منتصف الليل.

ألقى نظرة سريعة على ساعته التي أشارت إلى أنه منتصف الليل. تبِعته الغريبة إلى غرفة الجلوس وهي لا تزال متردّدة وخجولة، وراحت تنظر إلى خزائن الكتب واللوحات التي تزيِّن الجدران.

– تفضلي بالجلوس. هل تريدين بعض القهوة؟ عرَض كونراد. إلا إذا كنتِ تفضِّلين شيئاً آخر؟

– لن أمانع. إسمي هيرديس، تابَعت تقول وهي تمدّ يدها لتصافحه. ويمكنك ربما إضافة قليل من الشراب، فأنا أشعر ببعض البرد من هذه الرياح الشمالية.

– سأهتمّ بالأمر.

جلست هيرديس على أريكةٍ وتابَعت تتفحَّص غرفة الجلوس بينما أعدَّ كونراد القهوة وأضاف قليلاً من الشراب الروسي الذي يحتفظ به في خزانة المطبخ بجانب قارورة شراب البذور وتوت العرعر وقارورة شراب دبس قصب السكر. يحتسي

كونراد الشراب باعتدال، ويفضّل شراب العنب الأحمر في معظم الأحيان، لكنه صَبَّ جرعةً كريمةً من الشراب في قعر أحد الكوبين وهو يتساءل عن مغزى هذه الزيارة المفاجئة. لماذا جاءت هذه المرأة لرؤيته في هذا الوقت المتأخر في منزله بدلاً من الذهاب إلى الشرطة؟ ربما اعتقدت أنه لا يزال محقِّقاً؟ فإسمه كان يُذكَر في الصحف في أغلب الأحيان، كما أنه خدَم كناطق رسمي للشرطة من وقت لآخر. ألقى نظرة سريعة على غرفة نوم التوأمين في طريق عودته إلى غرفة الجلوس، ورآهما يغطّان في النوم، فأغلق الباب. مكتبة .. سُر مَن قرأ

– أصبح الطقس بارداً قليلاً بالفعل، قال وهو يجلس بجانب الغريبة.

أخذت هيرديس الكوب الذي قدَّمه لها، وابتلعت القهوة غير الساخنة جداً وأعادت له الكوب.

– هل تريدين كوباً آخر؟ سأل كونراد.

أومأت برأسها، لذا عاد إلى المطبخ ليُحضِر إبريق القهوة وقارورة الشراب ووضعهما أمام ضيفته. صَبَّت هيرديس قليلاً من القهوة في كوبها، وأكملت تعبئته بالشراب الروسي، وأخذت رشفةً كبيرةً، ثم أفرغته في حلقها، ووضعته على الطاولة، بينما كونراد ينتظر بصبر.

– كان في التاسعة، بدأت تقول بعد أن دفأت. كنا فقراء جداً، ونعيش في قبو صغير جداً في حي ليدار، ونُمضي أيامنا في الخارج حيث نتسكَّع في الشارع، أو نلعب كُرة القدم في ملعب كلامبراتون الكبير، أو نلعب على تلة أوسكجوليد. كان المكان ملعباً رائعاً للأولاد. أخيراً، مثلما تعرف... هناك البقايا التي خلَّفها الإنكليز بعد الحرب، ومقلع الحصى والغابة. والأمر يبدو لنا... وخاصة تلك الخزّانات المثبَّتة في الأعلى... أشبه بقصة خرافية.

– أتذكَّر ذلك جيداً جداً، رَدَّ كونراد. كانت الخزّانات بيضاء، لكن ساءت حالتها في النهاية، وبقيت هكذا لفترة طويلة.

– نعم، تم هدمها في ذلك الوقت لبناء خزّانات جديدة، وبَنَينا اللؤلؤة فوقها.

بقيت هيرديس تتكلَّم بصوتٍ منخفضٍ محاولةً إعطاء انطباع جيد، لكنها لم تستطع إخفاء عطشها، وقدَّر كونراد أنها في الأربعينات من عمرها رغم أنها تبدو أكبر سناً. رأى أصابعها النحيلة تضغط على الكوب، ولمحَ سواداً تحت أظافرها.

– كان في التاسعة، كرَّرت.

– ماذا رأى؟

– لم يُدرِك في ذلك الوقت أن ما رآه قد يكون مهماً، فلم يعرف أن الشرطة تحقِّق في اختفاء سيغورڤن. كان فتى صغيراً ولم يعرف أي شيء عن تلك القضية، ولم يسمع بها إلا بعد ذلك بوقت طويل، وفهِم أن ما رآه مرتبطٌ بها على الأرجح، لذا أصبح مهتماً بها. لقد مرَّت ثلاثون سنة وهذه مدة طويلة لدرجة أنه تساءل تقريباً إن كان ذلك حلماً.

– ماذا يفعل أخوك، أقصد ما هي مهنته؟

– يعمل في البناء في أغلب الأحيان، أو كأجير، لكنه يكون عاطلاً عن العمل أحياناً... لنقل إنه يحبّ أن يحتسي الشراب حتى الثمالة. حسناً، كان فتى مؤدَّباً، صغيري ڤيلي.

جفَلت هيرديس كما لو أنها أرادت طرد فكرةٍ بغيضةٍ.

– أنتِ أصغر سناً منه؟ سأل كونراد.

– نعم، أصغر منه بسنتين.

أخبَرته هيرديس قصتهما بصوتٍ منخفضٍ متردّدٍ. وصفَت له القبو في حي ليدار حيث عاشا مع أمهما التي عمِلت في متجر وبقيت تكافح لتوفّر لهما أقل عيشة ممكنة، بعد طلاق والديهما وذهاب أبوهما ليعيش في الأقاليم ولم يعودا يريانه إلا نادراً. لم تكن وأخوها لامعَين في المدرسة، وقد تركاها بعد إكمالهما تعليمهما الإلزامي. كانت يافعة جداً عندما استأجرت شقةً مع حبيبها في شارع هڤيرفيسغاتا، وبدأ أخوها يعمل على زورق لصيد السمك، لكن عالم البحر لم يعجبه، ووجَد عملاً على اليابسة، وعاش لوحده ولم يكن مستقراً جداً.

لا يمكنه أن يتذكَّر بالضبط متى سمِع لأول مرة عن اختفاء سيغورڤن، لكنه أصبح مهتماً بالقضية أثناء مشاهدته برنامجاً تلفزيونياً يستعرض القضايا الجنائية التي وقعت في آيسلندا، وأُشير فيه إلى العثور على الجِيب في أعلى أوسكجوليد. استخدم البرنامج أسلوب إعادة التمثيل، وقد عرَض صوراً للسيارة مركَّبة على الخرّانات مثلما كانت قبل بناء اللؤلؤة.

– تبادرت بعض الأمور إلى ذهنه، تابَعت هيرديس تقول. أحداثٌ لم يؤسِّس

رابطاً بينها حتى ذلك الحين. أحداثٌ عمرها أكثر من عشرين سنة.

– يتطلَّب تكوين هذا النوع من الشهادة وقتاً طويلاً، علَّق كونراد.

– أصبحت هذه القصة هاجسه. أخبَرني عنها لوحدي فقط، فقد بدت له فكرة الضلوع في تحقيق بجريمة قتل قديمة أمراً مُحرِجاً، إن لم نقل مضحكاً، ولم يكن متأكداً تماماً من وجود رابط حقيقي بين كل ذلك. شجَّعتُه على الذهاب إلى الشرطة، فذهَب إلى المخفر ليناقش المسألة مع أحد زملائك، لكن ذلك الشرطي وجد قصته غير جديرة بالثقة كثيراً، فلم تكن ذكرياته دقيقة كفاية أو شيء من هذا القبيل، ولم يكن هناك سبب ليصنع من الحبة قبة. لقد تلقت الشرطة مئات المكالمات العديمة الجدوى، فأخبَر قيلي نفسه أن شهادته ستكون عديمة الجدوى أيضاً. حسناً، شيء من هذا القبيل.

– هل تعرفين مَن الذي استقبله؟

– ليست لديَّ أي فكرة.

– وماذا رأى؟

أخفَضت هيرديس نظرها إلى كوبها الفارغ كما لو أن تتردّد في إعادة تعبئته، وشاهدها كونراد تصارع ضميرها لبضع لحظاتٍ، ثم رآها تصل إلى قرارٍ فجأة، فملأت كوبها بشراب روسي دون أن تضيف قطرة قهوةٍ، وبلعته برشفة واحدة.

– سامحني على اقتحام منزلك هكذا، قالت معتذرةً وهي تضع الكوب على الطاولة. أردتُ أن آتي باكراً لكنني... كنتُ مشغولة... بتناول بعض الشراب.

– هل تقصدين أنك احتجتِ إلى تناول بعض الشراب لكي تكون لديك الشجاعة للقدوم إلى هنا؟

– بالضبط، أكّدت هيرديس.

– لكن لماذا ليس أخوك معك؟

– شاهدتُ نشرة الأخبار حيث ذكروا اكتشاف الجثة على تلك المُجلَّدة، وقلتُ لنفسي إنه عليَّ إخبار شخص ما، ومنذ تلك اللحظة وأنا غير قادرة على التوقف عن التفكير بأخي. أخبَرني أحدهم أنك كنتَ مسؤولاً عن التحقيق في ذلك الوقت.

– لا يمكنك معرفة آخر المستجدات بالطبع، لكنني لم أعد شرطياً، رَدَّ كونراد.

لقد تقاعدتُ. يمكنني أن أحيلك إلى الذين يتعاطون بالقضية اليوم، وسيستقبلونك بشكل جيد.

– لم تعثروا على المذنب أبداً.

– اعتقَدنا أننا عثرنا عليه، رَدَّ كونراد، لكنه بقي مصراً على الإنكار.

– ذاك المدعو هجالتلين؟

– أخوك ليس معك؟

– لا.

– ستريد الشرطة أن تستجوبه على الأرجح، ويمكنني مرافقته إن أراد، اقترَح كونراد.

– بالفعل، رَدَّت هيرديس ببطء، لكن فات الأوان.

– فات الأوان؟

– لن تكون قادراً على مرافقته إلى أي مكان.

– لماذا؟

– لأن ڤيلي مات. صدمته سيارةٌ.

شَعَرَ كونراد بحزن هيرديس العميق.

– كان في الثالثة والثلاثين فقط... وكان سيصبح في الأربعين هذه السنة.

– يؤسفني هذا، رَدَّ وهو يشعر بالحزن لعدم تمكّنه من أن يُبدي لها كل التعاطف الذي أراده. تلك الحوادث أمر فظيع.

– تذكّرتُ كل شيء عندما وجَدوا الجثة على المُجلَّدة، قالت هيرديس. تذكّرتُ القصة التي أخبَرني إياها ڤيلي عن ذلك الرجل الذي رآه أسفل الخزّانات، ذلك الرجل الذي هدَّده بالقتل.

11

في ذلك الشتاء، أمضى فتيان الحي الكثير من وقتهم يلعبون على التلة، وقد جَعَلوا فناء صالة البولينغ الجديدة كيلوهول معقلهم، وراحوا يتحاربون بسيوفهم ودروعهم وسط الخردة المعدنية بين الجدران الأسمنتية الرمادية. وبعدما فتحت الصالة أبوابها، أصبحوا يتسكَّعون هناك لمشاهدة اللاعبين، وعندما يكون مع أحدهم بعض المال، يدلّلون أنفسهم بلعب مباراةٍ، أو يشترون بطاطا مقلية مع بعض الكاتشاب. وبعدما يكتفون، يذهبون إلى مقلع الحجارة القديم، أو يتنزّهون إلى خليج ناوثولسفيك لمشاهدة مجذِفي قوارب الكاياك والقلّة الغربيي الأطوار المجانين كفايةً الذين يسبحون في البحر.

في ذلك المساء من فبراير، ذهَب ڤيلي إلى أوسكجوليد لوحده بعد أن مكث لفترة قصيرة في صالة البولينغ لأنه لم يكن شَغوفاً بتلك الرياضة. كانت أمه قد طلبت منه ألا يتأخر كثيراً في العودة إلى المنزل لأنه غير مسموح للأولاد الذين في سنّه أن يتسكّعوا في الشوارع بعد الثامنة مساءً، لكنه بقي خارجاً بعد ذلك بوقت طويل، وصعد التلة وهو شارد الذهن وخائب الأمل قليلاً من خسارة فريقه المفضَّل في كُرة اليد ڤالور في المباراة المهمة التي جرت للتو في هولين. ملتحفاً معطفه المشمَّع ومرتدياً قفازاته وقبعته الصوفية، رأى الخزّانات تتوهج في ضوء القمر فشقَّ طريقه إلى فوق، ولم يكن خائفاً أنه لوحده. صحيح أنه يحبّ اللعب مع رفاقه، لكنه يستمتع بالوحدة أيضاً، ويعرف كيف يسلّي نفسه في غيابهم.

وجدَ طيف الخزّانات بارزاً في السماء، وقد بدت له أشبه بأبراج حصن مهجور مَهيب رغم عدم جدواها كونها ستُهدَم قريباً لأنهم يبنون خزّانات غيرها في مكان آخر، وسيركّبون شبكة توزيع جديدة للماء الساخن. تقف تلك الخزّانات الثمانية على شكل دائرة يستطيع المرء دخولها، وفي وسطها لوح أسمنتي وكومة خردة معدنية تتضمن بقايا درّاجة هوائية مسروقة، وهناك سُلَّمٌ يُوصل إلى سطح كل خزّانٍ، لكن الدرجة الأولى ترتفع مترين عن الأرض، لذا من الضروري استخدام

سُلَّم آخر للوصول إليها، لكنه وجَد وأصدقاؤه طريقةً لتسلّقها، وحتى إن بعضهم صعِد إلى أعلاها. من جهته، صعِد إلى سطح خزّان مرةً، لكنه أُصيب بدُوار قوي لدرجة أنه لم يعد يخاطر بتكرار ذلك، خاصة وأن السطح مائل، وأنه بقي يشعر أنه ينزلق. لم يُصَب أصدقاؤه بدُوارٍ، بل راحوا يسيرون ذهاباً وإياباً على الأسطح، ويدنون من الحافة أو يجلسون هناك وأرجلهم في الهواء، وحتى إن بعضهم راح يقفز من سطح إلى آخر، وهو أمر لم يتجرّأ على فعله أبداً.

كما رسمَ أولادٌ آخرون رسوم غرافيتي مُجونيّة على اللوحات القماشية الفارغة التي توفّرها الخزّانات، ومن بينها عضو ذكري رُسم بشكل مُربك بواسطة مرشّة طلاء، وهو أمر أضحكهم دائماً.

استلقى ڤيلي في مركز الدائرة التي تشكّلها الخزّانات ليتأمل السماء، وأمكنه رؤية القمر بينها، وراح ينتظر اختفاءه خلف أحدها أثناء مراقبته رقصة المنارة المركّبة في الأعلى، والتي شرحت له أمه أنها تُستخدَم كمنارةٍ للطائرات من ڤاتنسميري، مطار ريكيافيك الصغير الذي يستقبل الرحلات الداخلية. بقي يتأمل شعاعاً متناوباً بين الأخضر والأصفر يخترق ظلمة الليل، ويرسم دائرةً تلو الدائرة بوتيرة هادئة كأنه عقرب ثوانٍ سريع قليلاً في ساعة مضبوطة بدقة متناهية.

مكثَ هناك لفترة طويلة، ثم تذكّر أمه فجأة قائلاً لنفسه إنها بدأت تقلق عليه على الأرجح، وإنها ربما خرَجت من قبل لتبحث عنه، بما أن هذا يحصل في أغلب الأحيان حيث تعاتبه دائماً على أحلام يقظته. لم يفهم قصدها في المرة الأولى، لكنه عرَف أن أستاذه أخبَرها أنه لا ينتبه كفايةً في الحصة، لذا بَذَلت جهداً لمساعدته في واجباته المدرسية، وقد بَذَل قُصارى جهده لينال علامات جيدة، لكنه يضجر في المدرسة ولا يفهم لماذا عليه أن يتعلّم كل تلك الأمور التي لا تهمّه.

مستغرقاً في التفكير، سمِع فجأة خُطى قربه أجفلته، ثم أطلَّ غريبٌ فوقه وراح ينظر إليه بحقد بشعره الطويل والحلقة الصغيرة التي في أذنه.

– ماذا تفعل هنا أيها الوغد؟ صرخ الرجل كما لو أنه غاضب من ڤيلي رغم عدم ارتكابه أي خطأ.

– لا شيء، ردَّ الولد.

– اخرج، أمرَ الغريب. هيا انقلع من هنا أيها اللعين!

– نعم، نعم.

لم يرغب ڤيلي أن يُزعج ذلك الرجل حتى ولو اعتبر أن لديه الحق مثله تماماً لأن يتجوَّل على هذه التلة.

أمسكه الغريب بطريقة وحشية.

– إذا أخبرتَ أي شخص عني، سأجدك وأقتلك، مفهوم؟

لم يتجرّأ ڤيلي على الإجابة.

– هل فهِمت؟

أومأ برأسه.

– هيا انقلع من هنا أيها اللعين، كرَّر الرجل وهو يُفلته.

انصرف ڤيلي مرتعباً بين الخزّانات دون أن يتفوَّه بكلمةٍ، ثم رأى سيارة الغريب، وهي عبارة عن جِيب ضخم لجميع التضاريس، مركونة خلف المبنى الأسمنتي الصغير الذي ضمَّ ذات يوم مركز التحكم الخاص بشركة الماء الساخن. الأرجح أن هذا الرجل وصل قبله إلى هناك، وإلا لكان سمِع صوت المحرِّك.

راح يسير بخطوات طويلة عائداً إلى منزله، ويلتفت إلى الوراء بين الحين والآخر خوفاً من مطاردة الغريب له، ثم رأى سيارة أخرى تصعد إلى الخزّانات وأضواؤها الأمامية تُضيئها للحظةٍ قبل أن تختفي خلف المبنى الأسمنتي الصغير.

أنهت هيرديس إخباره قصتها، فاقترب منها كونراد بعد أن بقي يركِّز بكل قوته ليسمع همسها الخافت جداً، فقد أصبح سمعه يضعف يوماً بعد يوم، وهو أمر لا يساعده في حياته، لكنه لم يجنّد فكرة شراء جهاز مساعد على السمع. سألها بعد صمتٍ إن كانت ترغب بتناول شيء آخر، لكنها هزَّت رأسها.

– ما كان يجب أن أزعجك في هكذا وقت، كرَّرت.

– هذا غير مهمّ. لا تقلقي بشأنه.

– ليس من عادتي أن أفعل هذا النوع من الأشياء.

– بالطبع.

– بقيتُ أفكِّر بكل هذا منذ أن عثروا على ذلك الرجل على المُجلَّدة.

– أفهمك.

– بدا لي أنه من واجبي... أنني أَدين بهذا لذكرى ڤيلي، فأنا أخته الصغيرة، ولطالما كان لطيفاً جداً معي. كان شخصاً استثنائياً، وأخاً رائعاً، وقد بقي يحاول منذ بعض الوقت أن يتوقف عن تناول الشراب عندما صدمته سيارةٌ في وسط الشتاء حيث كانت الرؤية سيئة والشوارع جليدية، لكن السائق فرَّ ولم يبلِّغ عن الحادث أبداً، ولم يكن هناك شهود، لذا لم نعرف أبداً مَن الذي صدمه.

– تقصدين... ڤيلمار، هل هذا هو إسمه الأول؟ سأل كونراد وقد أدرك الرابط فجأة، فقد تذكَّر الحادث الذي وقع في شارع ليندارغاتا، في حي يعرفه كونراد جيداً كونه أمضى طفولته هناك، كما تذكَّر وفاة ذلك الرجل، وبحثهم عن السائق.

– مات ذلك الفتى اللطيف جداً ميتةً فظيعةً، قالت هيرديس.

– عندما تذكَّر كل تلك الأمور، هل أخبرَ أشخاصاً آخرين عنها؟

– نعم، بعد ذلك البرنامج التلفزيوني، فهِم أنه ربما رأى شيئاً مهماً، ورواه لكل شخص أراد سماع القصة.

– ومَن كان ذلك الرجل على تلة أوسكجوليد؟

– لم يعرف أبداً. كان ڤيلي في التاسعة من عمره وقتها، ولم يكن يدرك أي شيء عن هذه القصة، لذا لم يكن بمقدوره أن يعرف أن ما رآه له علاقة باختفاء سيغورڤن، لكنه لم ينسَ أبداً الرجل الذي أرعبه. عندما بحث في ذاكرته، تذكَّر المباراة التي جرت تلك الليلة والفريقين اللذين شاركها فيها، لذا نظَرَ إلى لائحة كل مباريات ڤالور، ووجدَ أن المباراة التي يتذكَّرها جرت ليلة الاختفاء.

– فهمتُ.

– و...

سكتت هيرديس مؤقتاً.

– ماذا؟

– أظن أحياناً أن موته ربما لم يكن حادثاً بسيطاً. لماذا لم يُنقِذه السائق؟ لماذا لم يتوقف؟

– لم تكن الرؤية ممكنة أكثر من ثلاثة أمتار، رَدَّ كونراد، وكانت هناك عاصفة ثلجية، وربما اعتقد أن أخاك لم يُصَب بأذى. هذا ما ظنناه في ذلك الوقت.

– كلما فكَّرتُ بالمسألة أكثر، كلما زاد انطباعي أن السائق تقصَّد قتله.

– وتعتقدين أن هناك رابطاً بقضية سيغورڤن؟

أومأت هيرديس برأسها.

– أريدك أن تعثر على الرجل الذي صدمَ أخي. لقد تم استئناف التحقيق بما أنه تم العثور على الجثة على المُجلَّدة، وأنا متأكدة تماماً أن شهادة ڤيلي مهمةٌ.

لم يعرف كونراد ماذا يقول لها. ثم نهضت.

– حسناً، لقد أزعجتُك بما فيه الكفاية، قالت مُنهيةً الحديث.

– قد ترغب الشرطة بطرح بعض الأسئلة عليك، حذَّرها كونراد وهو ينهض أيضاً.

– حسناً، شرط أن يفعلوا ذلك بتكتّم، فأنا لا أريد أن يسبَّب ذلك مشكلةً كبيرةً.

– لا تقلقي. هل أخبرك أخوك أي شيء أكثر عن ذلك الرجل؟

– لا، ذكرَ فقط شعره الطويل وحلقة أذنه، وأضاف أنه كان مخيفاً.

– هل ڤيلي يعرف هجالتلين؟

– عرَف مَن هو لاحقاً، عندما أدرك الرابط بين تلك الأحداث.

– هل هو الذي رآه على أوسكجوليد؟

– لا، كان رجلاً آخر.

– هل أنتِ متأكدة؟

– لم يكن لدى أخي أي شك بذلك.

– لكن ربما كان سيغورڤن؟

– لا، لم يكن هو أيضاً، رَدَّت هيرديس. مَن هدَّده بقتله لم يكن هجالتلين أو سيغورڤن.

بقيت تقف لفترة طويلة وذراعاها متدلّيتان، وعيناها منخفضتان.

– الأمر رهيب جداً، أكملت تقول، وقلتُ لنفسي إنك قد تقبل مساعدتي، وإنك قد تكون قادراً على تعقّب ذلك السائق الوغد... واكتشاف ماذا حصل، ومعرفة إن كان حادثاً حقاً أو إن كان... ذلك الرجل مذنباً بجريمة قتل متعمَّدة.

12

في اليوم التالي، دعا كونراد مارتا إلى الغداء في مطعم تايلاندي في مقاطعة سكيفان، فقد فضَّل رؤيتها هناك بدلاً من أن يزور المخفر باستمرار كما لو أنه لا يزال يعمل هناك. وخلال تناولهما الطعام، لخَّص لزميلته السابقة ما أخبَرته إياه هيرديس عن أخيها، وما رآه في أوسكجوليد، والحادث الذي مات فيه، وبقيت مارتا تستمع إليه دون مقاطعته.

– هذا غير كافٍ، علَّقت وهي تبلع مقداراً ضئيلاً من الأرز، ثم تشرب بعض الماء لتُخمد الحريق في براعم تذوُّقها. مارتا مولَعةٌ جداً بالمطبخ الشرقي، وقد طلبت أحد الأطباق الكثيرة التوابل، وراح العرق يكدّها بغزارة.

– على العكس تماماً، يبدو لي كافياً جداً، فالأحداث التي روتها هذه المرأة ألقت ضوءاً جديداً على حادثة اختفاء سيغورڤن.

– وإن يكن، لكننا غير قادرين على استجواب الشاهد.

– بالتأكيد.

– مَن هم أولئك الأشخاص؟

– أشخاص عاديون، رَدَّ كونراد. أشخاص طيبون. الأخت ولَّدت عندي انطباعاً جيداً جداً، فقد تكلَّمت بوضوح، وكانت تعرف تماماً لماذا أتت لرؤيتي. لقد أتت نيابةً عن أخيها الذي تفتقده كثيراً.

– هل أنت متأكد أنها لم تلفِّق كل ذلك؟

– أشكّ بذلك.

كان المطعم مزدحماً، وأطباقه ممتازة، وهما يتناقشان بصوتٍ منخفضٍ. لقد أُعجبَ كونراد بمارتا من لحظة انضمامه إلى الجنائية، ويحبّ العمل معها فهي لا تتسرَّع أبداً، وتعطي كل أمر التفكير اللازم له، وتأخذ كل وقتها، ونادراً ما تُخطئ في آرائها. وعندما تتولى قضيةً ما، لا تجد صعوبة في فصل حبّات القمح عن القشور، ويحتاج الأمر إلى جهد كبير لجعلها تنحرف عن مسارها.

– لا أرى ما الجديد في هذا، فلطالما اعتبرنا أن شخصاً، هجالتلين تحديداً، أتى ليأخذ سيغورڤن معه بالسيارة قرب الخزّانات. رجلٌ ذو شعر طويل؟ ماذا يفيدنا هذا؟

– أتذكّر أنه تكوّنت لدينا فرضيةٌ في وقت من الأوقات بأن سيغورڤن ذهَب إلى أوسكجوليد ليفكّر أو فقط ليتنشّق بعض الهواء المنعش، وأنه التقى مهاجمه هناك. ووفقاً لشهادة أخ هيرديس فقد كان هناك رجل مجهول ينتظر سيغورڤن ليصطحبه في مركبةٍ وصفها الولد بأنها جِيب ضخم لجميع التضاريس.

– ذلك الولد لم ير سيغورڤن، قالت مارتا معترضةً.

– بالفعل، والرجل الذي التقى به لم يكن هجالتلين.

راح يراقب مارتا تبتلع طعامها بشراهة لقمةً تلو الأخرى.

– كان هجالتلين يعتني بشعره جيداً، قال كونراد. وعندما اعتقَلناه، كان شعره الكثيف جداً مسرَّحاً بشكل قصير من الأمام وطويل من الخلف.

– آه، تسريحة الشعر السخيفة التي راجت تلك السنوات!

– نعم!

– مثل أشياء كثيرة في تلك الحقبة.

– لقد أكّد أخ هيرديس أنه لم يكن هو.

– ألا تعتقد أنه لفَّق كل هذا؟ أنت تعرف أن هناك دائماً آلاف القصص من كل الأنواع تحيط هذا الصنف من الأمور. وما هو الجِيب الضخم لجميع التضاريس بالنسبة لفتى في التاسعة من عمره؟ بالنسبة لولدٍ، هذا الوصف ينطبق على أي جِيب.

مرَّرت مارتا المنشفة على جبهتها لتمسح العرق عن وجهها الذي تحوَّل إلى اللون القرمزي بفعل البهارات.

– هذا شهي حقاً، قالت معلِّقةً.

– ألا تريدين الإقرار أن هذا الطعام قويٌ قليلاً عليكِ؟

– هذا الشيء؟ لا، بالكاد يحتوي على قليل من التوابل!

– لا أعتقد أنه لفَّق أي شيء، ردَّ كونراد مفضِّلاً عدم الإصرار على مواجهة صديقته التي لن تُقرّ أبداً أن الطبق الذي اختارته حارٌ جداً. عندما أصبح ذلك

الفتى الصغير راشداً، أدرك الرابط بين ما رآه وبين اختفاء سيغورڤن، واقتنع أنه شهِد حدثاً مهماً للتحقيق.

– حسناً، فهِمتُ، لكن شهادته غير متينة في أفضل الأحوال، ولا أزال مُقتنِعة أن هجالتلين مذنبٌ.

– إذاً لن تفعلي أي شيء بهذه المعلومات؟

– إنها مثيرة للاهتمام، لكن...، قالت مارتا وهزَّت كتفيها.

– لدينا شاهد جديد، وهذا ليس شيئاً بلا قيمة!

– أنت مخطئ يا كونراد، وكلانا يعرف ذلك جيداً، فالشاهد الذي تتكلَّم عنه متوفى، وليس هناك أي دليل أن شهادته موثوقة. لقد كان ذلك الولد في التاسعة من عمره فقط، والأمر حصل منذ ثلاثين سنة!

تجهَّم كونراد مُدركاً أن مارتا ليست مخطئة كلياً، فقد سأل هيرديس إن كان أخوها يتذكَّر لون الجِيب، ورَدَّت أن ذاكرته بشأن المركبة غامضة جداً.

– أشعر أحياناً أننا ارتكبنا خطأً فادحاً خلال هذا التحقيق، قال.

– إن لم تخنّي الذاكرة فإن هجالتلين امتلكَ جِيب فورد اكسبلورر وسيارة نِيسان صاني.

نظَرَ كونراد إلى صديقته دون أن يقول شيئاً.

– وفقاً لڤيلي، لم يكن هجالتلين مَن تواجد على تلة أوسكجوليد ليلة الاختفاء، قال. برأيي، لا يمكننا... أو بالأحرى، لا يمكنكِ تجاهل هذه المعلومات، وأعتقد أنكِ يجب أن تفكِّري بها على الأقل.

– أنا غير مُقتنِعة حقاً يا كونراد، لكنني أريد استجواب تلك المرأة، رَدَّت مارتا موافقةً معه في الرأي، وهذا لا يزعجني. ومن الغريب أننا تلقينا اليوم اتصالات من أشخاصٍ ادّعوا أن لديهم أدلّة حول حادثة الاختفاء.

– إنها تعتقد، أو لنقل بالأحرى إنها تخشى، أن وفاة أخيها مرتبطة بهذه القضية مباشرة.

– سأستقبلها.

– هل يمكنكِ أن تشعري بمذاق ما تأكلينه؟ سأل كونراد.

– نعم، إنه شهي، ولو أنه كان بإمكان الطبّاخ أن يُكثر من البهارات قليلاً،

قالت بنبرة أسى ومسحت قطرة العرق التي سالت على أنفها.

ذهب كونراد بعد الغداء في رحلة قصيرة في سيارته إلى شبه جزيرة سلتيارنرنس، وركَن أمام ملعب الغولف، وجلس خلف المِقوَد يتأمل الشاطئ، وأخذ يتذكَّر الأوقات التي أتى فيها إلى هنا مع إرنا. ليس هناك كسوف قمري اليوم، والطقس بارد جداً، وجهاز التدفئة في السيارة يعمل مُصدِراً هسهسته، وراح ينظر إلى المنارة القديمة على جزيرة غروتا التي بقيت لعقودٍ تدلّ البحّارة على الدرب الذي عليهم سلوكه في الليل.

لم تكن مارتا مشجِّعة جداً، وهو يفهمها في النهاية لأن تلك الشهادة الجديدة لم تتحدَّ افتراضات الشرطة في الصميم، رغم أنها مثيرة للاهتمام، بل نفضَت الغبار عن ثغرات الذهن القديمة مثل هَبَّة هواء منعش. لكن رغم مرور كل تلك السنوات، إلا أن شاهداً جديداً ظَهَر في تحقيقٍ لم يتخيَّل أبداً الشرطي المتقاعد أنه سيُستأنف يوماً ما.

لقد أخطأ هجالتلين عندما ادّعى أن كونراد هو الوحيد بين المحقِّقين الذي صدَّقه وشكَّ بذنبه، فقد درس رجال الشرطة القضية من كل الزوايا على مدى أسابيع وأشهر وسنوات التحقيق، ولم يتمكّنوا أبداً من إثبات أن هجالتلين هو الذي وراء اختفاء سيغورڤن، فالأدلة ضعيفة جداً، ولم يتم العثور على سلاح الجريمة في أي مكان، وكذلك الجثة، وقد تم تفتيش منزل هجالتلين ومكان عمله بلا جدوى. صحيح أنه من غير المستحيل أن يكون الشجار بين الرجلين هو الدافع للجريمة، إلا أن إصرار المشتبه به على الإنكار، رغم احتجازه الاحتياطي الطويل، قوَّض شكوك الشرطة بشكل كبير.

تحمَّل هجالتلين سَجنه بشكل جيد جداً رغم أن العزل يتغلَّب على معظم السجناء فيعترف بعضهم بعد أيام قليلة. لم يبدُ أن هجالتلين تأثر بذلك، فمهما قلنا له، يبقى جامداً دون حراك ويكرِّر أنه ليس هناك أي شيء يخجل منه.

وأغرب شيء هو أنه حاوَل تطوير علاقة شخصية مع كونراد وجعله صديقه، وانتهى به الأمر أن أصبح يرفض التكلّم مع كل ضباط الشرطة الآخرين، لكن كل ذلك لم يُعجب كونراد الذي لم يرُق له الرجل، ولم يرد رؤيته أكثر مما يلزم، ورفض

أن يدع المشتبه به يقرِّر مسار جلسات الاستجواب.

هذا صحيح، فمع مرور الوقت، أصبح لدى كونراد تحفّظ بشأن اتهامه، لكنه بقي منتبهاً معظم الأوقات ألا يذكر ذلك. وعندما بدأت الشرطة تشتبه بهجالتلين، بالكاد أبدى المحقِّقون اهتماماً بأي شخص آخر معتبرين أن سيغورڤن مات ليلة شجاره مع ذلك الرجل، ولم يره أحدٌ بعد ذلك.

بقي كونراد يحدِّق بالمنارة لفترة طويلة مثل بحّار تائه في البحر، كما لو أنه يمكنها أن تريه الطريق الذي عليه أن يسلكه، ثم أعاد تشغيل سيارته، وتوجَّه نحو نهاية شبه الجزيرة، نحو المكان الذي تنام فيه ذكراه الأخيرة مع إرنا.

13

لا تزال حبيبة هجالتلين السابقة تبيع الملابس، لكنها تملك الآن متجراً خاصاً بها تديره مع أختها، وقد خرجت الاثنتان من الانهيار الاقتصادي الكبير سالمتين تقريباً، فعدم رزوحهما تحت أي دَين مكّنهما من استئجار متجر في الوقت الملائم في مركز التسوّق سمارالِيند بعد أن اشترتا الإيجار من رجل أفلسَ خاسراً بيته الفيلا البالغة مساحتها أربعمئة وأربعين متراً مربعاً، وسياراته الجِيب الثلاثة، والأسهم التي اشتراها من المصارف وشركات الاستثمار عبر أخذه قروضاً عالية المخاطر.

سالومي في الخمسينات من عمرها، وقد حنّت عليها السنوات، ورغم أن كونراد لم يرها منذ زمن طويل، إلا أنه تعرَّف عليها فوراً عندما رآها تدردش مع زبونة مرتديةً بنطلوناً أسود وبلوزةً بيضاء، وتضع عقداً من اللؤلؤ حول عنقها، وشعرها البنّي الكثيف يتدلّى بحرية على كتفَيها. لقد بقيت في فرقة ليستدنسفلوكور للرقص لبعض الوقت، وقد حافظت على رشاقة الراقصين. كانت هناك زبونتان أخريان تنتظران دورهما.

فضَّل كونراد الحذر، لذا راح ينظر إلى الملابس أثناء مراقبته سالومي تنصح تلك النساء اللواتي يبحثن عن ملابس أنيقة لكن غير مُكلِفة جداً، واللواتي سرقنَ لمحةً نحوه معتقداتٍ أنه يبحث بلا شك عن شيء يهديه إلى زوجته، أو ربما عشيقته. ثم وجَد نفسه بعد حين لوحده مع سالومي التي اقتربت منه وقد تعرَّفت عليه، وتذكَّرت أنه استجوبها قبل ثلاثين سنة.

– لقد أخبَرتُكم ما أعرفه من قبل. ماذا تريد؟

– هل تقصدين الشرطة؟

– بالطبع، ومَن غيرها؟

– إذاً فقد تذكَّرتني.

– نعم، أنت كونراد. أنا أتذكَّر كل شيء. اعتقَدتُ أن كل هذا انتهى منذ فترة طويلة، ثم عثروا على ذلك الرجل على المُجلَّدة. وطبعاً هذه القصة ستقضّ

مضجعي إلى الأبد.

– لم أعد في عِداد الشرطة.

– حقاً؟ ماذا تفعل هنا إذاً؟ رَدَّت سالومي بحدّة.

– العادات القديمة، رَدَّ محاولاً إضفاء بعض الفكاهة على الجو، لكن ردَّه بدا غير مُضحِك.

– مهلاً، بما أنك لم تعد شرطياً، ما دخلك بالموضوع؟

– مثلما قلتِ، ليس سهلاً التخلّص من هذه القصة.

– أعرف. لكن جدياً، إنها... هل أنا مُلزَمة أن أُجيب على أسئلتك؟

سكتت لبرهة، وراحت تحدِّق به بنظرة استفسار، فافترَض أنها لا تكترث لعثورهم على جثة سيغورڤن وإعادة فتحهم التحقيق، وأنها تريد فقط أن تواصل العيش بهدوء دون أن تضطر إلى التفكير بالأحداث التي شكَّلت ملامح حياتها بقوة لمدة طويلة.

– لا أعرف حتى عما تكلَّما، قالت. هل ستطرح عليَّ كل تلك الأسئلة مرة أخرى؟

هزَّ كونراد رأسه. لقد ازدادت ثقتها بنفسها مع تقدّمها بالعمر، ولم تعد تلك الشابة الخجولة التي استجوبها قبل ثلاثين سنة، والتي أمضت وقتها تعبث برباط مطاطي وقالت إنها أمضت المساء مع هجالتلين في تلك الليلة التي ادّعى فيها شاهدٌ آخر أنه رأى سيغورڤن يتجادل مع أحدهم في مرأب سيارات شركته.

– أعرف أنك لم تثمّن إفادتي كثيراً، أضافت.

– قلتِ إنك أمضيت المساء كله مع هجالتلين.

– حسناً، لا أريد التكلّم عن هذا مرة أخرى، فالوقت الذي أمضيتُه في المخفر كان كافياً بالنسبة لي.

ذهَبت سالومي تهتمّ بزبونةٍ في الخمسينات من عمرها دخلت للتو تبحث عن معطف وبنطلون، فنصَحتها دون أي إلحاح، لكنها غادرت عندما لم تجد طلبها.

– قلتِ إنك لا تعرفين شيئاً عن تلك المرأة التي ذهَب هجالتلين لرؤيتها بعد رحيلك، وقد رفَض دائماً أن يكشف هويتها، وكنا متأكدين أنه يكذب علينا.

– لا أعرف شيئاً عنها، ردَّت سالومي، عِلماً أنني لطالما شككتُ بوجودها

لأن هجالتلين كذّابٌ بالفطرة، ولم أحتج إلى وقت طويل لأكتشف ذلك فيه، فبالنسبة له، لا قيمة للحقيقة وهو يحوِّرها وفقاً لاحتياجاته، ليس فقط فيما يتعلق بسيغورڤن، بل بكل شيء آخر أيضاً. كان يكذب عليَّ باستمرار، فذلك متجذِّر في شخصيته. أما بالنسبة لي، فبالطبع أنني كذَبتُ من أجله.

– متى انفصلتما؟

نظرَت إليه سالومي كما لو أنها تتردَّد في الإجابة. لم يكن لديها أي شكوى من كونراد، خلافاً لبقية رجال الشرطة الذين بقوا يضايقونها عبر طرحهم نفس الأسئلة عليها باستمرار.

– انتهت علاقتنا تلقائياً عندما ذكرَ تلك المرأة الأخرى، رَدَّت. أردتُ التخلّص منه ومن كل شيء آخر، من تلك الكذبات، من ذلك التحقيق. لم نكن سويةً لفترة طويلة، وكان... لم يكن وغداً أبداً، بل لطيفاً جداً ومُراعِياً لشعور الآخرين، رغم أن جانبه... العفوي مُتعِبٌ. لكنني لم أصدِّق أبداً أنه أذى ذلك الرجل.

– أخبَرتني وقتها أن لديه مَيل لأن يتحمَّس، وأنه يغضب بسرعة، لكنه لم يضربك أبداً.

– أبداً. يُصاب أحياناً بنوبة غضب شديد، لكن هذا يحصل للجميع.

– هل حاول العودة إليك لاحقاً؟ في هذه السنوات الأخيرة؟

– لا، ردَّت سالومي. لم نر بعضنا مرة أخرى أبداً. فكَّرتُ فيه أحياناً، وأشفَقتُ عليه، لكننا لم نتواصل.

هناك مكبِّرات صوت تُصدِر موسيقى ناعمة في المتجر، وعددٌ لا بأس به من الأشخاص يتسوّقون أو يحلمون قليلاً بينما ينظرون إلى واجهات العرض.

– ما نوع السيارة التي كنتِ تملكينها وقتها؟

راحت سالومي تفكِّر للحظةٍ.

– سيارة يابانية. كانت مُلك أمي في الواقع، لكنني كنتُ أقودها.

دخلت زبونةٌ شابةٌ دون أن تعيرها سالومي أي انتباه.

– منذ العثور على الجثة على المُجلَّدة، جمَّعت الشرطة بعض المعلومات، ووفقاً لإحداها فإن سيغورڤن رَكِب جِيباً آخر غير جِيبه. جِيبٌ ضخمٌ لجميع التضاريس.

راحت سالومي تحدِّق به.

– يعني؟

هزَّ كونراد كتفيه.

– لسائق تلك المركبة شعر طويل، ويضع حلقة في أذنه.

– لم يضع هجالتلين حلقةً في أذنه أبداً، رَدَّت سالومي.

– ألا تعرفين أي شخص امتلكَ جِيباً كبيراً، أو كان بإمكانه أن يستعير واحداً؟

– لا، رَدَّت سالومي دون تردّد.

– لا أحد يضع حلقة في أذنه؟

– لا أيضاً.

– هل أنتِ متأكدة؟

– نعم، قالت سالومي وهزَّت رأسها.

– قلتِ إنك أمضيتِ المساء مع أمك ليلة اختفاء سيغورڤن. لقد ذهَبتِ إلى منزلها مباشرةً بعد ترك هجالتلين وأمضيتِ الليلة في منزلها أيضاً.

– كنتُ لا أزال أعيش معها وقتها، ردَّت سالومي. أنت تعرف كل هذا من قبل.

– عِلمتُ أنها تُوفِّيت.

– نعم، منذ ثلاث سنوات.

اقتربت الشابة التي كانت قد دخلت المتجر.

– هل أنتِ التي تهتمّ بالزبائن؟ سألت بنفاد صبرٍ.

– لحظة واحدة رجاءً، ردَّت سالومي. حسناً، هل انتهيتَ؟ سألت كونراد بحدّة.

– نعم.

عندها، سألت سالومي زبونتها كيف يمكنها أن تساعدها.

14

ذهَب كونراد ليتناول العشاء مع هوغو الذي يعيش في منزل جميل ضمن صف منازل متلاصقة في مقاطعة غرافرقوغور مع زوجته سِيرّي وولديه التوأمين، وقد فرِح الصغيران كثيراً برؤية جَدّهما الذي يقرأ لهما قصصاً وقصائد، ويروي لهما حكايات أشباح مُرعِبة قبل النوم. كِنّته لا تحبّ ذلك حقاً، وكونراد يبالغ بالأمر قليلاً أحياناً، فقد غضِبت جداً مؤخراً عندما عادت إلى المنزل مع زوجها ووجَدت الجَدّ يشاهد فيلم *طارد الأرواح الشريرة* مع حفيدَيه، وكان الولدان متحمّسين جداً بقدر ما كانا مرتعبَين من هيجان العفريت.

– الأمور لا تسير على ما يرام أبداً! قالت سِيرّي بحنقٍ لهوغو.

هوغو طبّاخ ممتاز، وقد حضَّر طبقاً مستوحى من المطبخ الإسباني مصنوعاً من لحم البقر اِلتهمه أبوه الجائع بنهمٍ بينما روى التوأمان مجريات يومهما، ثم تعِبا بعد حين من جلوسهما إلى الطاولة فذهبا ليلعبا. سِيرّي تدير متجر عطور، وبعض زبائنها أشخاصٌ مشهورون بقيت تذكرهم بشكل دوري في الحديث، وقد فهِم كونراد أن مصمِّم أزياء مشهوراً هو أحد زبائنها الدوريين. للأسف أن سِيرّي غالباً ما تسخر من زوجها أمام الناس عندما تحتسي قليلاً من الشراب، وهي تفعل ذلك بهدوء كفايةً بحيث لم يسبِّب ذلك مشكلةً كبيرةً، لكن بإمكان كونراد أن يرى أن إبنه ينزعج من ذلك، فهوغو لا يحبّ تناولها الشراب، ومن جهته، يتناول الشراب خلال وجبات الطعام فقط، وبشكل معتدل جداً. لم يعرف كونراد إن كانا سعيدين في زواجهما أم لا، لكن إبنه لا يشتكي.

بينما كانت سِيرّي تروي زيارة مصمِّم الأزياء المشهور الذي سُرَّ كثيراً من القسم الجديد لمستحضرات التجميل المستورَدة من فرنسا، رنَّ هاتف كونراد، وظَهَر إسم مارتا على الشاشة. ابتسم للزوجين اليافعين، ونهض قائلاً إنه مضطر أن يردّ على الاتصال ولن يتأخر كثيراً.

– اعتقَدتُ أنك توقفت، أعلَنت مارتا من دون مقدمات.

– توقفتُ عن ماذا؟

– *بالله عليك!* لقد اتصلت حبيبة هجالتلين السابقة بالمخفر لتشتكي من الاستجواب الذي أخضعه لها شرطي سابق، وسألتنا إن كان عليها أن تتوقع المزيد من الزيارات المماثلة.

– اهدأي. الذنب ذنبك في النهاية.

– ذنبي؟!

– أنتِ التي ورّطتني في هذه القصة، فأنا لستُ مَن طلبَ الذهاب لرؤية هجالتلين في السجن. لقد أخبرتُك أنني تقاعدتُ.

– هل استجوبتَ أشخاصاً آخرين؟

– لا.

– هل أخبرتكَ أي شيء؟

– لا شيء على الإطلاق.

– لا يمكنك العودة إلى هذا التحقيق من تلقاء نفسك، حذَّرته مارتا. يجب أن تفهم أنها قضية حصرية للشرطة، وعليك أن تدعنا نقوم بعملنا.

ساد صمت طويل تساءل خلاله كونراد إن كان عليه أن ينتقل إلى المناورة التالية، فقد بقي يتوقع هذه المكالمة الهاتفية من مارتا، وفكَّر كثيراً بما سيقوله لها. ها هي الفرصة سانحة الآن، لذا قرَّر القيام بالخطوة الجريئة.

– لكن ماذا سأقول لهيرديس؟ سأل.

– مَن هي هيرديس؟ عما تتكلّم؟

– أخت فتى أوسكجوليد.

– ماذا تقصد؟

– طلبت مني العثور على الرجل الذي قتل أخاها، وقد قَبِلتُ.

– يا لها من فكرة مجنونة!

– لكنها ليست منافية للعقل وسأفعلها. لا يمكنك منعي من التحدث مع الناس.

– ماذا؟ هل... هل ستلعب دور محقِّق خاص؟ هل تمزح؟

– محقِّق خاص، كرَّر كونراد ضاحكاً. كل ما في الأمر هو أنني سأعمل له

معروفاً. هل استقبلتِها؟

– نعم، ودعني أُخبِرك أن شهادتها ليست ذات أهمية حقاً.

– لقد أقنعَتني وسأساعدها.

– ستساعدها؟ أنت تفعل ذلك لنفسك وليس لأي شخص آخر.

– مثلما تشائين.

– في حال اكتشفتَ أشياء مهمة، لا يحق لك إخفاءها عنا. ولا يحق لك أن تحقِّق هكذا، فأنت متقاعد!

– سأُخبرك إن اكتشفتُ أي شيء، رَدَّ كونراد قبل أن يغلق الخط.

– كل شيء على ما يرام؟ استفسر هوغو عندما عاد أبوه إلى الطاولة.

– نعم، هذه كانت مارتا.

– على كل حال... تابَعت سِيرّي لتُكمل روايتها عن مصمِّم الأزياء الذي يزور متجرها بين الحين والآخر.

حاملةً كوبها في يدها، ألقت خطاباً طويلاً عن ذلك الرجل وعن آرائه بهذا أو ذاك من المواضيع قبل أن تختم بالقول إنهما كانا على توافق تام حول أمور كثيرة، بينما بقي ذهن كونراد يشرد وهو يفكِّر بمحادثته مع مارتا ويكتفي بالابتسام والإيماء بشكل دوري، رغم أنه لم تكن لديه أي فكرة عما تتكلَّم كِنّته.

وجد نفسه لاحقاً لوحده في غرفة الجلوس مع إبنه يتناقشان بطولة كُرة القدم الإنكليزية، فقد ذهَبت سِيرّي لتُجري مكالمة هاتفية بعد أن وجدت حديثهما غير مثير للاهتمام لها مثل حديثها عن مصمِّم الأزياء المشهور.

– ما الأخبار من مارتا؟ سأل هوغو بعدما استنزَفا موضوع كُرة القدم. لقد سُمّي على إسم جَدّه لأمه، وكان طويلاً ونحيلاً، وذا وجه جميل، وشخصاً متواضعاً لا يفقد أعصابه أبداً.

– اتصلت بي لإخباري عن سيغورڤن.

– هل غرقتَ في هذا التحقيق مرة أخرى؟

– لم أغرق، بل أجاري التيار فحسب.

– لا شك أن التأثير كان غريباً عليك عندما عثروا عليه.

– هذا أقل ما يُقال. لم أتوقع ذلك، واعتقَدتُ أنه لن يحصل أبداً.

telegram
@soramnqraa

راح كونراد ينظر إلى إبنه باهتمام.

– لم يعد بإمكاني مواصلة هذا التحقيق، قال، لكن القضية تثير اهتمامي مرة أخرى، وأواصل القول لنفسي إنه ربما كان من الأفضل لي عدم الذهاب لرؤية هجالتلين في السجن.

– لم يكن لديك خيار آخر.

– بلا أدنى شكّ.

– على أي حال، لم تتمكّن من نسيان هذه القصة أبداً.

– أتمنّى لو يمكنني حسمها بشكل نهائي، رَدَّ كونراد. فقد حان وقت ذلك.

15

توقَّف مهرجان المنخفضات الجوية، وتحسَّن الطقس، وعادت الشمس. حاوَل كونراد استغلال أيام الخريف الجميلة ليقوم بنزهات طويلة سيراً على قدميه في وادي إيلّيدا رغم أنه لم يعد رشيقاً مثلما كان في الماضي، وأصبح يعاني من ألم في مفاصله ورِجليه وظهره، وقد أصاب تصلُّبٌ جسمه، لكن ما عدا ذلك فإن صحته قوية، ونادراً ما يمرض، ويأخذ حبّة واحدة في اليوم ضد الكوليسترول فقط لا غير.

استغَلّ إحدى تلك النزهات ليتصل بصديقته الطبيبة الشرعية سڤانهيلدور.

– هل يمكنكِ إخباري المزيد عن سلاح الجريمة؟ هل لديكِ فكرة محدَّدة؟ سأل.

– لا شكّ أن القاتل استخدم أنبوباً معدنياً أو قضيباً حديدياً أو أي أداة ثقيلة مثل عتلة صغيرة. على كل حال، كان السلاح صدئاً لأن هناك آثار صدأ في الجرح، ونحن حالياً نفحص المواد والتلوثات الأخرى التي فيه. لقد تلقَّى ضربتين، والأمر ليس حادثاً أو سقوطاً، بل ضربه أحدهم على رأسه بقصد قتله. ألم تناقش ذلك مع مارتا؟

– لا، رَدَّ كونراد. هل قلتِ ضربتين على الجهة الخلفية للرأس؟

– يمكننا أن نفترض أن قاتله هاجَمه على حين غِرّة من الخلف حيث لا يبدو أن سيغورڤن حاوَل الدفاع عن نفسه، فالجثة لا تُظهِر أي إصابات أخرى. كان قوي البنية، فقد كان يافعاً في النهاية وفي مقتبل العمر.

– هل تعرفين لماذا أخفاه القاتل على تلك المُجلَّدة؟ بماذا نفعه ذلك؟

– ألا تعتقد أنه مكان مثل أي مكان آخر لإخفاء جثةٍ؟

– نعم، على كل حال لم نعثر عليه.

– هل تنوي أن تتجنَّبني لفترة طويلة؟ سألت سڤانهيلدور بينما همَّ كونراد ليُغلق الخط.

– لا أعرف. نحن نتناقش.

– بالطبع، لكن مع تجنُّب المواضيع المزعجة.

– لا أشعر أنني أتجنَّبُك.

– أنتَ تتهرَّب مني منذ أن مرِضت زوجتك، قالت سڤانهيلدور. ألا تعتقد أن هذا طالَ بما فيه الكفاية؟

– كان يجب أن أُخبرها عنا.

– هل تعتقد أن ذلك كان سيساعدها حقاً؟!

– لا أعرف، لكن ضميري كان سيرتاح، رَدَّ كونراد. كان يجب أن أُخبرها كل شيء، لكن شجاعتي خانتني، ثم فات الأوان.

انتهى حديثهما بتلك الكلمات، وتابَع كونراد نزهته على طول نهر إيلّيدا. كان قد نزل إلى البلدة في وقت سابق من اليوم، واغتنَم الفرصة ليزور المستشفى الوطني حيث دردَش لبرهة مع رجل الدين راعي المؤسسة، وهو آخر شخص رأى هجالتلين حيّاً. كونراد يعرفه جيداً ويحبّه كثيراً، فهو الذي ساعدهم كثيراً عندما تفاقم مرض إرنا، وبما أنه يُدرك الرابط بين هجالتلين وكونراد فقد بقي يتوقع زيارةً من الشرطي السابق.

– كيف حالك؟ سأل الموقَّر وهما يجلسان في أحد أروقة المستشفى.

– ليست سيئة جداً، شكراً، رَدَّ كونراد. أبذل قُصارى جهدي لأتغلّب على ضجري.

– هذا جيد، علَّق الموقَّر الهادئ الذي يُدعى پيتور، أو بيار، والذي هو في الخمسينات من عمره، ويتكلَّم بصوتٍ مريحٍ ولا يبدو أن لديه أي سبب أبداً ليرفع صوته. أفترض أنك أتيتَ لرؤيتي بشأن هجالتلين. هل أنا مخطئ؟ أو ربما وجدتَ إيمانك!

ابتسم كونراد فحسب، فقد تناقَشا بهذا الموضوع ذات يوم، أو بالأحرى أخبَره كونراد رأيه فيه، وأنه قرأ كتاب الحِكم القديمة رغم أنه غير مقتنع به بتاتاً.

– لم يعترف أبداً، قال كونراد بعد صمتٍ. اعتقَدتُ أنه ربما يكون قد أخبَرك بعض الأشياء قبل أن يموت. ذهَبتُ لرؤيته في السجن قبل موته ببضعة أسابيع.

– لقد أخبَرني عن زيارتك.

– رؤيته ألمتني.

– نعم، فقد تفاقم مرضه بسرعة كبيرة، لكنه لم يُلقِ اللوم على احتجازه أبداً، وقد سُرَّ من أنك ذهبتَ لرؤيته.

– سألتُه إن كان مستعداً أن يُخبرنا الحقيقة نظراً لحالته الصحية، وأنه ليس لديه شيء أكثر ليخسره، لكنه بقي ينكر.

– أنا مُلزم طبعاً بالحفاظ على سرية محادثاتنا، رَدَّ الموقَّر. لكن إذا كنتَ تريد معرفة إن اعترف لي بذنبه، حسناً، لا، وقد بقي يقول ما قاله دائماً.

– هل أخبرك عن التحقيق؟

راح الموقَّر يفكِّر قليلاً.

– في الحقيقة، كان ذهنه مركّزاً على أمور أخرى، وقد ناقَشنا أشياء كثيرة.

– إذاً فهو لم يُخبِرك أي شيء عن المُجلَّدة، أو المرأة المتزوجة، أو تلة أوسكجوليد؟

هزَّ الموقَّر بيتور رأسه.

– هل تلقَّى الكثير من الزيارات؟

– لا، فوالداه متوفيان، وأخته تعيش في الخارج ولم تصل في الوقت المناسب، لذا حضَرت الجنازة ثم عادت إلى منزلها. لم يكن هناك حَشد كبير في دفنه، وقد تُرك لوحده كأنه منبوذ. أظن أن الناس ابتعدوا عنه بعد كل تلك الأمور.

– ربما، قال كونراد مُقرّاً.

– آه، كدتُ أنسى أن أُخبرك، لكن... في المساء أو بالأحرى في الليل قبل وفاته...

– نعم؟

–... ذهبتُ لرؤيته ووجَدتُ امرأةً تجلس بجانب سريره، امرأة لم أرها أبداً من قبل. في الحقيقة، رأيتُ صورتها الظليّة فقط، فقد كانت تدير ظهرها لي، وفعلَت ما بوسعها لتبقى هويتها سرية، حتى إنها لم تلقي عليَّ التحية، وأشار لي هجالتلين أنه يريد أن يبقى لوحده معها. وعندما عدتُ بعد قليل، وجدتُ أنها رحلت، لذا سألتُ الرجل المُحتضَر إن كانت أخته، فلم يُجبني.

– كيف كان شكلها؟

– لقد أخبَرتُك للتو أنها كانت تدير ظهرها لي، وحاوَلت أن تُبقي هويتها

سرية. أعرف أنها لم تكن أخت هجالتلين لأن أخته أتت لرؤيته بعد ذلك بقليل وكان قد فات الأوان، وحزنت كثيراً لعدم تمكّنها من رؤيته حيّاً مرة أخرى. من جهة أخرى، تلك الغريبة أثارت حشريتي، فنحن معشر رجال الدين بشرٌ أيضاً، لذا سألتُ مُقدِّمي الرعاية، لكنهم لم يستطيعوا إجابتي، فلم يلحظها أحدٌ، ولم تمكث هناك لوقت طويل.

– هل كانت بنفس سنّ هجالتلين؟

– لا أعرف، ودعني أكرّر لك أنني لمحتُها بشكل سريع فقط.

– هل بدت غنيةً؟ فقيرةً؟

– لا هذا ولا ذاك. بدت شخصاً عادياً، وغير طويلة جداً. أعتقد أنها كانت ترتدي معطفاً أسود، وتضع أيضاً وشاحاً على شعرها مثل الأيام الخوالي. لم أتجرّأ أن أنظر إليها أكثر من ذلك، وأراد أن يبقى لوحده معها، لذا رحلتُ.

– هل أنت آخر شخص رأى هجالتلين حيّاً؟

– نعم.

– ولم يعترف؟

– لا. أغمض عينيه وتُوفِّي مستقبِلاً الموت بتواضع كبير. من الواضح أن خبر إصابته بالسرطان شكّلت له صدمةً، وهذا ليس أمراً مفاجئاً، لكنني أعتقد أنه تقبّل مصيره في النهاية. حسناً، هذا هو انطباعي. لم يُظهِر أي ندمٍ، إن كان بإمكان هذا أن يساعدك...

– هل كان مؤمِناً؟

– بالمقارنة معك، نعم.

توقف كونراد في نزهته ليأخذ استراحةً قصيرةً ويتمتّع بشمس الخريف والمنظر الرائع الذي يتجلّى أمامه للمدينة والجبال الشمالية. زحمة السير كثيفة على بولفار برايدهولت، وبما أنه ولد حقيقي من أولاد ريكيافيك فإنه يحبّ التنزّه في أرجاء المدينة عندما تُشرِق الشمس.

– هل تعرف لماذا أخفاه القاتل على تلك المُجلَّدة؟ استفسَر الموقَّر قُبيل مغادرته المستشفى.

– لا، لم أعد شرطياً، ولا أعرف رأي الشرطة بالمسألة.

– لكنك لم تتخلَّ كلياً عن محاولة حل اللغز؟

– آه بلى!

– لماذا أتيتَ إذاً لتسألني هذه الأسئلة؟

– دعنا نقول فقط... إنني أفكِّر بهجالتلين كثيراً منذ بضعة أيام، رَدَّ كونراد. وأردتُ فقط معرفة إن استودَعك سراً أم لا، لذا أتيتُ لرؤيتك والتحدّث معك بعيداً عن فكرة استجوابك. آمل ألا يكون هذا انطباعك.

– إذا كنت تبحث عن الغفران فدعني أُخبرك أن هجالتلين ليس مَن سيوفّره لك.

– لا، رَدَّ كونراد، فذلك سيفاجئني.

16

من الواضح أن يورون كانت قلِقة عندما بلّغت الشرطة عن اختفاء أخيها، لكنها حافظت على ابتسامتها وعذوبتها فكل حياتها أمامها، ولم تكن تعرف بعد أنه سيكون محتوماً عليها أن تقضي عقوداً في ظل هذا الحدث. أما الآن وقد أصبح جزءٌ كبيرٌ من حياتها خلفها، فقد رأى كونراد كم أثّرت عليها هذه المأساة.

لم يريا بعضهما منذ فترة طويلة، وملامحها المُتعَبة تحمل ذكرى تلك السنوات الصعبة، فقد تلاشت ابتسامتها، ولم تعد جذّابة مثلما كانت من قبل، وراحت تشكر السماوات والمُجلَّدة لإعادتهما جثة أخيها إليها، رغم أسفها على استغلال الصحافة لهذه القضية كلياً، حيث نشرت كل أنواع النظريات المنافية للعقل، وإصدارات مختلفة للرواية، وصور فوتوغرافية قديمة، وشهادات، باختصار لم تتوانَ عن إبراز كل شيء. وبعد أن أصبحت تحزن وتتألم كلما ظَهَر مقالٌ، سرعان ما بدأت يورون تتوقف عن الرد على طلبات الصحافيين، ثم تخلّت عن مواكبة ما يقولونه أو يكتبونه، واضطرت أن تغيِّر رقم هاتفها بعد أن سئمت من تلقي مكالمات من غرباء ثملين وفظّين يدّعون معرفة ما حصل بالضبط.

بما أنها كانت مقرَّبة من أخيها، لم تجد أي مشكلة في الردّ على الأسئلة عن حياتها الخاصة. وهي لطالما انسجمت جيداً مع كونراد، فقد وَثِقت به وعرَفت أنه يفعل كل شيء ليجد المذنب، ولأنه أراد رؤيتها الآن بعد العثور على جثة أخيها، قَبِلت دون أي تردّد. لقد زارتها مارتا مرتين لتطرح عليها أسئلة كثيرة، لكن يورون تفاجأت مثل أي شخص آخر من العثور على الجثة على المُجلَّدة، ولم تجد أي تفسير لذلك.

– سمِعتُ أنك تقاعدتَ، قالت وهي تدعوه إلى الدخول. إنها تعيش لوحدها وليس لديها أولاد، وقد افترَض كونراد أن اختفاء أخيها ليس أمراً غريباً لها.

– بالفعل، لقد تقاعدتُ. دعيني أُخبِرك أن الاكتشاف على المُجلَّدة صدمني.

– آه نعم، أنت في وضع أفضل من أي شخص آخر لتفهمني.

– أظن أنه شكّل صدمةً لك أيضاً.

– كان... أمراً سريالياً. لقد وجَدناه أخيراً، ولم أكن أتوقع ذلك، فقد تقبّلتُ فكرة موته وأنني لن أعرف أبداً ما جرى له منذ فترة طويلة، ثم حصل ما حصل.

– بماذا فكّرتِ عندما سمِعت الخبر؟ ما هو أول شيء خطر ببالك؟

– لا يمكنني أن أحدِّد بشكل دقيق. وأنت؟

– فكّرتُ أننا لم نكن كفوئين كفايةً، رَدَّ كونراد. أن تفصيلاً مهماً فاتنا. أنه كان علينا أن نعثر عليه منذ وقت طويل.

– لطالما اعتبرتُ أنك على قدر المسؤولية، طمأنته يورون.

– لم يكن ذلك كافياً. نحن... لا أعرف لماذا، لكننا أخطأنا التصرّف.

– من الواضح أنني تفاجأتُ كثيراً، قالت يورون. ماذا كان سيغورڤن يفعل هناك؟ ثم علِمتُ أنه لم يذهب من تلقاء نفسه بل أُخذ إلى هناك، وافترَضتُ أنهم المتسلّقون، فالأشخاص الذين يغامرون إلى المُجلَّدات يعرفون ماذا يفعلون، وقد أخبَرتني مارتا أن الشرطة تدرس هذا الاحتمال عن كثب، لكنهم لم يجدوا أي شيء حتى الآن. من الواضح أن الكثير من الأشخاص يذهبون إلى المُجلَّدات هذه الأيام، مثل وكالات السفريات، متسلّقو الجبال، الصيّادون، عشّاق التزلّج الشمالي، عشّاق المشي في الطبيعة، جمعية السياحة الآيسلندية.

– وألوية المُنقذين البحريين.

– نعم، يمضون وقتهم في إنقاذ المتهوّرين، أليس كذلك؟

– ولم يخطر ببالك شيء بخصوص سيغورڤن ستكون له علاقة بالمُجلَّدات؟

– لا، لقد فكّرتُ بالأمر كثيراً، لكنني لم أجد أي علاقة.

– ألم يتكلّم أبداً عن التنزّه مشياً على المُجلَّدات؟

– أبداً، أو أنني لا أتذكّر.

– هل كان أحد أصدقائه يهتمّ بهذا الصنف من الأمور؟ هل كان أحد معارفه يحبّ الذهاب إلى مرتفعات وسط آيسلندا؟ أو يحبّ تسلّق الجبال؟

– لا أظن، لأن سيغورڤن لطالما فضّل عدم ترك ريكيافيك، رَدَّت يورون. لم يكن يحبّ ارتياد المعالم في آيسلندا، وقد سافَر كثيراً لكن إلى الخارج فقط. هذا ما كان يحبّ أن يفعله! لم نعش في رخاء في طفولتنا، وعندما نجح أخي في الأعمال

التجارية، أراد أن يتمتّع بالحياة، وقد فعل ذلك بالسفر.

لقد تربّى سيغورڤن ويورون على يد أمهما لوحدها التي ماتت بعد بعض الوقت على اختفاء إبنها، وقد عانوا من فقر مُدقع في طفولتهما لدرجة أنه بالكاد كان لديهم أحياناً ما يكفي ليأكلوه، وقد ساعدتهم عمّتهما كثيراً. أدار تجارة صغيرة للبيع بالجملة، وحرَص على أن يُكملا تعليمهما، هي في الثانوية العامة، وهو في ثانوية ڤيرسلونرسكولي المتخصِّصة بالتجارة. تميَّز الاثنان باجتهادهما، وقد كسَب سيغورڤن رزقه من البستنة أو أعمال فردية أخرى، وأخذ رخصة قيادته حالما بلغ السنّ القانوني، وبدأ يعمل لدى عمّه، وقد استغلّ كل فرصة سنحت له ليكسب بضع كرونات إضافية، لذا لم ينقصه المال أبداً في شبابه. استجوب كونراد عمّه في ذلك الوقت، وقد أشاد كثيراً بإبن أخيه، وبدا متأثراً جداً باختفائه، ووصفه برجلٍ لديه حدس فطري بالتجارة، وقد علقت تلك الكلمات في ذهن كونراد لأنها ردَّدت صدى أمور سمِعها من أفواه أشخاص آخرين، رغم أنهم لم يقولوها بنفس لطافة ذلك العمّ الكبير القلب. لقد أحبَّ سيغورڤن المال، وأحبّ الربح.

قالت يورون إنه كان كريماً معها، ولطالما اعتنى بأمهما جيداً، لكنه مالَ إلى الصرامة، ويعتبر الاتفاقَ أمراً لا رجعة عنه، لذا حزِن كثيراً عندما اتَّهَمه هجالتلين بعدم الأمانة وتحريف الوقائع بقصد النهب. وكلما ازداد عناد هجالتلين، كلما تشبَّث سيغورڤن بموقفه، ولم تعرف يورون لماذا ساء الحال جداً بينهما، عِلماً أن سيغورڤن يكون متعنتاً أحياناً. سألَته ذات يوم إن كان من الممكن أن يجد وهجالتلين أرضية مشترَكة بينهما لحل النزاع حبّياً، ورَدَّ أنه صاغ عقد البيع ذاك من دون دوافع خفية، وأنه لم تكن لديه نيّة الغش أبداً، وأنها ليست مشكلته إن شَعَر شريكه السابق بالظلم.

– أخبريني، سأل كونراد. لقد تلقّى هجالتلين زيارةً من امرأةٍ في المستشفى قبل وقت قصير على وفاته. هل تعرفين مَن هي؟

– لا.

– لم تكن أنتِ؟

– أنا؟

– ألم تذهبي لرؤيته؟

– لا. لماذا؟ لم يكن لديَّ شيء لأعاتبه عليه.

– من الواضح أنه كان شخصاً آخر.

– كان سيغورڤن شخصاً مؤدَّباً، قالت يورون بعد صمت طويل. ولم يستحق ما حصل له. لا أحد يستحق شيئاً مماثلاً.

– بالطبع، وافَقها كونراد الرأي.

– أشعر أنه سيبقى إلى الأبد الفتى الكشّافة الذي أراد أن يكون عليه ذات يوم، تابَعت يورون. رجل مفيد. شخص فاتن ببساطة. رجل وأخ وإبن فاتن.

– هل كان في الكشّافة؟ تساءل كونراد فهو يجهل هذا التفصيل.

– بكل تأكيد. لقد دخل الكشّافة بشغف كبير، لكنني أظن أنه بقي فيها لسنة أو سنتين.

– لسنة أو سنتين فقط؟

– نعم، فقد ضجِر هناك، لذا تَركها.

– كم كان سنّه؟

– حوالي عشر سنوات أو اثنتي عشرة سنة.

أخفَضت يورون نظرها.

– أنا مسرورة أنهم عثروا عليه، قالت. كان الأمر يأكلني من الداخل... فمن المريع عدم معرفة ما حصل له... وبقيتُ أفكِّر بذلك كل يوم منذ اختفائه... لا يمكنك أن تتخيَّل كم... أنا مرتاحة أنهم عثروا عليه أخيراً.

17

بخطواتٍ مُتعَبةٍ، ترافَق العجوز مع كونراد إلى غرفته في دار المسنّين مستعيناً بجهاز مساعدة على السير، بعد أن كان النزيل جالساً في قاعة الطعام يأكل سمكة حدّوق مسلوقة وبطاطا عندما أتى الشرطي السابق ليزعجه. لم يحبّ الرجلان بعضهما البعض أبداً، وقد تعامَل معه كونراد سابقاً في قضايا سرقة وتزوير وتهريب شراب. لقد بقي هذا الرجل مدمناً على الشراب لسنوات عديدة لدرجة أنه أصبح متشرِّداً، لكنه اجتاز الأزمة في نهاية المطاف، وأصبح عضواً في جماعة دينية، والتزم بطقوسها واعداً أن يحسِّن نفسه، وقد بدأ في تلك المرحلة يعمل في شركة سيغورڤن كسائق توصيل، وكان موظفاً جيداً على حد علم كونراد. خضعت الشركة لتحوّلات كبرى بعد اختفاء مديرها، وأصبح موظفاً في الخدمات البلدية بعد مرور بعض الوقت، وقد عرَف شهرةً قصيرة الأمد بصفة شاهد رئيسي، لكنه تأكَّد من استغلالها بأفضل ما يمكن، رغم أنه غالباً ما قال إنه كان يفضِّل عدم سماع أي شيء في ذلك المساء.

لقد كبُر ستاينر في السنّ كثيراً، وأصبح مُنهَكاً جسدياً، ومع ذلك فلا يزال صافي الذهن وسريع البديهة، فقد تعرَّف على كونراد فوراً، وفهِم أنه أتى مرة أخرى ليستجوبه بشأن آخر شجار بين هجالتلين وسيغورڤن الذي شهِده ذات يوم في مرأب السيارات.

– كنتُ أتوقع زيارتك عاجلاً أم آجلاً، قال وهو يدعوه إلى غرفته. بما أنهم عثروا على الجثة.

وَضَع جهاز مساعدته على السير جانباً، وجلس بقوة على السرير، وبدا كأنه يعوم في قميصه ذي النقش الغامض وبنطلونه القطني الكبيرين جداً على مقاس جسمه النحيل. لم يحلِق ذقنه منذ بعض الوقت، وشعره الذي كان كثيفاً فيما مضى بدأ يخفّ ويصبح لونه رمادياً قذراً، وبدا مليئاً بقشرة الرأس.

– إذاً لم تستطيعوا ترك ذلك الرجل المسكين في مكانه؟ قال ستاينر متأسفاً

وهو يمسِّد شعره.

– لا شكّ أن هناك أشخاصاً يناسبهم ذلك. كنتُ أتساءل إن تذكَّرتَ أي شيء جديد منذ اكتشاف الجثة.

– لم أكن أفكِّر بهذه القصة أبداً، اعترف ستاينر. وقد صُدمتُ بكل تأكيد عندما سمِعتُ الخبر.

– لا أعتقد أن أي شخص تخيَّل أنه يمكن إيجاده هناك، علَّق كونراد.

– على أي حال، لم تكن وزملاؤك الشرطة أذكياء جداً، ردّ ستاينر بحدّة، وبدا واضحاً أنه مسرور من نفسه. هل استأنَفتم التحقيق؟

– لم أعد شرطياً، لكنني أشعر بالفضول. لذا لستَ مضطراً إلى الإجابة على أسئلتي.

– لم تعد شرطياً؟ هل بلغتَ سنّ التقاعد؟

أومأ كونراد برأسه.

– إذاً، لن يمرّ وقت طويل قبل أن تأتي للإقامة هنا؟

يتساءل كونراد أحياناً إن كان سيقضي بقية حياته في دار للمسنّين، وهذا الاحتمال لا يعجبه، وقد لاحَظ أن ستاينر يتشارك غرفته مع نزيل آخر، ولا يمكنه أن يتخيّل نفسه يقضي آخر أيامه هكذا، فحتى السجناء في ليتلا–هرون يحق لهم المكوث في زنزانة لوحدهم.

– مَن يدري؟ رَدَّ مبتسماً. أُدرك جيداً أنه طُرحت عليك نفس الأسئلة مراراً وتكراراً منذ سنوات، لكن ظَهَرت عناصر جديدة وأردتُ سماع بما ألهمتك.

– ما دخلك بذلك بما أنك لم تعد شرطياً؟

– لقد عمِلتُ على هذا التحقيق لفترة طويلة، ولنقل إنه ربما أصبح مثل هوايةٍ لي. لا أدري. ما هو أول شيء خطر ببالك عندما علِمت باكتشاف الجثة؟

– أن هجالتلين أخفاها جيداً، وأنه تكبَّد عناء فعل ذلك.

– هل صدفَ أن تكلَّم بعض زملائك عن المُجلَّدات أو المرتفعات عندما كنت تعمل لدى سيغورڤن؟ أعني، هل كان هناك أشخاصٌ أحبّوا الذهاب إلى هكذا أماكن؟ أشخاصٌ امتلكوا سيارات جِيب مجهَّزة لهذا النوع من الرحلات؟ زبونٌ امتلك هكذا مركبةٍ؟

راح ستاينر يفكّر للحظة ويحكّ رأسه.

– لا، لا أعتقد. لقد تأخر الوقت قليلاً لطرح هذه الأسئلة. لا أتذكّر رؤية أشخاص يقودون سيارات جِيب في محيط سيغورڤن، لكنني بالكاد كنتُ أعرفه. لقد وجَدتُ تلك الوظيفة من خلال أحد أعمامي الذي كان مراقباً للعمّال في تلك الشركة، ولم أعمل هناك منذ فترة طويلة.

– لم ترغب في البداية أن تقول ما تعرفه، وقد رفَضت التكلّم عن ذلك الشجار.

– ليس من واجبي إحقاق الحق، والموضوع لا يهمّني على الإطلاق.

لقد استُمع إلى ستاينر كشاهدٍ في البداية، ثم تلقت الشرطة مكالمة من مجهول يقول فيها إن شخصاً سمِع هجالتلين يتجادل مع سيغورڤن ويهدِّده ليلة اختفاء هذا الأخير، ولم يمرّ وقت طويل حتى اكتشفت الشرطة أن حبيبة ستاينر هي المتصل المجهول، فقد أخبَرها ستاينر أنه شهِد الواقعة، لكنه أشار لها إلى أنه لا يريد التورّط في هذه القضية. لم تستجب حبيبته لطلبه، لكنها بقيت حذرة لعدم كشف هوية ستاينر، رغم أنها حدَّدت أنه يعمل في شركة سيغورڤن، وجرى الباقي بسهولة كبيرة. كونراد يعرف ستاينر وماضيه المُريب، وقد لاحَظ عصبيته عندما دردَشا، ورغبته بإنهاء تلك المحادثة في أسرع وقت ممكن، لذا شرَح له كونراد أن الشرطة تُدرك التهديدات التي وجَّهها هجالتلين نحو سيغورڤن، وسأله إن كان يعلم بها، محدِّداً له أن الشرطة تلقت مكالمةً من شخصٍ رفض الكشف عن هويته. عندها ادّعى ستاينر أنه لا يعرف شيئاً، لكن عندما استجوبه شرطي آخر يدعى ليو، روى ما رآه وسمِعه في مرأب السيارات.

بما أن ستاينر لم يُعتبر شاهداً موثوقاً، تحقَّقت الشرطة من أنه لم يكن يحاول إخراج نفسه من الورطة عبر إتهام هجالتلين، وبقي المشتبه به لبعض الوقت، لكن حبيبته قالت إنها أمضت الليل كله معه، عِلماً أنه ليس لديه أي سبب ليتهجَّم على مديره، ناهيك عن قتله. بناءً على ذلك، كان آخر شخص غير هجالتلين يرى سيغورڤن حيّاً، وحقيقة أنه أخفى هذه المعلومات جَعَلته مشتبهاً به.

بقي يُسأل بلا كلل لماذا لم يذهب إلى الشرطة فوراً بعد نشر بلاغ البحث والتحري، ورَدَّ أنه فعل ذلك بالضبط ليتجنَّب إخضاعه لهذا النوع من

الاستجوابات، وأنه خشي أيضاً أنه سيُشتبَه به بناءً على ماضيه فترفض الشرطة أن تصدِّقه وبالتالي سيعتقدون أنه مَن قتل سيغورڤن.

طُلب منه أن يستعرض عدداً من الأشخاص، وتعرَّف فوراً على هجالتلين دون أي تردّد بأنه الرجل الذي تشاجَر مع مديره، وبقي مصرّاً على موقفه. وقد أقسَمَ ستاينر أنه لم ير هجالتلين قبل ذلك المساء فهو موظف جديد في الشركة.

– دار وقتها كلام كثير عما حصل على تلة أوسكجوليد، قال كونراد وهو ينظر إلى جهاز المساعدة على السير بجانب السرير. ربما تأخر الوقت كثيراً للعودة إلى هذه النقطة، لكن هل تتذكَّر قصة ذلك الجِيب؟

راح ستاينر يفكِّر قليلاً.

– لا، لا يمكنني القول إنني أتذكّرها.

سعل كونراد.

– أي نوع من المركبات تملك؟

– أنا؟ هل لا تزال تظن أنني قَتَلتُ ذلك الرجل؟! صاح ستاينر. لم تكن لديَّ سيارة، وكنتُ معتاداً أن استخدم شاحنة الشركة لأعود إلى منزلي. إنها المركبة الوحيدة التي كانت معي.

– لا أظن أي شيء على الإطلاق، وهذا مجرد سؤال.

– طريقة استخدامكم شهادتي لمضايقة ذلك الرجل لم تعجبني بصراحة، قال ستاينر بصوتٍ مرهقٍ. عرَفتُ أنه لا يجب أن أتكلَّم معكم أبداً. أبداً. لكن تلك المرأة اللعينة اتصلت بكم. على المرء أن يكون سافلاً حقيقياً ليفعل شيئاً كهذا.

– لا داعي للإهانات لأننا كنا سنعثر عليك في نهاية المطاف، حتى من دون تدخّلها، طمأنه كونراد.

– اسمح لي أن أشكّ بذلك، قال ستاينر متبجّحاً. أشكّ بذلك كثيراً.

ساد صمتٌ، وشَعَر كونراد أن العجوز لا يُخبِره كل شيء. لقد أخبَره موظفٌ في دار المسنّين أنه لا يتلقّى أي زيارة أبداً، وأنه يقضي معظم وقته في غرفته بعيداً عن بقية النزلاء، وقد ساءت حاله كثيراً في الأسابيع الأخيرة، ولن يعيش لوقت طويل على الأرجح.

– هل لا يزال... ليو شرطياً؟ استفسر ستاينر بعد صمت طويل.

– ليو؟ نعم، لا يزال شرطياً. لماذا؟

راح ستاينر الضعيف والهزيل يحكّ لحيته البيضاء.

– آه، لا أعرف، بالنسبة لتلك المرأة، ليس لديَّ سبب حقيقي لأتّهمها، لكنني سئمتُ من كل تلك الكذبات.

– ماذا تقصد؟

– ألم يُخبرك ليو أبداً؟

– يُخبرني ماذا؟

– الطريقة التي عامَلني بها.

– بمعنى؟

– لا، لا شيء. هذا لا يهمّ. انسَ الأمر.

– ماذا فعل لك؟

– لا شيء، قال ستاينر وهو يضع يده على صدره. لا يهمّ. أنا مُتعَب وعليَّ أن أرتاح.

– ستاينر...؟

– ارحل رجاءً. هذا يفوق طاقتي، ولا يمكنني أن أتحمَّل المزيد من هذا. اتركني من فضلك.

ساعَده كونراد على الاستلقاء ثم ودّعه، لكن قبل أن يغادر دار المسنّين، ذهَب ليُبلغ موظف الاستقبال أن العجوز قال إنه مُتعَب جداً، فوعده ذاك الأخير أنهم سيُبقون عيناً ساهرةً عليه.

18

اتصلت هيرديس بكونراد في اليوم التالي لتطلب رؤيته، وسألته إن كان يمكنه زيارتها في سوبرماركت كرونة حيث تعمل، لذا قرّر أن يغتنم الفرصة ويتسوّق بعض الحليب والخبز والقهوة والضروريات الأساسية الأخرى، وعندما رأته يدخل المتجر، تركت صندوق الدفع حيث تعمل لتنضم إليه. كان ذلك حوالي الظهر وبالكاد هناك أي زبون في السوبرماركت الضخمة.

– مارتا تلك إنسانة طيبة، قالت وهي تصافحه.

– نعم، إنها لطيفة، وافَقها كونراد الرأي. إذاً فقد استمَعت إليك. أين الزيتون في هذه المتاهة؟

– اتبعني، ردَّت هيرديس. من جهة أخرى، شعرتُ أنها لم تقتنع حقاً.

– هذا ممكن، فمارتا لطالما احتاجت إلى وقت لتتقبَّل الأمور.

دخلا ممراً لا ينتهي فيه كل أصناف المنتجات الإيطالية من معكرونة وطماطم معلّبة وصلصات، وأشارت له هيرديس إلى ما يبحث عنه، فأخذ مرطباناً كبيراً من الزيتون الأخضر ووضعه في سلته.

– أحتاج إلى دقيق الشوفان أيضاً. لا أعرف هذا المتجر أبداً، فهذه أول زيارة لي إلى هنا.

– أردتُ إخبارك، ردَّت هيرديس وهي تستأنف سيرهما في المتجر، أنني التقيتُ صديقاً قديماً لڤيلي أتى ليتسوّق هنا، وقال لي خلال دردشتنا إن أخي أخبَره بما رآه بجانب الخزّانات، وتذكَّر أنه تواجدَ هناك في الوقت نفسه، وأنه هو أيضاً رأى جِيباً لجميع التضاريس بجانب الخزّانات.

– جِيب لجميع التضاريس؟

– نعم، وأصرَّ على أن تلك المركبة لم تكن جِيباً بسيطاً، بل كانت عجلاتها أكبر بكثير من العجلات الاعتيادية، لذا أخبَره ڤيلي أن هناك احتمالاً كبيراً أنهما رأيا نفس الجِيب.

– وحصل ذلك في الوقت نفسه؟

– قبله بقليل على الأرجح. صديق قيلي متأكد من ذلك لأن فريق الصغار لكُرة اليد في نادي ڤالور كانوا يخوضون مباراة تلك الليلة وقد ذهَب لمشاهدتها، ثم صعِد إلى الخزّانات مع رفاقه. لقد تذكَّر تلك المباراة منذ وقت غير بعيد، لذا تحقَّق من التاريخ ووجدَ أنها حصلت في أوائل فبراير.

– وذلك الجِيب كان مميّزاً جداً؟

– نعم، وقد تذكَّر كل ذلك عندما عثروا على جثة سيغورڤن على المُجلَّدة. ووفقاً له، بإمكان تلك المركبة أن تواجه مُجلَّدة لانغيوكل بسهولة.

وَضَع كونراد رزمة دقيق الشوفان في سلته.

– رائع. ربما سأذهب وأستجوب ذلك الرجل، رَدَّ. أنا فضولي، وهذه القصة تقضّ مضجعي، لذا أذهب إلى أشخاصٍ لأطرح عليهم أسئلة، وأجمِّع معلومات وأُخبِرهم أنكِ مَن أرسلني. أردتُك أن تعرفي هذا، وآمل أنكِ لا تمانِعين.

نظَرَت إليه هيرديس باهتمام.

– أنني أنا مَن أرسلك؟

– نعم، أُخبِرهم أنك تبحثين عن أجوبة عما رآه أخوك.

– لكنني طلبتُ منك إيجاد الشخص الذي أسقطه أرضاً. ألا تعتقد أن هذا عذرٌ صالحٌ أكثر؟

جلس كونراد في مطبخه وقد عمَّ الهدوء في الحي بعد أن أوى الجيران إلى أسرّتهم، ورغم أن الوقت متأخر، إلا أنه فتَح قارورة شراب العنب التي أعطاه إياها هوغو على أمل أن يساعده كوبٌ أو كوبان في النوم، لكن ذلك لم ينفعه للأسف الشديد. على أي حال، لقد اندمج ليله ونهاره الآن.

أضاء ضوء السقف الذي فوق الطاولة، لكنه ترك بقية المنزل غارقاً في الظلمة، وراح يدخّن سيجاراً صغيراً ويفكِّر مرة أخرى بمحادثته مع هجالتلين في السجن.

– هل بسببه؟ سأل السجين مصرّاً على أن يُخبره عن أبيه.

– ماذا؟ رَدَّ كونراد. ما هو الذي "بسببه"؟

– أنك دخلتَ سلك الشرطة.

– كالعادة، لا أعرف عما تتكلّم.

– هل أنت متأكد؟

– نعم، أنا متأكد. لم آتي إلى هنا لأتكلّم عن أبي. دعه وشأنه، فما كان عليه ليس من شأنك على الإطلاق.

– إذاً فأنت لا تحاول تصحيح الخطأ الذي ارتكبه؟

التزَمَ كونراد الصمت.

– أليس هذا صحيحاً يا كونراد؟ ألا تحاول أن تكون أفضل منه؟ أليس لهذا أصبحت شرطياً؟ ألهذا السبب أصبحت هذا الشرطي المسكين الفاشل؟

– تباً لك!

– لا شكّ أن هناك بعض أوجه الشبه بينكما، فهناك جزء منه فيك. لكن أي جزء؟ كيف تشبهه؟ هل ورثتَ خُبثه؟ حقده؟

أخذ كونراد رشفة من شراب العنب، ثم رنَّ الهاتف. إنه دار المسنّين حيث يتواجد ستاينر، وقد أخبروه أنه نُقل للتو إلى المستشفى جرّاء تعرّضه لنوبة قلبية، وأنه يصرّ على التحدث إليه.

19

سقَط ستاينر في الرواق ونُقل فوراً إلى المستشفى بعد أن نهض من سريره وذهَب ليطلب المساعدة من ألم حادّ في صدره، ثم انهار أرضاً، وسارع الموظف الذي عثر عليه إلى إبلاغ قسم الطوارئ. ستاينر قابعٌ الآن في العناية المركَّزة، ويطالب برؤية كونراد الذي نصَحه الأطباء ألا يطيل البقاء لديه، ولا يعرفون إن كان سيبيت ليلته في المستشفى أم لا.

مرَّ بعض الوقت على وقوف كونراد بجانب سريره عندما فتَح ستاينر عينيه. تعرَّف عليه العجوز بعد لحظات قليلة، فابتسم له بتكلّف وأعاد إغماض جفنيه.

– أرفض أخذ هذا السر معي إلى القبر، همَس بصوتٍ منخفضٍ بالكاد يمكن سماعه.

– أي سر؟

– لحسن الحظ أنه لم تتم إدانة هجالتلين أبداً، والآن وقد مات ذلك المسكين، لذا... لكنهم عثروا على الجثة على تلك المُجلَّدة... لا يمكنني التوقف عن التفكير بذلك منذ أن رأيتُ الخبر على التلفزيون.

– تفكّر بذلك؟ عما تتكلّم؟

فتَح ستاينر عينيه وحدَّق به.

– لم يكن ليو ذكياً جداً وقتها، وعندما يقبض على أحدهم... يصبح سادياً حقيقياً، ولا يمانِع من ضربه ضرباً مبرحاً. وقد تمادى كثيراً ذات مرة لدرجة أنني بقيتُ أسير بصعوبة لعدة أيام، وقد غطَّس رأسي في المرحاض. ربما أنت تُدرك كل هذا، وربما لستَ أفضل منه.

– لستُ مثله أبداً، قال كونراد مدافعاً عن نفسه.

– لكنني لا أهتم، همَس ستاينر. لم يعد قادراً أن يفعل أي شيء لي بعد الآن. هو الذي رتَّب كل شيء.

– بمعنى؟

– هدَّد أن يتّهمني بجريمة القتل، وقال إنه ليس لديَّ عذر تغيُّب، وقد توتَّرتُ وخفتُ كثيراً بسبب...

أغمضَ ستاينر عينيه مرة أخرى، وبدا مُنهكاً، وعرَف كونراد أنه لا يمكنه البقاء معه طويلاً.

– ... ماضيي، وعرَفتُ أنه قادر أن يضعني في موقف سيئ. كان متأكداً من ذنب هجالتلين، ولا ينقصه سوى إثبات التهمة. هذا ما أخبَرني إياه. أنه ينقصه إثبات التهمة.

– وماذا إذاً؟

– رأيتُ هجالتلين وسيغورڤن يتجادلان. لم أكذب، وصحيح أن هجالتلين خبيث جداً، وشعرتُ أنه على وشك أن ينقضَّ على عنق سيغورڤن.

– لكن؟

– لم أسمع ما قالاه لبعضهما البعض.

راح كونراد يحدِّق بالعجوز.

– ماذا تقصد؟

– لم أسمع أبداً هجالتلين يصيح بسيغورڤن أنه سيقتله.

– ماذا تقول؟!

– لم أسمعه أبداً يصرخ، "سأقتلك... أيها الحثالة". لم أسمع تلك الكلمات أبداً. ليس حقاً. ليو هو الذي أجبرني على قول ذلك. من غير المستحيل أن يكون قد قال تلك الكلمات، لكنه ربما قال شيئاً مختلفاً جداً.

– ولا تقول هذا إلا الآن؟ بعد كل هذا الوقت؟

– لا أريد أن آخذ هذا السر معي إلى القبر.

– ستاينر...؟

– إنها الحقيقة. الحقيقة البحتة.

– هل تظن أننا سنصدِّقك؟ هل أنت متأكد أنك لا تكذب؟ ربما تريد أن تنتقم من ليو؟

قال ستاينر شيئاً بصوتٍ خافتٍ جداً، واضطر كونراد أن ينحني ليسمعه.

– يمكنك أن تصدِّق ما تشاء، همَس العجوز، لكنني لم أسمع ما قالاه

لبعضهما. لقد هدَّدني ليو، وأقسَمَ أنه سيلقي التهمة عليَّ، ولم أتجرّأ أن أعارضه. ربما قال هجالتلين ذلك الكلام حقاً، لا أعرف، فقد بدا أنه يهدِّده. بالمناسبة، سيغورڤن أيضاً بدا أنه يهدِّده، لكنني لم أسمع حديثهما. على أي حال... ليو هو الذي أجبرني على قول ذلك. كله من اختراعه. استطاع إقناعي أنني سأنتهي في السجن في نهاية المطاف، وأنه من المحتمل جداً أن يكون هجالتلين قد قال تلك الكلمات.

– لا يمكنني يا ستاينر...

– إنني أخبرك فقط أنها الحقيقة.

– ما كان سبب شجارهما؟

– لا أعرف. كل ما أعرفه هو أن ليو الحثالة جَعَلني أقول كل ذلك.

– هل... ستاينر؟

أغمضَ ستاينر عينيه، وأتت ممرِّضةٌ إلى سرير العجوز وتمنَّت على كونراد أن يرحل. تردَّد للحظة وهو يقف بجانب السرير، ثم شَكَر الممرِّضة، وأخرجَ هاتفه واتصل بمارتا.

20

في اليوم التالي، كان كونراد ينتظر مارتا في مكتبها عندما دخَلت مسرعةً، يتبعها ليو، وأغلقت الباب بعناية. وقف ليو متجهِّماً وشبكَ ذراعيه، ولم يتنازل ويلقي حتى نظرة خاطفة نحو زميله السابق، فقد تجادَل للتو مع مارتا، وكان غضبهما جلياً. استوت مارتا على كرسيها، ووجَّهت سبابتها نحو كونراد.

– هذا الحديث يبقى ضمن هذا المكتب، مفهوم؟

– هل اعترفَ بالكذب؟ سأل كونراد.

الوقت حوالي الظهر، والمطر غزير في المدينة، والسماء مظلمة، بعد أن بقي الطقس في الأيام السابقة معتدلاً ومشرقاً، لكن الهواء برَد كثيراً فجأة، وسيحلّ قريباً ليل الشتاء الأبدي تقريباً، وقد اضطر كونراد أن يكشط زجاجه الأمامي ونوافذ سيارته في الصباح ليزيل الصقيع عنها. لا يعجبه هذا الفصل من السنة، ويتوق بقوة إلى الحرارة والشمس.

ليو في الستينات من عمره، وذو شعر أبيض وملامح ناعمة وسكسوكة، ولا شيء يفوت عينيه الصغيرتين الحادتين. إنه شخص محترم جداً في سلك الشرطة، وهو منخرط بقوة في تحسين الظروف المعيشية لزملائه ويدافع عن مكاسبهم الاجتماعية، وقد عمِل كثيراً مع كونراد فيما مضى، لكن علاقتهما أصبحت باردة منذ فترة طويلة.

– لا شيء يجبرني أن أستمع إلى هذا الكلام الفارغ، قال وهو يضع يده على مسكة الباب استعداداً للخروج من الغرفة. كانت لديه مشكلة في الإدمان على الشراب، وقد عاد إلى وظيفته الآن بعد بضعة أشهر من إجازة غير مدفوعة.

– ابق هنا! أمرته مارتا. أما بالنسبة لك يا كونراد، اِلزم الصمت!

– ستاينر وغد مدلَّل، ولا أفهم أبداً لماذا تُصغي إليه، قال ليو بحدّة موجِّهاً كلامه نحو مارتا بشكل حصري كما لو أن كونراد غير موجود.

– أنتِ تعرفين معنى هذا يا مارتا، رَدَّ كونراد. إذا كان ستاينر صادقاً فإن هذا

يطرح علامة استفهام حول صحة كل التحقيقات التي شارَك فيها هذا الرجل بشكل مباشر أو غير مباشر. كلها دون استثناء. ما عدد الكذبات الأخرى التي اخترَعها؟ ما عدد الاعترافات التي استحصل عليها بالتهديد والإكراه؟

– اصمت! صاح ليو.

– اصمت أنتَ، ردّ كونراد بحدّة.

– من الواضح أن ستاينر مجرد... كذّاب قذر، قال ليو متضرّعاً. وهذا النوع من الاتهامات شائع، وقد قال ذلك لأنه يكرهني. حتى إنني لا أصدِّق أننا نناقش ادّعاءه.

– لكن لماذا؟ تابَع كونراد. ما دافعه لكي يكذب وهو على فِراش الموت؟ لماذا انتظر كل هذا الوقت ليضعك في هكذا موقف سيئ؟

– لطالما أنكر هجالتلين أنه هدَّد سيغورڤن في مرأب السيارات، أشارت مارتا وقد ثبّتت نظرها على ليو.

– أخيراً! طبعاً سيُنكر. ما هذا الكلام الفارغ؟ هل تخيَّلتما أنه سيعترف بأنه هدَّد بقتل رجلٍ اختفى بعد ذلك مباشرةً؟

– والسيد ليو رتَّب كل شيء حتى آخر تفصيل، تابَع كونراد. لقد استغلّنا، واستغلّني تحديداً، وأظن أنه فعل ذلك أكثر من مرة. كان علينا أن نستكشف احتمالات أخرى.

– أياً يكن، قال ليو غاضباً. كل هذا كلام فارغ. إذا أصغينا إلى كل شيء يقوله الأوغاد الذين يحاولون إلحاق الأذى بنا، لن يطول الزمن قبل أن نتوقف عن العمل نهائياً.

– يجب أن تأخذي إفادة رسمية من ستاينر قبل فوات الأوان، ولا تنسي أن تجعليه يوقِّع عليها، اقترَح كونراد.

– هذه هي المشكلة، ردَّت مارتا. لسوء الحظ أن هذا مستحيل، فقد مات هذه الليلة، بُعيد رحيلك.

انفجر ليو بالضحك.

– لا شكّ أنه لم يستطع أن يتحمَّل زيارتك له، قال ساخراً وهو ينظر إلى كونراد. لقد قتلتَ المسكين من الضجر.

– لقد أمضى هجالتلين أشهراً في الاحتجاز بسببك، قال كونراد متَّهِماً، ثم نهض واقترب منه بحركة تهديدية. لقد جعلتَه يعيش أوقاتاً فظيعةً. أنت عار على الشرطة، وهذا منذ فترة طويلة!

– يا لك من مسكين! قال ليو بوقاحة ودفعه بعيداً عنه. إذاً، هل انتهينا؟ سأل مارتا. أشكّ أن يكون العجوز ستاينر قد قال هذا عني، وأنا متأكد أن كونيه* هو الذي اخترع هذا لكي يؤذيني، ويجب أن يخجل من نفسه. هناك أمور أخرى عليَّ أن أفعلها غير الاستماع إلى هذه التخاريف.

ثم خرج من المكتب خابطاً الباب.

– ليس مخطئاً، قالت مارتا. ما الدليل بأن ستاينر لم يخترع هذه القصة ليؤذيه؟

– مارتا...

– أنا لا أقول إن هذا هو الحال، لكننا سنجد صعوبة كبيرة في تقديم أي دليل بما أن العجوز اختار أن يموت في هكذا توقيت سيئ.

– ليو لقَّم الشاهد شهادته، فقد هدَّده وأجبره على أن يقول إنه سمِع بعض الأشياء، وقد اخترع تلك الكلمات بنفسه، قال كونراد متضرِّعاً. علينا أن نراجع التحقيقات التي شارَك فيها لنرى إن كان معتاداً على هذا النوع من الأمور.

– بالطبع، لكن هذا لن يحصل وأنت تعرف ذلك جيداً. على كل حال، لن تكون شهادة العجوز كافية أبداً.

هزَّ كونراد رأسه.

– بالمناسبة، حصلتُ على تسجيلاتك، قالت مارتا.

– تسجيلاتي؟

– من المستشفى.

---

* تصغير كونراد.

21

أخرجت مارتا تسجيلات كاميرات مراقبة المستشفى الوطني بعد أن حصلت عليها في حال كانت تُظهِر الغريبة التي زارت هجالتلين. لكن بما أن الوصف الذي زوَّده الموقَّر غامضٌ جداً، لم يعرف كونراد عما يبحث حقاً غير عن امرأة وحيدة قرب قسم الأورام. هناك العديد من الكاميرات المركَّبة داخل المؤسسة وخارجها، وهو يعرف توقيت الزيارة بدقة كافية، فقد زارت تلك المرأة هجالتلين في وقت متأخر من الليل، عندما كانت الحركة في أدنى مستوياتها، وقد ذكرَ الموقَّر أن الموظفين لم يروها. الأرجح أنها لم تمرّ عبر مكتب الاستقبال، وذهَبت مباشرة إلى غرفة هجالتلين حيث بقيت للحظات بجانب سريره قبل أن تغادر بتكتّم مثلما أتت، وعندما دخلَ الموقَّر غرفته، أشار له هجالتلين بأن يتركهما لوحدهما.

– لم يرغب أن يعرف الموقَّر مَن التي تزوره، قال كونراد وهو يتفحَّص بسرعة صور الكاميرا المثبَّتة عند المدخل الثانوي للمستشفى، وقد شاهد جمهرة سيارات الإسعاف خلف قسم الطوارئ القديم.

– ما الذي يجعلك تظن أن تلك المرأة مهمة؟ سألت مارتا للمرة الثانية. لقد تردَّدت في أن تُطلعه على تلك التسجيلات، فهي لا تحبّ أن تراه يتطفّل هكذا مع إمكانية تعريضه التحقيق الرسمي للخطر، رغم أنهما عمِلا معاً لسنواتٍ ويمكن أن تكون مساهمته مثيرة للإعجاب.

– سبق وأخبرتُك أن هجالتلين ادّعى أنه أمضى الليلة مع امرأة متزوجة في وقت اختفاء سيغورڤن. وربما هذه هي تلك المرأة.

– هذه كانت كذبته المفضَّلة، أليس كذلك؟

– لن يكون الوحيد الذي كذَب علينا، قال كونراد وهو يفكِّر بليو.

– هل تعتقد أن مغامرتهما دامت كل هذه المدة؟

– لما لا؟ إلا إذا كانا قد أنهيا علاقتهما منذ سنوات وأرادت رؤيته للمرة الأخيرة.

– لكي تشكره؟ لقد اضطر أن يتحمّل مشقّات كثيرة ليحمي هويتها.
– تماماً. لذا أرادت أن تشكره على كل شيء، وقد استحَق ذلك. بالمناسبة، هل أخبرتِ هجالتلين عني خلال احتجازه؟
– بالطبع، رَدَّت مارتا.
– أقصد، عن حياتي الخاصة. هل أخبرته عنها؟
– على الإطلاق.

نظَرَ كونراد إلى مارتا التي بدت مُتعَبة وهي تجلس أمام الشاشة. إنها تنتمي إلى الجيل الصاعد، وقد خطت خطواتها الأولى في الشرطة متدرِّبةً على يد كونراد. لم تكن قد التقت شريكتها بعد في ذلك الوقت، وقالت إنها تستمتع بحياة العزوبية، رغم اقتناع كونراد بخلاف ذلك، وقد حصل على الدليل عندما انتقلت تلك المرأة من ڤيستمان للعيش معها، وأصبحت مارتا تشعّ فرحاً واعتقَدت أنها وجَدت السعادة. بعد سنوات على ذلك، أسِف كونراد لرؤية علاقتهما تنتهي. مارتا ليست من النوع الذي يشكو، لكنها غالباً ما اتصلت به في وقت متأخر من الليل، خاصة في الشتاء، لتتكلّم معه لساعاتٍ عما يختلج قلبها، وفهِم كم أنها تشعر بالوحدة، ولم يوافق كونراد أبداً مع ما قاله أحد الزملاء على سبيل المزاح: تحت ذلك السطح الخارجي العتيد، ينبض قلبٌ من حجر.

وضع شريطاً ثانياً في الجهاز وهو يسأل مارتا عن أحوالها، فطمأنته أن كل شيء بخير وسألته عن سبب طرحه هكذا سؤال. رَدَّ أنها تبدو مُتعَبة وأنه قلِق عليها.

– لكن كل شيء على ما يرام. أنت أيضاً تبدو مُتعَباً أحياناً.
– أخشى أن كل تلك الأطباق الحارة لا تلائمك.
– على العكس تماماً أيها الجاهل، فهي صحية جداً.
– إذاً، هل يتقدّم هذا التحقيق الجديد؟
– ببطء، لكنني لستُ أكيدة أنه يجب أن أُخبِرك عنه، خاصة وأنك تورَّطت فيه لأسباب شخصية جداً. يجب أن تنتبه لعدم أخذ الأمور بشكل جدي جداً. أنتَ مَن أعطاني هذه النصيحة في الماضي.
– وتشعرين أنك أخذتِ بها؟ سأل كونراد.

لقد حذَّرها ذات يوم من ضرورة عدم أخذها عملها معها إلى المنزل، لكنهما كانا يُدركان الصعوبة الكبيرة لاتباع ما يُعتبر "المبدأ الحادي عشر لكل شرطي".

– برأيي أنني أخذتُ بها أفضل منك، رَدَّت مارتا.

– هل تعتقدين ذلك؟

– نعم، أنا مُقتنِعة به.

راح أطباء وممرِّضات ومقدِّمو رعاية ومُسعِفون وزوّار يظهرون ويختفون على الشاشة.

– وماذا تخفي هذه المرأة؟ سألت مارتا.

– أي امرأة؟

– هذه، قالت وهي تشير إلى امرأة تنتظر أمام المصاعد. أرجِع التسجيل.

أرجعَ كونراد التسجيل، وظهرت امرأة في معطف طويل وخِمار تدخل عبر باب المستشفى وتسير نحو المصاعد وقد أدارت ظهرها للكاميرا، ثم اختفت في أحدها بعد لحظات.

– ألن تكون... مَن هذه؟ سألت مارتا.

أعاد كونراد عرض المقطع للمرة الثالثة، وبدا لهما أن الغريبة فعلت كل شيء لكي لا يفطِن لها أحد. يبدو أنها عرَفت أن المستشفى مجهَّزة بكاميرات مراقبة وحاوَلت تجنُّبها.

– هل تعتقد أننا سنراها أثناء دخولها؟ سألت مارتا.

أخذ كونراد تسجيل الكاميرا المثبَّتة عند المدخل، ورصداها بسرعة بما أنهما يعرفان توقيت زيارتها هجالتلين، حيث شاهداها تقترب من المبنى وهي تحرص على عدم ظهور وجهها أبداً، ثم مَرّت عبر الباب، رافعةً يدها أمام عينيها ومستخدمةً الوشاح لتُخفي الجزء السفلي من وجهها.

– مَن هذه؟ سأل كونراد.

وجَد التسجيل من كاميرا رواق الطابق الثالث، وقد أظهر باب المصعد يُفتح، ثم خرجت ممرِّضتان، وتلتهما المرأة ذات الخِمار مسرعةً نحو قسم الأورام. كانت الساعة الحادية عشرة، وقد دخلَ موقَّر المستشفى غرفة هجالتلين في ذلك الوقت ورأى تلك الغريبة هناك.

– هل هي التي نبحث عنها؟ سألت مارتا متحقِّقةً.

ضغَط كونراد زر التسريع إلى الأمام، فظهر قسم السرطان خالياً، لكنهما رأيا الموقَّر يمرّ على الشاشة.

– هذا صديقك! قالت مارتا.

– نعم، هذا بيتور. إنه رجل طيب.

سرَّع الشرطي السابق التسجيل إلى الأمام إلى أن فُتح باب غرفة النوم مرة أخرى، وظهرت المرأة ذات الخِمار تخرج إلى الرواق، لذا ضغط زر العرض بالحركة البطيئة. عادت الغريبة إلى المصاعد، وضغطت زر استدعائها، لكنها فضَّلت عدم انتظارها، ونزلت الدرج محافظةً على هدوئها طوال الوقت وواضعةً يدها فوق عينيها، لذا لم يكن من الممكن رؤية وجهها أبداً.

استأنَف كونراد عرض تسجيل الكاميرا المثبَّتة عند المدخل وراح يبحث عن الوقت المناسب. ظهرت الغريبة تسير في الرواق نحو الباب، وهي لا تزال تُخفض رأسها وتضع يدها فوق عينيها، ثم بدأت تفتِّش في حقيبتها فجأة فاضطرت أن تسحب يدها، وسقط وشاحها على كتفَيها.

جمَّد كونراد الصورة. هذه المرأة ليست غريبة عليه، رغم أنه لم يرها منذ عقودٍ.

– إنها هي! كيف يُعقَل هذا؟

– مَن هذه؟ سألت مارتا بفارغ الصبر.

– ماذا ذهبت ليندا تفعل هناك؟

راح كونراد يحدِّق بالشاشة غير مصدِّق.

– مَن هذه؟ كرَّرت مارتا سؤالها وهي تتململ على كرسيها.

– لا يمكنني أن أصدِّق، همَس كونراد.

– ماذا؟

– هذه زوجته.

– زوجة مَن؟

– ليندا. زوجة سيغورڤن. لماذا ذهَبت لرؤية هجالتلين؟

– أهذه هي؟ سألت مارتا وهي تقترب من الشاشة.

– لكن ماذا أرادت منه؟ همَس كونراد وعيناه لا تزالان تحدِّقان بالشاشة.

22

في اليوم التالي، ذهَبت مارتا إلى منزل ليندا برفقة أحد الزملاء، وسألتها عن سبب زيارتها هجالتلين في المستشفى الوطني. أنكرت ليندا في البدء، لكن مع إصرار الشرطية، اعترَفت أنها أرادت أن تبقى تلك الزيارة سرية لأسباب واضحة، مما فسَّر لعبة الغمّيمة التي بقيت تلعبها. فبعد أن علِمت أن هجالتلين يموت، وأنه أُدخِل قسم الأورام في المستشفى، أرادت بكل بساطة أن تسأله إن قَتَل سيغورڤن معتقدةً أنه سيُخبِرها الحقيقة وهو على فِراش موته، لكن بما أنه لم يُخبرها أي شيء جديد، ودَّعته وغادرت وهي تحاول تجنّب العدد الكبير من الكاميرات التي تعرف أن المستشفى مجهَّزة بها، لكن من الواضح أنها لم تكن حذرةً كفاية.

راحت ليندا تُلِحّ على مارتا أن تُبقي تلك الزيارة سرية.

اتصلت مارتا بكونراد هاتفياً ولخَّصت له اجتماعها.

– وهل هذا كل شيء؟ تساءل.

– نعم، هذا كل شيء.

– هل تصدِّقينها؟

– من الصعب الجزم، رَدَّت مارتا.

– هل طلبتِ لائحة باتصالاتها الهاتفية؟

– نعم، سأرسلها لك حالما أحصل عليها، وعلى الأرجح قريباً جداً. أعتقد أنه من الأفضل أن تذهب وتراها أنت أيضاً، فهذه قضيتك أيضاً بطريقةٍ ما.

– ولا تنسي أنني أنا مَن تعرَّف على هذه المرأة، أضاف كونراد.

– حسناً، لكن احترس من الغرور، حذَّرته مارتا.

لم يستطع كونراد أن يصبر طويلاً وذهَب في نفس ذلك المساء إلى ليندا التي تعيش في منزل جديد في مقاطعة غرافارهولت، على مسافة قريبة جداً من ملعب الغولف، ولم تبدُ متفاجئة من رؤيته يقف على عتبة بابها. صحيح أنهما لم يريا بعضهما منذ وقت طويل جداً، إلا أنها تعرَّفت عليه فوراً، وفهِمت سبب زيارته

لها، وشَعَر كما لو أنها كانت تنتظره. الفناء المرصوف أمام المنزل مُحاطٌ بأحواض زهور، وفي وسطها أجمةٌ غير مورِقة بدت مُنذِرة بالسوء وقد غرقت في الظلمة تحت الرذاذ الخريفي.

– هل أتيتَ لرؤيتي بسبب تلك الزيارة إلى المستشفى؟ سألت دون مقدمات، ودون حتى أن تعطيه المجال ليلقي التحية عليها.

أومأ كونراد برأسه.

– قيل لي إنك تقاعدتَ.

– بالفعل، رَدَّ، لكن بعض الأشياء تلاحقنا.

نظَرَت إليه ليندا باهتمام.

– هذا صحيح تماماً، وافَقته الرأي. تفضَّل بالدخول.

وَجَد الداخل دافئاً ومريحاً، ومزيَّناً بأغراض جميلة ولوحات، وبدت أضواء المدينة تلمع من بعيد خلف شبكة ترشيح المطر، ومن الممكن رؤية جزء من ملعب الغولف. سألها إن كانت تمارس هذه الرياضة.

– لا، لكن زوجي يمارسها. إنه في أسكتلندا في رحلة عمل، أضافت كما لو أنها أرادت أن تبرِّر غيابه.

لقد تزوَّجت مرة أخرى مؤخراً من رجل يدير شركة استيراد صغيرة مقرّها في كوبافوغور. إنها صيدلانية، وبقيت لسنوات عديدة تعيش مع إبنتها الوحيدة التي دَرَست التكنولوجيا في الدانمرك قبل أن تعود إلى آيسلندا مع زوجها وولديها، وقد باعتا حصص سيغورڤن في شركته بثمن كبير، وورثت الأم والإبنة مبلغاً محترماً. جهدت ليندا لتجعل مالها مُثمِراً، وأنفَقَت إبنتها وِرثها لاحقاً على تسديد رسوم دراساتها وثمن شقتها. وقد كانت المرأتان قادرتين على تحمّل تكاليف بعض الرفاهية، ولم تعانيا من مشاكل مادية.

– يبدو لي أن الكثير من الأزواج يمارسون رياضة الغولف معاً، تابَع كونراد يقول دون أن يقصد أن يتدخّل في خصوصياتها.

– ليس نحن، رَدَّت ليندا. هذه الرياضة لم تهمّني أبداً، بينما تايتور يحبّها!

عرضت عليه القهوة، وسألته إن كان يفضِّل شيئاً آخر فاختار ليموناضة بالزنجبيل. ثم جلسا في غرفة الجلوس، والاثنان مصمِّمان على عدم جعل هذه

المقابلة مؤلمة جداً. ليندا في الستينات من عمرها، وذات ملامح ناعمة وعادية، وشعر أشقر، وجسم ممتلئ، وكانت ترتدي ملابس مريحة للمنزل عبارة عن بنطلون فضفاض وغلالة، ولا تضع أي مجوهرات.

– أتت صديقتك لتستجوبني، قالت وأخذت رشفةً من كوب الليموناضة بالزنجبيل الذي أضافت إليه بعض الشراب الروسي، وقد امتنَع كونراد عن ذلك، فهو يقود.

– أظن أنك تتكلَّمين عن مارتا.

– يبدو أن أجوبتي لم تُقنعها بما أنك هنا.

– لم ترسلني، ردَّ كونراد.

شرَح لها أنه يعمل لصالح أخت رجلٍ كان مهتماً جداً باختفاء سيغورڤن. لقد شهِد ذلك الرجل ذات يوم حدثاً على جهة أوسكجوليد من الخزّانات يعتقد أن له علاقة بالموضوع، وقد ندِم لعدم تصرّفه بديناميكية أكبر، وتريد أخته معرفة ماذا حصل على التلة تلك الليلة، وهي مُقتنِعة أن ذلك سيوضِّح ظروف وفاة أخيها.

– أخبَرتني صديقتك مارتا عن ذلك الشاهد الجديد، قالت ليندا. لم أكن أعرف بوجوده. في النهاية، الناس يثرثرون، ويصدِّقون أنهم رأوا وسمعوا أشياء كثيرة.

– بدا ذلك الرجل جديراً بالثقة، أكَّد لها كونراد.

– ليس عندي شكّ بذلك.

– بالإضافة إلى ذلك، طلبت الشرطة مساعدتي عندما سُجن هجالتلين مرة أخرى. بالنسبة لي، تلك الأحكام لا تزال صالحةً، أضاف مبتسماً.

– حسناً، ماذا تريد أن تعرف؟

– لماذا ذهَبتِ لرؤية هجالتلين؟

– سبق وأخبرتُ صديقتك. أردتُ أن أسأله إن كان يريد أن يريح ضميره قبل أن يغادرنا، لكنه لم يفعل ذلك. هذا كل شيء، ولم أمكث طويلاً.

– أردتِ معرفة إن قَتَل سيغورڤن؟

– أليس هذا واضحاً؟

– وقد أنكرَ كالعادة؟

– نعم.

– ألم يتفاجأ من رؤيتك؟
– يتفاجأ؟ ربما قليلاً... لنقل إن زيارتي كانت... غير متوقعة.
– لقد بذلتِ جهداً كبيراً لكي لا يتعرَّف عليكِ أحدٌ.
– لا تُخبِرني أن هذا يفاجئك... نظراً إلى الحالة.
– على الإطلاق، رَدَّ كونراد. من جهة أخرى، أنا متفاجئ أكثر بكثير من أنكِ ذهَبتِ لرؤيته.
– حسناً، شَعَرتُ فجأة بالحاجة إلى فعل ذلك. لا أعرف ما الذي أصابني. أردتُ رؤيته قبل... قبل...
– هل تواصلتِ معه قبل مرضه؟ قبل تلك الزيارة؟
– لا.
– ألم يكن يُخبرك أي أخبار أبداً؟
– لا. ثم علِمتُ أنه يحتضر.
– أظن أن مارتا أخبَرتك أن هجالتلين لا يملك عذراً لمكان وجوده ليلة الاختفاء، وقد ادّعى أنه أمضى الليلة مع امرأة رفَض دائماً الكشف عن هويتها بحجة أنها متزوجة، وبقي مصرّاً على ذلك حتى لحظاته الأخيرة. ذهَبتُ لرؤيته في السجن عندما عثروا على سيغورڤن على المُجلَّدة، وبقي يدّعي براءته ويكرِّر تلك القصة حتى الملل، ودعيني أُخبرك أنني كدتُ أصدِّقه في نهاية المطاف.
أخذت ليندا رشفة ليموناضة.
– رؤية تسجيلات المستشفى صدمتني، تابَع كونراد يقول. لم أفكِّر بالأمر أبداً، لكن يمكنني تفهّمه، وهو واضح جداً.
– ما هو؟ سألت ليندا.
– لا أعتقد أنكِ شعرتِ فجأة بحاجة ماسّة للتكلّم معه على فِراش موته. لا أصدِّق أنكِ ذهَبتِ لرؤيته لتحصلي على أجوبة.
– حقاً؟
– لا، برأيي المسألة معقَّدة أكثر.
أخذت ليندا رشفة أخرى مُظهِرةً هدوءاً تاماً. لطالما كانت هادئةً وواثقةً.
– لا أرى إلى أين تريد أن تصل بهذا، رَدَّت محاولةً التملّص من الفكرة.

– لقد تلقّى هجالتلين عدة اتصالات على هاتفه الخلوي، كما أجرى بضعة اتصالات أيضاً، كما استخدَم خط المستشفى ليُجري اتصالَين آخرَين، إما لأن بطارية هاتفه الخلوي فرغت، أو لأنه خشي أن أحداً يتنصَّت عليه. على كل حال، لم يشكّ بهاتف المستشفى، أو ربما أراد رؤيتك بشدّة لدرجة أنه أخذ المخاطرة. أول رقم اتصل به هو رقم أخته في الولايات المتحدة، والرقم الثاني هو رقم هذا المنزل.

بقيت أعصاب ليندا باردة.

– قبل يوم على زيارتك المستشفى.

حافظت ليندا على صمتها.

– هو الذي اتصَل بك، أليس كذلك؟ تابَع كونراد. وقد سمِعتِ صوته للمرة الأولى منذ سنوات، وأخبَرك أنه يموت وطلب رؤيتك.

راح ليندا تحدِّق به ببرادة تامة.

– هجالتلين كذّاب بالفطرة، لكنه لم يكذب لحظتها، فقد أمضى الليلة مع امرأة متزوجة فعلاً، وأصبحتُ أفهم الآن لماذا رفَض دائماً الكشف عن هويتها.

اغرورقت عينا ليندا، وبقيت جامدة لا تتحرَّك، وظهرها مستقيم على كرسيها، وحاوَلت أن تدَّعي أن كلمات كونراد لم تنل منها.

– كنتِ قد توقفتِ عن العيش مع سيغورڤن عندما اختفى، لكن طلاقكما لم يكن قد أُنجز قانونياً، أليس كذلك؟ كنتما لا تزالان متزوجين على الورق؟

أومأت ليندا برأسها، وزمَّت شفتيها.

– اعتبركِ الناس مطلَّقة، ولم يتعاملوا معك أبداً على أنكِ امرأة متزوجة. كما أنكِ كنتِ في منزل أختك تلك الليلة. لقد تحقّقتُ من ذلك، لكنني لم أجد أي كيد له في محضر الشرطة، وأعتقد أنهم لم يتحقَّقوا أبداً من عذرك مع أختك أن لا أحد تخيَّل أنه يمكنك أن تؤذي سيغورڤن. يجب القول إن هذا التحقيق تاهَ في كل الاتجاهات من الأيام الأولى.

انحنى كونراد صوبها.

– أنا محقّ، أليس كذلك؟ أنتِ تلك المرأة المتزوجة؟ سأل. تلك المرأة التي بقي هجالتلين يرفض إعطاءنا إسمها.

23

نهضت ليندا، وأفرَغت كوبها، ووضعته على صِوان السفرة الصغير في غرفة الجلوس، وذهَبت إلى المطبخ لتُحضِر بعض المناشف الورقية لتمسح دموعها، ثم عادت بعد أن استعادت رباطة جأشها وجلست على كرسيها.

– لم أعتقد أنك ستكتشف كل هذا، قالت. يجب أن يُريحني هذا، لأن هذه القصة تقضّ مضجعي، وهي كابوس يؤرقني منذ مدة طويلة.

– لقد كذَب هجالتلين علينا كثيراً، رَدَّ كونراد. وكان من المستحيل التفريق بين الصواب والخطأ في كلامه. لقد فعلنا كل شيء لنجدك لأنه لم يكشف لنا هويتك أبداً، ولم نلحظ أبداً أي أثر لتلك المرأة المتزوجة التي تكلَّم عنها دائماً، ولم يتخيَّل أحدٌ في الشرطة أنها يمكن أن تكون زوجة سيغورڤن.

– عندما عِلمتُ أنه قال إنه أمضى الليلة مع امرأة متزوجة وأن ذلك هو العذر الذي أعطاه، لم أستطع أن أصدِّق أذنيَّ، بعد أن بقي يُخبرني بوجوب أن تبقى علاقتنا سرية.

– كان يائساً... ثم خاطَرتِ بالقدوم لرؤيته في المستشفى قُبيل موته.

– نعم.

– هل تعتقدين أن الأمر كان يستحق ذلك؟

– كنا قد أنهينا كل علاقتنا، ولم نعد نتقابل أو حتى نتصل ببعضنا البعض، رَدَّت ليندا، ونتصرَّف كما لو أن كل ذلك لم يحصل من الأساس. دعني أُخبِرك أن ذلك سبَّب لي بعض الحزن، لكن الخطر كان كبيراً جداً. ثم مرّت السنوات... وعندما رأيتُه في تلك الحالة في المستشفى مستلقياً على ذلك السرير... بدا رهيباً، ووجدتُ صعوبة في التعرّف عليه.

– تقدَّم مرض السرطان لديه بسرعة كبيرة.

– بدا هزيلاً بالكامل.

– لماذا اتصل بكِ؟

– أظن أنه أراد توديعي.

– ماذا أخبركِ؟

– في النهاية، لم يكن هناك الكثير لنقوله لبعضنا البعض، لكن أفادتني رؤيته مرة أخرى، وتمضية بعض الوقت معه و...

لم تملك ليندا القوة لتُنهي جملتها.

– هل كانت علاقتكما قد بدأت منذ وقت طويل عندما مات سيغورڤن؟

– بضعة أشهر.

– ألهذا السبب تركته؟ لأنكِ كنتِ مع هجالتلين؟

أومأت ليندا برأسها.

– نعم، حسناً، إلى حد ما.

– لكن ألم يعرف سيغورڤن؟

– لا، رَدَّت ليندا. لم يعرف أنني أواعد هجالتلين، ولم يكن زواجنا سعيداً. أعتقد أننا كنا سنتطلّق على أي حال.

– ألهذا السبب ذهَبتِ إلى هجالتلين؟ لأن علاقتكما كانت تترنَّح؟

– إلى حد ما، نعم.

– أين كنتما تلتقيان؟

– هنا وهناك. في منزله. في منزلي. كنا يقظَين جداً، ونتقابل في بورغارنس، في سيلفوس، في فنادق صغيرة. لم يكن الناس ينتبهون لنا ولم نكن ننشغل بهم. كان سيغورڤن يمضي الكثير من الوقت في الخارج، وهذا سهَّل الأمر علينا.

– لكن لماذا خنتِه؟

– هل تعتقد أنه يمكن شرح هكذا أمور؟ ردّت ليندا بحدّة. كانت علاقتي بسيغورڤن تموت، وقد فهِمني هجالتلين، طمأنني، واساني، أخذني بين ذراعيه، وكان حنوناً معي.

راح كونراد يستمع إليها بصمت وهي تُخبره عن تعرّفها على سيغورڤن في ثانوية ڤيرسلونرسكولي المتخصِّصة بالمجالات التجارية. لقد أخبَرته كل هذا منذ عقود، لكن قصتها نضجت الآن، وأصبحت تحمل بصمات تجارب مؤلمة. وصفَت سيغورڤن بشابّ ناري ومِقدام، وقد أغوتها ثقته بنفسه، وهما بالكاد في العشرين

من عمرهما. كان فتى وسيماً ولا ينقصه المال أبداً، وهذا أمر يعجبه. بقي سيغورڤن يحلم بمشاريع مختلفة وبأن يصبح غنياً، وقد قطَع دراسته وأخبَرها أن لا شيء يُجبرها على أن تدرس الصيدلة إذا لم تكن تريد ذلك حقاً، لكنها تحب أن تتعلّم، ولطالما أرادت ارتياد الجامعة وأن تصبح مستقلة. لم تكن مهتمة بهجالتلين في الثانوية إلى أن بدأ ذلك الأخير كل أنواع المشاريع مع سيغورڤن. بدا الشابّان متشابهين جداً، وأرادا أن ينجحا بسرعة عبر ترك الدراسة، لذا فإن هجالتلين لم يُنهي دراساته في ڤيرسلونرسكولي، ولم ينجح في البكالوريا أبداً، وقد أقنَعه سيغورڤن أن يستثمر حوالي 50% في شركة لصيد السمك، بينما كان هو مالك أكثرية الأسهم. راحت ليندا والشابان يمضيان الكثير من الوقت معاً خلال تلك الفترة، وقد واعد هجالتلين عدداً من الفتيات، لكنه لطالما كان مُعجباً بليندا، وقد عرَفت ذلك وشَعَرت به، وحتى إنه أخبرها بذلك ذات مساء.

– هكذا بدأ كل شيء، حتى قبل وقت طويل من بدء انهيار العلاقة مع سيغورڤن، تابَعت ليندا. لا أعرف لماذا قمتُ بالخطوة الجريئة، لكن زواجي كان يسير على غير هدى، وقد عرَف هجالتلين ماذا يريد وتمكّن من الحصول عليه.

– أراد الابتعاد عن سيغورڤن؟ ألهذا السبب باع حصته عندما عرض عليه سيغورڤن شراءها منه؟ هل بسبب العلاقة بينكما؟

– أظن أن ذلك لعِب دوراً.

– شَعَر أنه يُسرَق، وقد اتَّهَم سيغورڤن بالنصب عليه.

– كان حانقاً، أقرَّت ليندا. ورغم أن دمه حار، إلا أنه يهدأ بسرعة عادة، لكنه احتدم غيظاً بشأن تلك النقطة، ثم خفَّت حدّة ذلك الغضب بسبب الشعور بالانتقام إلى حد ما من سيغورڤن، لكن كلينا شَعَر بتأنيب الضمير، فنحن لسنا وغدَين.

– ألم يكتشف سيغورڤن أي شيء أبداً؟

– لا، لا أعتقد.

– هل كنتِ تعرفين أن هجالتلين يواعد سالومي؟

– لقد انتهت قصتهما، أكَّدت له ليندا، وكان سيقطع علاقته بها عندما حصل كل ذلك.

– لماذا لم تُخبِرينا عن تلك العلاقة؟ سأل كونراد. أما كان ذلك أسهل؟

– كان هجالتلين مقتنعاً أن الشرطة ستنشئ رابطاً بين علاقتنا وعملية الاختفاء، وقد نجح في الخروج لأن لا أحد عرَف بها. أما بالنسبة لي، فكنتُ سأُعتبر شريكة في الجريمة في الواقع، وأُحاكَم. يمكننا أن ندّعي أننا كنا معاً عندما اختفى سيغورڤن، لكن لن يصدِّقنا أحد، وسيُحكَم علينا بالسجن المؤبد. هكذا تخيَّل هجالتلين أن الأمور ستسير، وشَعَر بقلق كبير بما أنه يعتبر أنه يواجه اتهامات باطلة تغذّيها الشرطة نفسها. مثلاً، يُفترَض أن ذلك الشاهد سمِعه يهدِّد سيغورڤن بالقتل، لكنه أقسَمَ لي أن ذلك الرجل كاذب، وأنه ليس لديه أي شكّ أن كل شيء من اختراع الشرطة نفسها. لذا لم يثق بأي شخص لأنه مقتنعٌ أن الشرطة ستستغل علاقتنا ضدنا، وأننا سنُعامَل بلا أي رحمة.

– بالفعل، لم يستطع أن يثق بأي شخص، أقرّ كونراد وهو يتذكَّر ستاينر وليو، وتساءل إن كان عليه أن يُخبِرها عن شهادة العجوز الحديثة، لكنه فضَّل عدم فعل ذلك.

– لم يتجرّأ أن يُخبِرك عن علاقتنا، وعرَف أنك ستستخدم ذلك ضده، وخشيَ أن تخترع المزيد من الكذبات. كان يائساً ورأى مؤامراتٍ في كل مكان.

– لذا لم يحمِ امرأةً متزوجةً فحسب، بل أراد إنقاذ نفسه أيضاً؟

أومأت ليندا برأسها.

– أعتقد أن هجالتلين لم يكن مخطئاً، قال كونراد. كان من الأفضل عدم كشف تلك العلاقة، حتى ولو سبَّب له ذلك الكثير من المتاعب، وبالكاد نجح في الإفلات من عواقب القضية. كانت علاقتكما سترجِّح كفّة الميزان في الاتجاه الخطأ.

– هذا ما بقي يقوله.

– لقد أمضى كل ذلك الوقت في الحبس الاحتياطي دون أن يتراجع عن أقواله، وأظن أنكِ كنتِ فخورة به، فالحبس الاحتياطي ليس نزهةً.

– فخورة به؟ تماماً. كنتُ يائسة لوجوده في السجن، وانتابني شعور سيئ جداً، لكن ماذا بوسعي أن أفعل؟ كنتُ خائفة. هل كان عليَّ أن أُسرع إلى المخفر لأُخبركم كل شيء؟ ماذا كان سيحصل عندها؟ كان سيُحكَم علينا. ماذا

كان سيحلّ بإبنتي؟ مَن سيهتمّ بها؟ لم نرتكب أي ذنب. كان هجالتلين معي ذلك المساء حقاً. ليس عندي أي سبب لأكذب عليك. كان معي.

– هل تعرفين لماذا تجادَلا في مرأب السيارات؟

– لأمور مالية. كان هجالتلين حانقاً من الطريقة التي سارت بها الأمور، لكنه لن يقتل أي شخص أبداً كرمى لبضع كرونات.

– مَن كان يعرف عن علاقتكما؟

– لا أحد، كنا يقظَين جداً.

– مما يعني أنك الوحيدة التي يمكنها تأكيد هذه النسخة الجديدة من الأحداث، أشار كونراد.

– نعم.

– لقد كذَبتِ. كذَبتِ على سيغورڤن وعلى الشرطة، وأخفيتِ معلومات مهمة عنا، وتقولين إنك لم ترغبي المخاطرة بأن يجري اتهامك أنتِ وهجالتلين. سيظن البعض أنك فعلتِ ذلك لأنكِ قَتَلتِ سيغورڤن.

راحت ليندا تحدِّق بكونراد ودمها يغلي.

– هذا خطأ!

– ليس لدينا أي دليل على أقوالك.

– وها قد أصبحتَ تفهم لماذا لم يرغب هجالتلين أن يُخبرك، رَدَّت ليندا رافعةً صوتها للمرة الأولى. لم يرغب أن يُخبرك مهما يحصل، ولهذا السبب بالضبط! لأن الشرطة كانت ستشتبه بنا وتخترع أموراً لم تحصل أبداً.

أكملت تحدِّق بكونراد.

– صحيح أننا... خنّاه، وكان ذلك مريعاً، لكننا لم نفعل أي شيء آخر على الإطلاق.

24

بدت أولغا غير جذّابة على عادتها. إنها تعمل في قسم أرشيف الشرطة منذ فترة طويلة، وستبلغ سنّ التقاعد قريباً، ولا يجب أخذ كلامها على محمل الجدّ كثيراً، وهي تبدو خلف طاولتها أشبه بإضبارة كبيرة: صغيرة الحجم، وذات رِجلين قصيرتين قويتين، وجسم مربع مَهيب. لطالما كانت غريبة الأطوار، ويجهد الزملاء للحدّ من علاقاتهم بها إلى حدود الضرورة حصراً، وقد نجح كونراد في أن يكسر الجليد معها على مر السنوات، وأصبحا ينسجمان جيداً معاً في السنوات القليلة الأخيرة، لكن ذلك لم يمنعها من أن تنزعج عندما طلب منها البحث عن تقارير حادث قيلي، أخ هيرديس.

– اعتقَدتُ أنك تقاعدتَ. لماذا تريد هذه الأشياء؟ وكيف تهمّك هذه القضية؟

– طلبت مني أخت هذا الرجل أن أُجري بعض الأبحاث، رَدَّ عليها.

– هل هي فتاةٌ خذلتَها؟

– لا، إنها امرأة تحتاج إلى مساعدتي.

عرَف كونراد لماذا تسأله هذا السؤال، فقد أخبرته مارتا أن أولغا في مزاج سيئ لأن زوجها استسلم في نهاية المطاف وهجرها حديثاً بعد ثلاثين سنة من الزواج، حيث أخبرَ زوجته وإبنتَيه أنه لم يعد يطيق كل هذا الهُراء وأنه راحلٌ. لم يشرح لهم السبب، لكن لم يمرّ وقت طويل حتى اكتشَفت أنه انتقل ليعيش مع امرأة أخرى، مع سافلة نحيلة حسب قولها. والآن الرجل يتصرَّف كما لو أنه لم يعرف أولغا أبداً في حياته. أراد كونراد أن يُظهِر تعاطفه معها.

– كيف حالك؟ سأل بتردّد.

– بالله عليك لا تدَّعي أنك لا تعرف ما جرى!

– لا، أنا...

كان على وشك أن يقدِّم لها "كل تعازيه"، لكنه غيَّر رأيه بما أن أحداً لم

يمت، ولم يعرف ماذا يقول لشخصٍ انفصل عن شريك حياته مؤخراً.

– لطالما كان ذلك المسكين وغداً نذلاً، رَدَّت أولغا، وافترَض كونراد أنها تتكلَّم عن زوجها السابق.

لقد التقى ذلك الرجل في عدة ولائم سنوية، وقد تبادَلا بعض الأحاديث العامة. لم يعرفه، لكنه أشفَق عليه لاضطراره إلى تحمّل هذه الغُولة بشكل يومي. أما اليوم فأولغا تؤذيه هو، لذا تساءل إن لم يكن طبعها السيئ هو سبب رحيل زوجها إلى حدّ ما، لكنه لم يجرؤ طبعاً أن يقول أي كلمة بشأن ذلك.

– أظن أن الزملاء لا يتكلَّمون عن موضوع آخر غير هذا، قالت أولغا.

– على الإطلاق، طمأنها كونراد. لكنني لا آتي إلى هنا كثيراً، وأنا مرتاح جداً من أنني تقاعدتُ.

– لقد نجح أولئك السيّاح الألمان حيث فشلتَ، ألا تجد هذا مُحزِناً؟ سألته دون أن تقدر على إخفاء ابتسامة متكلّفة. بصراحة، لطالما اعتبرتُك غير ذكي جداً. أقصد أنني بقيت أضايقك بهذا بما فيه الكفاية.

– هذا صحيح، رَدَّ كونراد ليكسر الصمت فحسب.

– حسناً، لا يحقّ لي أن أعطيك ذلك المحضَر، ردَّت أولغا بلؤم. أنت تعرف أنك لم تعد تعمل في هذه الإدارة، وأرشيفنا غير مفتوح للعامة.

– مفهوم، لكنني أتيتُ إلى هنا في الأغلب لأسألك إن كنتِ تتذكَّرين ذلك الحادث، فمن النادر جداً أن يصدم سائقون مشاةً، ناهيك عن الهروب.

كان كونراد قد تصفَّح الانترنت ليراجع صحف تلك الفترة التي تحدّثت عن ذلك الحادث كثيراً، وراجَع الصور التي نشرتها الصحافة والتي أظهرت حَشداً من الناس حول سيارة إسعاف وسيارات الشرطة في عاصفة ثلجية مستعِرة.

– هل تتكلّم عن ڤيلمار هاكونارسون؟ الرجل الذي دُهس في شتاء 2009؟ سألت أولغا متحقِّقةً.

– تماماً.

– لم تتولَّ ذلك التحقيق لأنك كنتَ في إجازة، صح؟

– نعم.

– كنتَ تفعل أي شيء.

– نعم.

– إن لم تخنّي الذاكرة فإن ذلك الحادث وقع في شارع ليندارغاتا في منتصف الليل خلال عاصفة ثلجية، قالت أولغا، وارتاح كونراد من أنها لم تذكر أسباب أخذه تلك الإجازة.

– هذا صحيح.

– كان ڤيلمار عائداً إلى منزله لوحده تماماً، وبناءً على منسوب الشراب في دمه، من المدهش أنه نجح حتى في الخروج من المقصف. مات من صدمةٍ في الرأس ومن نزيف داخلي. إذاً، هل ذاكرتي جيدة؟

أومأ كونراد برأسه.

– قاس زملاؤنا المسافات واحتسبوا المسارات وفقاً لوزن الضحية لأنه كان من المستحيل العثور تلك الليلة على أي آثار فرملة أو عجلات بسبب العاصفة والثلج الغزير، وقد اختفى كل شيء تحت الثلج فوراً. بالإضافة إلى ذلك، ضاعت كل آثار محتملة تحت دوس أقدام الفضوليين الذين تجمَّعوا في الشارع، ولم يكن هناك شاهد حيّ للحادث، وقد بقيت الضحية ملقاةً على الرصيف لفترة طويلة قبل أن يجري اكتشافها.

– ولم يتم العثور على شيء يحدِّد أنه دُهس عن قصد؟

– عن قصد؟ كرَّرت أولغا.

أعطت نفسها لحظة تفكير طويلة، وراحت تحدِّق بكونراد مرعوبةً.

– لقد أثرتَ حشريتي، تابَعت تقول. أعتقد أنني أتذكَّر أننا استكشَفنا هذا الاحتمال، لكننا لم نصل إلى أي نتيجة.

– سيكون من المثير للاهتمام الحصول على تأكيد.

– انتظر قليلاً.

ذهَبت لإحضار الملف المخزَّن في إضبارتين، وشرعت تقرأه مع كونراد فوراً: تقرير تشريح الجثة، رسم تخطيطي للمكان، احتساب السرعة، افتراضات عن نوع المركبة ووزنها، منسوب الشراب في الدم، الطقس في ريكيافيك تلك الليلة، أحوال حركة السير في مكان وقوع الحادث، أحوال الإضاءة، لائحة الشهود الذين تم استجوابهم، بالأخص في المقصف حيث احتسى ڤيلي أكواب شرابه الأخيرة.

– افترضَ المحقِّقون أنها مركبة كبيرة ثقيلة وليست مجرد سيارة، لاحظت أولغا.

– مهلاً لحظة، رَدَّ كونراد وهو يتصفَّح تقرير تشريح الجثة. القسم العلوي من الجسم هو الذي تلقى الصدمة، وكانت صدمة عنيفة جداً حطَّمت الحوض وأربعة أضلاع. يعتقد الأطباء الشرعيون أن تلك الكسور نتجت عن الاصطدام، ثم تلقى ڤيلمار ضربة عنيفة على الجهة الخلفية لرأسه عندما حطّ على الرصيف.

– إنهم يحاولون اكتشاف أي آثار للفرملة، تابَعت أولغا وهي تقرأ تقريراً آخر. لكن كل شيء ضبابي بسبب العاصفة الثلجية، ولم يجدوا شيئاً يحدِّد أن السائق توقف ليخرج من السيارة ويُنقِذ ڤيلمار. على كل حال، داست أقدام المتفرِّجين على الثلج الذي غطى المكان، وقد واصلَ السائق طريقه ببساطة، ولم يكن ليرى ڤيلمار بسبب الرؤية السيئة.

– لكن لا شكّ أنه شَعَر بالصدمة، تساءل كونراد. ومن البديهي أن يكون قد أدرك ما جرى.

– يقولون إنها مركبة كبيرة، رَدَّت أولغا.

– مثل جِيب؟ شاحنة؟

– لما لا؟

– هل استجوبنا أولئك الذين أمضوا الأمسية معه في المقصف؟

تصفَّحت أولغا المستندات.

– وجَدتُ إسم صديق، يدعى إنغيبرغور، يدّعي أنه احتسى بعض أكواب الشراب معه ذلك المساء.

تابَعت أولغا تتصفَّح الأوراق.

– لا أعتقد أن المسكين سيُخبرنا الكثير، فالأرجح أنه كان ثملاً أيضاً.

25

إنغيبرغور، وينابيه الأصدقاء المقرّبون إنغي، هو آخر شخص رأى ڤيلي حيّاً. لقد عمِل الرجلان معاً في قطاع البناء وأصبحا صديقين. عمِلنا كمجانين، قال إنغيبرغور، وراحت أحياءٌ كاملةٌ تظهر في غضون بضعة أشهر: فيلات فخمة، منازل ذات مصاطب، ومباني سكنية. كما نبتَت المتاجر كالفطر، ومعظمها في حظائر ضخمة على أطراف البلدة. كافح مديرهما ليحترم كل عقد يوقّعه، وبقي يعاني باستمرار من نقص في عدد العمّال، ولا شكّ أنه اتصل بوكالة توظيف مؤقّت أرسلت له عمّالاً أجانب، وبقوا لبعض الوقت يتحدّثون أربع لغات في المواقع حيث عمِل مع ڤيلي، ولم يمرّ الأمر من دون مشاكل، فقد كانا الشخصين الوحيدين في الفريق اللذين يتكلّمان الآيسلندية في ذلك الوقت.

ڤيلي وإنغي بنفس السنّ، وكلاهما عازبان وُلدا في الأحياء الشرقية، وشَغوفان بالرياضة حيث ڤيلي مشجَّعٌ مخلصٌ لفريق ڤْرام في كُرة القدم، وإنغي لفريق ڤالور، لكن ڤْرام وڤالور عدوَين لدودَين، لذا كانت بداية صداقتهما صعبةً، فحالما انضم إلى الشركة، ارتكب إنغي خطأ السخرية من فريق ڤْرام الذي نزل الصيف السابق إلى الدرجة الأولى في الدوري. أما بالنسبة لفريق ڤالور، فبالكاد فاز في أي مباراة، وهو أمر لم يتردَّد ڤيلي في الإشارة إليه، ولم يتردَّد في طرح أن التاريخ الطويل لفريق ڤْرام مثير للاهتمام أكثر بكثير من تاريخ ڤالور، وقد أنهى إنغي ذلك الشجار بتقديمه أمثلة مختلفة عن براعة فريقه. بقيا يتشاحَنان على هذا المنوال لبعض الوقت، ثم فهِما سخافة شجارهما، وعثرا على عدو مشترك هو فريق KR، أو ناتديبيرنوفيلاغ ريكيافيكور، نادي كُرة قدم ريكيافيك، ولم يتوقّفا عن الذمّ به أبداً. وسرعان ما أصبحا معتادَين على الذهاب إلى الملعب لحضور المباريات معاً، أو الاسترخاء في مقصف يبثّها مباشرةً ليشاهدانها وهما يحتسيان أكواب شراب شعير لذيذة وبضعة أكواب صغيرة من الشراب القوي حتى منتصف الليل. وهذا كان شيء آخر مشترك بينهما: كلاهما يحبّ احتساء الشراب.

لكن لم يكن للشراب نفس التأثير عليهما، حيث يميل إنغي إلى أن ينطوي على نفسه ولا يعود يكلِّم أحداً، بينما ڤيلي المتحفِّظ والخجول يصبح ثرثاراً جداً، ولا يتوانى عن الاقتراب من بقية زبائن المقصف ليناقش أي شيء وكل شيء معهم، وأصبح يعرف الزبائن الدائمين ويحيّي الزبائن الجدد كأنهم أصدقاء قدامى. إنغي يترك نفسه ينجرف بعيداً، ويقلّ كلامه ويزداد عمق تفكيره كلما طالت السهرة، وعندما يسأله أحدهم شيئاً، يكتفي بإعطاء جواب مقتضب. ذات يومٍ سأل شخصٌ ڤيلي إن كان صديقه يعاني من مشكلة، وتملَّص ڤيلي من الإجابة بقوله إنه *شريكه الصامت*.

ذات مساء في نهاية نوفمبر، ذهَب إنغي وڤيلي باكراً إلى هناك لمشاهدة مباراة في الدوري الإسباني، وحجزا طاولةً بمواجهة الشاشة حيث جلسا لوحدهما بانتظار وصول الزبائن، ثم انضم إليهما ثلاثة من عشّاق كُرة القدم. كانت لياقة ڤيلي البدنية رائعة، والجو ممتازاً، وراحا يدردشان مع الشباب الذين جلسوا إلى طاولتهما، وتوافق الجميع أن فريق برشلونة أفضل بكثير من فريق ريال مدريد.

انتهت المباراة، وأنهى الزبائن شرابهم استعداداً للعودة إلى منازلهم. حيّا بعضهم النادل وشكَروه، بينما أغلق آخرون سحّابات معاطفهم المشمَّعة تحضيراً للعاصفة المستعِرة في الخارج حيث ساءت حال الطقس كثيراً، واشتدّت الرياح، وراح الثلج يتساقط بغزارة. بالكاد اكترث الصديقان لذلك، وبقيا لوحدهما إلى طاولتهما، وقد غرَق إنغي في صمتٍ منذ بعض الوقت.

استمر المقصف يفرغ من زبائنه، وبعد أن ثمِلَ كفاية ليتغلّب على خجله، راح ڤيلي ينظر إلى الطاولات المجاورة، وبين النساء القليلات اللواتي شاهدن المباراة، رأى اثنتان بنفس سنّهما تقريباً تجلسان عند المشرب. نكزَ ڤيلي إنغي الذي نظَرَ إليهما دون قناعة كبيرة، وكاد ڤيلي أن يقترب منهما عندما نهضتا. قبَّلت إحداهما النادل ثم غادرت مع صديقتها.

ذهَب ڤيلي ليطلب شراب شعير آخر، وحيّا الشابّ الجالس عند المشرب، وتبادل بعض التعليقات معه عن المباراة، وبدأ النقاش، بينما بقي إنغي يحتسي شراب شعيره لوحده على طاولته، ملقياً نظرة سريعة دورية نحو صديقه. دخلت ثلاث فتيات وضحِكن وهن ينفضن الثلج الذي تراكم على ملابسهن. هذه أول

مرة يراهن هنا، ولم يبدُ أنهن يعرفن هذا المقصف الذي جلنَ بنظرهن عليه قبل أن يقتربن من المشرب ليطلبن كوكتيلات متعددة الألوان، ثم ذهَبن ليجلسن بعيداً، كما لو أنهن أردن البقاء لوحدهن. لطالما كان حظ إنغي عاثراً مع النساء، ورغم أنه حظي بحبيبة ذات يوم، إلا أن العلاقة لم تدم طويلاً. راح يتساءل إن كان عليه أن ينضم إليهن، لكن شيئاً أوقفه، فهو لا يعرف ماذا يقول لهن، ولم يرغب أن يبدو شخصاً شريراً يعاكس الفتيات.

أخيراً وبعد أن وجد شيئاً يقوله لهن، نهض ليسير إلى طاولتهن، لكن شجاعته خانته عندما اقترَب منهن، وغيَّر اتجاهه، ولم ينظرن إليه حتى. لم يستطع أن يعود إلى طاولته، لذا خَرَّ في زاويةٍ ممسكاً شراب شعيره في يده، وقلبه يخفق بسرعة.

ربما كان ثملاً أكثر مما ظنَّ، ولم يعرف لكم من الوقت بقي يجلس هناك، خاصة أن النادل كان قد أحضَر له كوبَي شراب شعير آخرَين، ثم نهض مترنِّحاً وتذكَّر ڤيلي. لقد رحل صديقه، وكذلك الرجل الذي كان يدردش معه، فجلَس إنغي عند المشرب وغفا، ثم أيقظه النادل ورجل آخر وأخبراه أنهما يغلقان المقصف، لذا خرَج إلى العاصفة وهو يشعر بالنعاس. اجتاز وسط المدينة غير متأثر بالعاصفة الثلجية، ودفعته الرياح إلى منزله وهو ثمل تماماً، ولم يحتفظ إلا بذكرى غامضة عن الرحلة.

مسَّد إنغيبرغور لحيته، وأخذ رشفة أخرى من شراب الشعير.

– ظنَّ ڤيلي على الأرجح أنني ذهَبتُ، قال شارحاً.

– ولم تره منذ ذلك الوقت؟ سأل كونراد.

– لا.

26

إنهما في المقصف الذي أمضى فيه الصديقان أمسيتهما الأخيرة، وقد تغيَّر مالكو المؤسسة ثلاث مرات منذ وفاة ڤيلي. يمكنك أن تأتي دائماً وتشاهد مباريات كُرة القدم هناك، لكن لا تُخاض أي مباراة في الوقت الحاضر، والأجواء هادئة فالزبائن قليلون بعد ظهر هذا الأربعاء، والموسيقى هادئة في المكان، والنادل يرتّب الأكواب النظيفة التي راحت تجلجل وهو يضعها على الرفوف تحت المشرب.

كان إنغيبرغور قد احتسى كوبَي شراب شعير من قبل، وقطعَ مسافة جيدة في الكوب الثالث، وتورَّد خدّاه، وبقي يمسِّد لحيته الحمراء الكثيفة دون توقف وهو يُكمل قصته. لا يزال عامل بناء، وقد وجَد وظيفةً منذ ثلاث سنوات بعد فترة من البطالة، حيث عمِل ثلاثة أشهر في أكوريري لصالح مقاولٍ يبني مركزاً رياضياً، لكنه لم يستطع أن يتحمَّل الشتاء القاسي في شمال آيسلندا.

هيرديس هي التي ساعَدت كونراد على إيجاده، فقد تذكَّرت إسم الشخص الذي عمِل الشابّ لديه مع أخيها. لقد أفلسَ مديرهما السابق، لكنه تذكَّر ڤيلي وإنغيبرغور بشكل واضح، وقد أعطاها إسم مستثمر آخر اعتقدَ أن إنغي لا يزال يعيش في أكوريري، لكن عثر لديه على رقمه الجوّال وأعطاه إلى هيرديس. وعندما اتصلت به، أجاب بعد الرنّة الثالثة، وأخبرها أنه عاد إلى ريكيافيك.

أخبَر إنغيبرغور كونراد عن رحلتهما الأخيرة إلى هذا المقصف، وقد تذكَّر كل شيء بوضوح تام بما أنه أعادَ استعراض أحداث تلك الأمسية ألف مرة في ذهنه، ذاكراً تفاصيل تافهة مثل نتيجة المباراة، أو الحديث الذي تبادلاه قبل بدايتها، لكن ذاكرته لا تزال غامضة بشأن ما حصل بعد فشله في التقرّب من الفتيات الثلاثة.

– ربما كان عليَّ أن أبدأ حديثاً معهن، تمتم وهو يأخذ رشفة أخرى من شراب الشعير، وبدا واضحاً أن ضميره يؤنّبه لتركه صديقه عند المشرب.

– لكنك لم تفعل ذلك.

– لا، فقد خانتني شجاعتي، لذا ذهَبتُ وجلستُ هناك لأُكمل شرابي بينما

دردَش ڤيلي مع ذلك الرجل، رَدَّ وهو يشير سبابته إلى الزاوية. كنتُ... ثملاً جداً.

– ڤيلي أيضاً.

– نعم. لقد تحقّقت الشرطة من منسوب الشراب في دمه.

– كان ثملاً تماماً، وضّح كونراد على أمل أن يساعد هذا في إراحة ضمير إنغي. هل يمكنك أن تُخبِرني المزيد عن الرجل الذي دردَش معه؟

– ليس حقاً، فبالكاد رأيتُه. كان مُحنِفِظاً رأسه، ويجلس عند المشرب. كل ما أعرفه هو أنني لم أره أبداً قبل تلك الليلة، ولا أعتقد أن ڤيلي عرَفه أيضاً. لم يكن زميلاً سابقاً، بل مجرد شابّ جالس هناك راح ڤيلي يدردش معه. هذا طبع ڤيلي، فهو يصبح ثرثاراً عندما يثمل. أعتقد أنني أخبرتُك هذا من قبل.

لم يستطع النادل الذي عمِل في المقصف وقتها أن يقدِّم تقريراً دقيقاً عن الرجل الذي دردش مع ڤيلي، فهو لم يكن زبوناً دورياً طبعاً، وكان يرتدي معطفاً مشمَّعاً سميكاً مثل معظم الزبائن تلك الليلة. خلعَ بعضهم معطفه عند الدخول، لكنه بقي يرتدي معطفه، وكان يضع أيضاً قبعةً ذات حافة عريضة، لذا لم ير النادل وجهه. نشرت الشرطة بلاغ بحثٍ وتحرٍ يتضمن التقرير الموجز الذي قدَّمه الساقي وإنغيبرغور، لكن أحداً لم يتقدَّم بأي معلومة.

– أعرف أنهم طرحوا عليك هذه الأسئلة أكثر من مرة، قال كونراد، لكن هل تعتقد أنهما غادرا المقصف معاً؟

كثيراً ما فكّر إنغيبرغور بهذا الاحتمال، وتمنّى لو يمكنه أن يتذكَّر نهاية الأمسية بشكل أفضل، لكنه لم يستطع. لم يعرف إلى أين ذهَب صديقه، ولم يعرف أنه حين وَصَل إلى منزله في العاصفة الثلجية، كان ڤيلي مستلقياً في بركة دم في شارع ليندارغاتا.

هزَّ رأسه.

– هل تجادلا؟

– لا أعرف عما تحدَّثا.

– ربما أراد الرجل أن يبيعه شيئاً. مخدرات، مثلاً.

– لا أدري. لم يكن ڤيلي يتعاطى المخدرات. لذا... أقول لنفسي... حسناً... سكَت إنغيبرغور قليلاً.

– ربما تجادلا بصوتٍ منخفضٍ. وربما قيلي أزعجه.

– ما الذي يجعلك تظن أن بإمكان ذلك الرجل أن يُخبرك بما حصل؟ كانا لا يعرفان بعضهما البعض أبداً.

– أعرف، لكن ليس لدينا أي دليل، رَدَّ كونراد. والمشكلة أننا في حالة من الغموض التام. ربما يمكنه إخبارنا المزيد، إذا عثرنا عليه، وربما لا يعرف أي شيء، لكن علينا أن نحاول أن نستجوبه.

– هل لا تزال أخت قيلي تحاول معرفة ما حصل لأخيها؟

– نعم.

– كانت لطيفة جداً على الهاتف.

– هل ستكون لديها أسباب بألا تكون لطيفة؟

– لم تلمني على شيء أبداً. قيلي هو الذي أراد الذهاب إلى ذلك المقصف.

سكَت إنغيبرغور قليلاً مرة أخرى.

– وكان عليه أن يتعرَّض لذلك الحادث، تابَع بعد صمت وجيز.

– كان الرجل الذي دردشَ معه يرتدي معطفاً مشمَّعاً. ربما كانت هناك كتابة عليه؟ أو على قبعته؟

نادى كونراد الساقي القديم ليسأله نفس الأسئلة، فأجاب أن الزبائن كانوا كُثُراً تلك الليلة، ولا يستطيع أن يتذكَّر أحدهم تحديداً، خاصة أنهم كانوا حَشداً قليل الصبر ينتظرون شراب شعيره، وقد قدَّمه لهم بوتيرة رشيقة. كما أنه حالما غادر أكثرية الزبائن، راح يلعب الورق على الانترنت وركَّز على لعبته.

– لا، لم ألاحظ أي كتابة على معطفه المشمَّع، رَدَّ إنغيبرغور. لطالما شعرتُ أنه أكبر منا سنّاً، أنه رجل مزعج. لا أعتقد أنه قال الكثير، بل اكتفى بالإصغاء إلى قيلي.

– لماذا لم تذهب وتجلس مع تلك الفتيات؟

– غيَّرتُ رأيي.

– حسناً، لكن هل كان لديك سبب لعدم جلوسك معهن؟

– أنا...

تردَّد إنغيبرغور.

– ماذا؟

– كانت بينهن واحدةٌ أعرفها. كنا في نفس الصف في نهاية الكلّية. هيلغا. تعرَّفتُ عليها حالما دخلن، واعتقَدتُ أنني سأتكلَّم معها، ثم...

– ألم تستطع أن تفعل ذلك؟

– لا... فقد غيَّرتُ رأيي.

راح كونراد ينظر إلى الزاوية التي ذهَب إنغيبرغور ليجلس فيها بقلب مكسور ليلة الحادث.

– هل أخبَرك ڤيلي بما رآه على تلة أوسكجوليد؟ سأل.

– في كثير من الأحيان، ردَّ إنغيبرغور. لقد أصبحت تلك القصة هاجسه. من الواضح أن الكثير من الأشخاص تسكَّعوا هناك في الأيام الخوالي.

– هذا صحيح.

– مثلاً، الرجال المثليّون جنسياً. كان مكاناً يروق لهم.

– هل تتذكَّر ماذا كان يُقال عندما كنتَ فتى صغيراً؟ سأل كونراد.

– أتذكَّر، ردَّ إنغيبرغور.

كانت أوسكجوليد مكاناً مشهوراً للقاء المثليين جنسياً، وقد اعتقدت الشرطة ذات يوم أن سيغورڤن ذهَب إلى هناك لذلك السبب، لكن يبدو أنه لم يكن مثليّاً جنسياً. قالت أخته إن تلك الفرضية مضحكةٌ، وحتى إن فكرة ذهابه إلى هناك ليُشبع احتياجاته الجنسية مضحكةٌ أكثر، لذا تم استبعادها كلياً. اعتقَد كونراد أنه ربما رأى أشخاصٌ آخرون تواجدوا قرب الخزّانات بعض الأشياء، لكن لم يتقدَّم أحد ليُدلي بأي معلومة لأن المثلية الجنسية في ذلك الوقت لم تكن مقبولة جداً.

أخذ إنغيبرغور نَفَساً عميقاً.

– ربما كان لا يزال حيّاً لو أنني بقيتُ معه، همَس.

– كيف تُنهيا أمسياتكما عادة؟ هل تذهبان إلى منزله؟

– نعم، أحياناً، ردَّ إنغيبرغور بصوتٍ غير مسموع تقريباً. وأحياناً نذهب إلى منزلي ونستمع إلى الموسيقى. كان صديقاً حقيقياً، وأنا... حزين جداً لما حصل.

– من الصعب خسارة صديق مقرَّب، وأفهم أنك تفتقده.

– أفكِّر به كثيراً، ردَّ إنغيبرغور. نعم، أفتقده بشدة. بشدة.

27

زار هوغو أباه في المساء مع التوأمين، فبما أن أمهما ذهبت إلى نادي الخياطة، أخذهما هوغو إلى مطعم وجبات سريعة، وأحبّا التوقف عند جَدّهما قبل العودة إلى المنزل. فرِح كونراد برؤيتهما كالعادة، وراح يلاعبهما قليلاً، وقدَّم لهما بعض بوظة الشوكولا التي لديه في الثلاجة.

– كيف الحال؟ سأله إبنه. ألا تزال مهووساً بسيغورڤن؟

– ليس حقاً، فقد تحقّقتُ من بضعة أمور منذ العثور عليه، رَدَّ كونراد وهو يشغِّل آلة صنع القهوة. علينا أن نحذر.

– تقصد أنك لن تستسلم إلى أن تجد الذين فعلوا ذلك به.

– أقصد أنني أبذل قُصارى جهدي لكي أتغلّب على الضجر.

ترَك هوغو ولديه يجلسان مع بوظتهما أمام التلفزيون لمشاهدة فيلمٍ، عِلماً أنهما مضطربان جداً خاصة عندما يتواجدان في منزل جَدّهما الذي يملك موهبة إثارة حماستهما، لذا من الجيد أن يهدأا قليلاً أمام الشاشة.

– كل ما في الأمر هو أنك تفتقد لوظيفتك، ردَّ هوغو.

– على الإطلاق.

– حصل الأمر نفسه عندما طُردتَ.

– لم أُطرَد، صحَّح كونراد. بل أخذتُ إجازةً.

– لم تأخذ أي شيء على الإطلاق، بل أجبروك على أخذ تلك الإجازة. من المذهل أنك لا تزال في حالة إنكار.

– حسناً، أجبروني على أخذها. لكن ما أهمية ذلك؟ ولماذا تعيد طرح هذه النقطة؟ وكيف يجعلك هذا...؟

ذهَب ليُحضر آلة صنع القهوة من المطبخ وهو متفاجئ من المسار الذي يأخذه حديثهما، ولم يفهم لماذا يتكلّم هوغو عن ذلك. نعم، تم تسريحه في وقت وقوع حادث ڤيلي، وهذا يفسِّر قلة معلوماته عن القضية. لقد ارتكب خطأً كبيراً،

وبقي غير متأكد لبعض الوقت من إمكانية استرداده وظيفته، لكن المشكلة حُلَّت بفضل دعم مارتا الحاسم.

سلَّم الكوب إلى هوغو الذي يشبه أمه جسدياً، فقد ورِث الجمال الذي تتميَّز به تلك الجهة من العائلة.

– من الواضح أن الأمر مرتبط بهذه القضية كلها، تابَع إبنه يقول. بك وبأمي. بذلك التحقيق باختفاء سيغورڤن. كنتَ لا تُطاق.

– كان تحقيقاً مرهِقاً يا هوغو، ولستُ متأكداً أن علينا أن نتكلّم عنه مرة أخرى.

– في هذه الحالة، ما الذي يدفعك إلى أن تغوص فيه من جديد؟ لم تعد شرطياً، ولم يعد الأمر يعنيك أبداً.

– لا أدري. إنه جزء مهم من حياتي، وهذا النوع من القضايا يطاردك. لا يزال بإمكاني أن أجعل نفسي مفيداً، كما أن هجالتلين لم يرغب أن يتكلّم مع أي شخص آخر غيري، وهو الذي ورّطني في كل ذلك.

– رغم كل شيء آخر؟

– نعم، رغم كل شيء آخر.

– لم تتوقع أن يتم العثور على الجثة.

– ليس حقاً.

– أظن أن العثور عليها أيقظ فيك الكثير من الأشباح القديمة، فقد عُثر على ذلك الشابّ فجأة، ولم تتمكّن من منع نفسك من الاندفاع بتهوّر.

– سأكون بخير. لا تقلق بشأني.

أمسَك هوغو صورة عرس والدَيه الموضوعة على الطاولة التي بجانبه، والتي التُقطَت أمام دار عبادة هاتغسكيركيا بُعيد الحفل ويظهر فيها كونراد مرتدياً بذلة سهرة مستأجرة وإرنا مرتديةً فستاناً فاتناً، ويبتسمان لبعضهما البعض بهناء.

– ستصبح ست سنوات عما قريب، تابَع هوغو.

– نعم، ست سنوات.

بعد رحيل إبنه وحفيديه، نظَرَ كونراد إلى الصورة مرة أخرى، ووجد صعوبة في التعرّف على الزوجين اليافعين على درج دار العبادة، وبالكاد تذكَّر ذلك الوقت.

بدا طويلاً ونحيلاً كمسمارٍ وبشعر طويل، وشعر إرنا مربوط بشريط، وقد أكثرت من الماكياج قليلاً. كان في السادسة والعشرين من عمره، وهي في السابعة والعشرين، وقد تزوّجا في يوم صيفي جميل في آخر نهاية أسبوع من يونيو، وتُظهر ابتسامتهما المتألقة يقيناً أنهما سيبقيان معاً حتى يومهما الأخير. كان توقيع عقود بيع الرنكة واقتراب موسم حصاد القش يتصدَّران عناوين الأخبار، بينما الحرب مستعِرة كالعادة في العالم الواسع. عاشا معاً لبضع سنوات، على غرار الشائع في أوقات الحرية تلك. وفي يوم العرس، راح كونراد يراقب إرنا وهي نائمة عند الصباح، ثم بعد أن أصبح غير قادر على التحمّل أكثر، أيقَظها عبر تقبيلها بلطف. بقيا في السرير وأخذا يضحكان من هذه الحالة الغريبة، فمن النادر في ذلك الوقت أن يتزوَّج اليافعون، والنادر أكثر حتى هو أن يفعلوا ذلك في دار عبادة، لكنهما قرَّرا القيام بالخطوة الجريئة حتى ولو كانت من الطبائع البورجوازية التافهة. حتى إنه ركَع أمامها ذات مساء ليطلب يدها للزواج، واقترَح أن يغادرا البلدة سراً، ويجدا دار عبادة في الريف، ويتزوَّجا هناك دون أي شخص آخر غيرهما والموقَّر، لكنها خشيت أن تخيِّب أمل عائلتها.

– كنتِ دائماً تفكّرين بالآخرين، همَس كونراد وهو يحدِّق بالصورة.

أخذ نَفَساً عميقاً، وتبادر إلى ذهنه مقطعٌ من أغنية قديمة استمَعا إليها خلال العرس، مجرد سطرين بدَوا مثل همَس صدى حزين لمساء صيفي قديم:

محنة الليالي الطويلة والثقيلة

من المعاناة واليأس *...*

---

* هذه من أغنية *فيغير ليغجا تيل ألرا أتا* ("الطرقات تسير في كل الاتجاهات")، وهي أغنية آيسلندية تقليدية صدرت عام 1963، غناء إيليه فيلهيالمز، وألحان سيغفوس هالدورسون، وكلمات إندريدي ج. ثورستاينسون (والد أرنالدور أندريداسون).

28

نادراً ما يتكلّم كونراد عن أبيه ما عدا مع آيغلو، تلك المرأة التي عملت وسيطاً روحياً لبعض الوقت، والتي تعرّف عليها أثناء تحقيقه في الدور الذي لعِبه أبوه، ولو بشكل غير مباشر، في جريمة قتل وقعت خلال الحرب، حيث عُثر على شابة تدعى روزاموندا مقتولة قرب المسرح الوطني، وذهَب والداها ليستشيرا وسيطاً روحياً. ادّعى ذلك العرّاف، وهو والد آيغلو ومتواطئ مع والد كونراد، أنه لحَظ حضور الضحية خلال الجلسة، لكن بعض المشاركين شَعَروا أنه محتال، وفهِموا أن والد كونراد استفسَر سابقاً عن والدَي الضحية. لذا اتُّهم الشريكان بالاحتيال، فقد استغلا عائلةً في محنةٍ لكي يغتنيا. بعد ذلك بوقت طويل، أجرى كونراد بحثاً معمّقاً في قضية اغتيال روزاموندا التي حصلت قُبيل ولادته، والتي تورَّط فيها جنود أميركيون، وأعيان آيسلنديون، ومقيمون في حي الظلال سكوغاهفرفي.

أخبَرته آيغلو أن أباها الوسيط الروحي انتحر بُعيد قتل أبيه أمام المسالخ، ولم تفهم السبب أبداً ولم تحاول أن تعرفه، لكنها افترَضت أن والد كونراد اكتشف خلال الحرب أشياء قد تكون مشبوهة عن العرّاف، مما أجبره على العمل معه. أقرّت آيغلو أن هذه مجرد تكهّنات، لكن من المعروف أن والد كونراد كان وغداً. وعندما مات الرجلان عام 1963، لم تعد جلسة تحضير الأرواح الفضائحية تلك سوى ذكرى بعيدة، لكن معرفته أن أباه كان يتردَّد على الكثير من الأشخاص السيئي السُمعة جعلت كونراد يتساءل إن لم يستأنف نشاطاته السابقة.

لقد تذكَّر كل ذلك عندما طرَح هجالتلين الموضوع مرة أخرى بسؤاله إن أصبح لا يبالي بموت أبيه. ورغم أنه لم يقل أي شيء، إلا أنه بقي يفكِّر في الأمر كثيراً لبعض الوقت، فالقاتل لم يُكتشَف أبداً رغم أهمية الوسائل المستخدَمة. وقد قرأ كونراد المحاضر في بدايات مهنته، وهي تنتهي بالقول إن الحادث صُدفةٌ مشؤومةٌ: كان أبوه في المكان الخطأ في الوقت الخطأ، فلا شك أنه وقعت مشادّة بينه وبين غريبٍ التقاه في طريقه، ويبدو أن الرجلين لم يتصارعا، بل طعنه القاتل مرتين فوراً،

وليس بدافع السرقة لأن ساعته ومحفظته كانتا لا تزالان معه. واستجوبت الشرطة كل معارفه من أصحاب الجُنح السيئي السمعة أمثاله لكن بلا جدوى.

من جهته، لطالما قال كونراد إنه لم يعرف شيئاً عن تحرّكات أبيه تلك الليلة، فوالداه مطلّقان منذ سنوات، وقد انتقلت أمه للعيش في سَيدسفيوردور، على الطرف الآخر للبلاد، آخذةً معها أخته بيتا بعد أن بقي زوجها دون وظيفة ثابتة، وكان يحتسي الشراب، ويضربها، ويعاشر مدمني شراب وأصحاب جُنح، وأصبح زواجهما مجرد واجهة. وعندما اكتفت زوجته من كل ذلك، رفَض أن يدعها تأخذ كونراد معها، وقال لها إنه يمكنها أن تأخذ إبنتهما، لكن إبنه سيعيش معه. وهكذا وجدت المرأة المسكينة نفسها في وضع مستحيل. اعتقَدت أن قلبه سيرقّ مع مرور الوقت وسيدع كونراد ينضم إليها، لكن ذلك لم يحصل أبداً رغم الرحلات العديدة التي قامت بها إلى ريكيافيك لتحاول إعادة زوجها إلى رشده وتُقنِعه بأن يتوقف عن استخدام إبنهما لكي ينتقم منها.

ليلة وقوع جريمة القتل، خرَج كونراد ليتسلى مع بعض الأصدقاء، وكان قد توقف عن الذهاب إلى المدرسة، وبدأ يحتسي الشراب، وينزلق إلى عالم الجريمة أكثر فأكثر عبر تقديمه خدمات صغيرة مختلفة لأبيه، مثل إعادة بيعه غنائم سرقاته، أو بضائعه المهرَّبة من القاعدة الأميركية في كيفلافيك ومن سُفن الشحن. وحتى إنه اقتحَم ذات يوم متجر مجوهرات مع صديق له، لكن سرعان ما وجدا نفسيهما في موقف صعب دون أن يأخذا أي شيء. كانت حياته تسير بشكل سيئ، ومعشره كارثياً، وقد أدرك ذلك في أعماق نفسه.

لا شكّ أنك صُدمتَ عندما قُتل، قال هجالتلين في زنزانته، واعتبر كونراد أن ذلك تبسيطٌ كبيرٌ للواقع، فقد شَعَر كما لو أنه تلقى لكمة على وجهه عندما أبلغته الشرطة الخبر، ولا يزال صدى الموجة الصدمية التي تبِعت ذلك يتردَّد فيه.

عندما اتصل بآيغلو، رفضت في البداية أن تراه مرة أخرى، ثم وافَقت أخيراً أن تتناول الغداء معه في مطعمٍ. وَصَلت في الوقت المتفق عليه وكل ملابسها سوداء، مثلما جرى في لقائهما الأول، وكانت نحيلة، وأصغر سناً منه بقليل، وبدا وجهها ناعماً، كما لو أن هموم الحياة فارقتها. تصافحَ هذان الغريبان اللذان لا تربطهما سوى قضية احتيال قديمة.

– هل تعتقد حقاً أنك ستكتشف أشياء جديدة بعد كل هذه السنوات؟ سألته بعد أن طلبت طبق سمك سلطان ابراهيم من النادل، وطلب كونراد الطبق نفسه. إنها إنسانة صريحة ومباشرة، ولا تضيّع وقتها في اللفّ والدوران.

– سألني أحدهم ذات يوم إن نسيتُ القصة كلياً أو إن كنتُ أعتبرها لا تستحق أن أكرّس جهدي لها، رَدَّ. لقد صدمتني تلك الكلمات، وبما أنني لم أعد مشغولاً كثيراً، قلتُ لنفسي إنني ربما احتجتُ إلى كل تلك السنوات لكي أصبح راغباً أن أعرف قليلاً أكثر عن أبي.

– كان رجلاً بغيضاً جداً. على كل حال، وفقاً لأبي، ويدعى أنغيلبرت، الأشخاص أمثاله أعداءٌ بالضرورة، وهذا أمر تُدركه بالتأكيد.

– أظن أن الشرطة استجوبت جميع الذين عرفوه، وكذلك عدداً من الأشخاص الذين لم يعرفوه، لكن دون جدوى. لا أعرف من أين أبدأ تحقيقاتي، وفكَّرتُ بكِ فقد أخبَرتني تلك المرة أن أبي اكتشف بعض الأمور عن أنغيلبرت وأنه ابتزّه.

– نعم، لكنني وضَّحتُ لك أن ذلك هو مجرد انطباع شخصي.

– هل تعتقدين أنهما عادا ليعملا معاً؟

– هذا مستحيل.

– لماذا؟

– أنغيلبرت احتقَر أباك، واعتبره إنساناً قذراً، ولم يعد يريد رؤيته.

– هل أخبركِ ذلك؟

– نعم.

– ما السبب الذي جعله يُخبرك عنه؟

– لم يلفظ إسمه أبداً، لكنه تجادل مع أمي ذات يوم وقالت عنه كلمات قاسية جداً. ثم سألتُ أبي مَن هو ذلك الرجل الذي قالت عنه أمي أموراً سيئةً جداً، فرَدَّ أنه صُحبة سيئة جَعَله يفعل أشياء يندم عليها كثيراً.

– لم يعطكِ أي تفاصيل؟

– لا. ما الذي يجعلك تظن أنهما عادا يعملان معاً مرة أخرى؟ هل لديك أي أدلة؟

– لنقل إنني وجَدتُ بعض الأشياء بين أوراق أبي بعد موته.

– بعض الأشياء؟

– مقالات عن نفساني دجّال، وكيف تم كشفه. قصص احتيال وألاعيب. أوصاف عالم الأثير.

– عالم الأثير؟

– نعم.

راحت آيغلو تحدِّق به بارتياب دون أن تقول أي كلمة.

– وهذا فاجأك؟ سألت بعد صمت طويل. هل هذا شيء كنتَ تجهله؟

– تماماً. لم أر تلك المقالات وتلك القصص أبداً، واعتقَدتُ ربما أنه استأنَف نشاطاته القديمة، لكنني لم أستطع أن أتأكد أبداً.

– هل تؤمن بالآخرة؟ سألت آيغلو. ما يسمّيه البعض عالم الأثير؟

– لا، رَدَّ كونراد.

– هل أنت متأكد؟

– نعم.

– في هذه الحالة، لماذا أشعر عكس ذلك؟

– لا أعرف.

– أنغيلبرت احترَم الأشخاص الذين يؤمنون بها، قالت آيغلو. وتعاطفَ مع الذين يتألمون ويبحثون عن أجوبة، بينما أبوك لم يؤمن بأي شيء، ولم يتعاطف مع أي شخص، ولم يكترث للأشخاص الذين في محنة. قل لي كيف عمِل هذان الرجلان معاً؟ وكيف تقاطعت دروبهما اللعينة؟

لم يستطع كونراد أن يُجيبها.

– كان أبي مقتنعاً بما سمّي عالم الأثير، قالت آيغلو. وأن الناس يذهبون إلى ذلك الكون بعد موتهم، وأنه حقيقي مثل عالمنا، وأن القاطنين فيه يتواصلون مع المملكة الأرضية أحياناً، لذا اقتصر دوره على تسهيل ذلك التواصل، وهو كان مجرد وسيط روحي، بينما نجح أبوك في تلطيخ ذلك الاتصال، في تلطيخ تلك الموهبة. هذا يؤلمني كثيراً، ولا أعرف حقاً كيف أتعامل مع أسئلتك وتحقيقاتك، وأتساءل كيف أفسّرها.

29

رغم انزعاجه من كلماتها، لم يحاول كونراد الدفاع عن أبيه فذلك غير ضروري، حيث إنه سمِع أشخاصاً آخرين أكثر صراحة منها بكثير، لكنه ذُهل من عنف المشاعر وردّات الفعل التي يثيرها هذا الرجل بعد هذه الفترة الطويلة على وفاته.

لقد صدفَ أن أخبَره أبوه عن جلسات تحضير الأرواح تلك، وكانت أغلبها عبارة عن قصص غير معقولة بل مضحكة، وقد أثارت حشرية كونراد فوثّق مختلف النظريات المتعلقة بالحياة بعد الموت، بما في ذلك نظريات عالم الأثير الذي يعدّه متتبّعو الروحانية حقيقياً تماماً مثل عالمنا الأرضي، فيعتبرون أن الروح عند موت الشخص تأخذ معها كل الأمتعة التي كدَّستها خلال وقتها على الأرض، بالإضافة إلى شخصيتها وذاكرتها، وتدخل درجة أخرى من الوجود تسمّى الجسم الأثيريّ. والأثر الوحيد الذي يبقى في العالم الأرضي هو الجثة الخاملة للمتوفى بعد أن أصبحت مغلَّفاً عديم الجدوى للروح المحرَّرة. لقد تقيَّد والد آيغلو بهذه النظرية واعتبَر أنه مجهَّز بهوائي ما يمكّنه من أن يلحظ الأرواح الموجودة في تلك الآخرة.

– إنني أحاول أن أفهمه فحسب، وضَّح كونراد. أعرف أنه كانت لديه عيوب كثيرة، وأنا أول شخص يُدرك ذلك. أفهم أنه يؤلمك فتح هذه المواضيع، ولا أعرف حقاً عما أبحث عنه من خلال الانخراط في هذه... التحقيقات. أظن أنني أريد أن أفهم هذا الرجل بشكل أفضل، وأشعر في الواقع أنني لم أعرفه حقاً.

– هناك أمور من الأفضل عدم العبث بها، ردَّت آيغلو. هل خطَر هذا ببالك؟

– بصراحة، أنا...

تردَّد كونراد.

– أنت...؟

– هذا بالضبط ما قمتُ به حتى الآن. لقد تجنَّبتُ العبث بكل ذلك. تجنَّبتُ الاهتمام بما حصل له خوفاً من اكتشاف أمور بغيضة، فهو لم يكن رجلاً سهلاً، وقد انخرط في نشاطات مشبوهة، ولم أكن متأكداً أنني أريد معرفتها بالتفصيل، أو

أنني أريد معرفة المزيد عنه ومعرفة سبب قتله. في النهاية، ربما استحَق ذلك. أظن أن لديك...

سكَت كونراد قليلاً.

– حسناً، أظن أن كل هذا فاتَكِ.

– الفرق بين والدَينا هو أن والدي كان رجلاً محبوباً لا يؤذي نملةً، رَدَّت آيغلو. من جهة أخرى، كان شديد الحساسية ووجد صعوبة في التعامل مع الواقع، ولهذا السبب أظنه أصبح مدمن شراب. بقيتُ أتساءل لفترة طويلة عن سبب إنهائه حياته، فهو لم يترك أي تفسير لذلك، ولم يتكلَّم عنه في الأيام التي سبقت انتحاره، ولم نر أي علامات تحذير، ولم يكتب أي رسالة إلى أمي، أو إليَّ. لا يوجد أي تفسير لاختياره تلك النهاية.

– إذاً كانت مجرد ضربة جنون؟

– بلا أدنى شكّ.

– هل حاول أن ينتحر قبل ذلك؟

– نعم. مرةً واحدةً منذ سنوات.

بقيت آيغلو تحدِّق بكونراد للحظة طويلة وهي صامتة، وقد فهِم أنها لن تقول المزيد. بالكاد يعرفان بعضهما، واستطاع أن يشعر بمدى الانزعاج الذي سبّبه لها هذا اللقاء.

– هل بقي يعمل كوسيط روحي حتى بعد فضيحة هذه الخدعة؟

– نعم، لكن قليلاً جداً، وفقط لبضعة مسؤولين محدَّدين.

– وهل نجَح في إنشاء تواصل مع... عالم الأثير؟

– اسخر منه قدر ما تشاء، رَدَّت آيغلو منزعجةً من النبرة اللاذعة لكلماته.

– عفواً، لم أقصد... هذا لأنني غير معتاد على التكلّم عن هذه الأمور. أؤكِّد لكِ أنني لم أقصد إهانتك، وتنقصني الخبرة في التعامل مع هذه المواضيع.

– كان وسيطاً روحياً حقاً، أصرَّت آيغلو. وقد جلبَ الراحة للناس، ولا أرى كيف يمكن أن يُضحكك هذا.

– عندما تقابلنا تلك المرة، أخبَرتني أن موت أبي صدمه كثيراً. هل يمكنكِ أن تكوني أكثر دقةً؟

– أخبَرتني أمي أن ردّة فعل أبي كانت عنيفة جداً، وبدا مرتعباً، لكنها لم تعرف مما كان خائفاً. وبالكاد أصبح يتجرّأ على الخروج، إلا عندما ترافقه، كما يتحقّق بين الحين والآخر أن الباب والنوافذ مغلقة بإحكام، ويترك النور مُضاءً دائماً كما لو أنه أصبح فجأة يخاف خوفاً شديداً من الظلمة.

– وغيَّر سلوكه بعد وفاة أبي؟

– ظنَّت أمي أنه خائف أن يعود شبحه ليطارده، أجابت آيغلو وهي تومئ برأسها.

– وتلك كانت أول مرة يتصرَّف فيها هكذا؟

هزَّت آيغلو رأسها.

– كان حسّاساً جداً و... نعم، يمكننا حتى القول إنه افتقَر للشجاعة، ولا يلزمه الكثير لكي يضطرب. قالت أمي إنه احتاج إلى وقت طويل لكي يتعافى من الفضيحة واتهامات الدَجَل التي عانى منها خلال الحرب، كما شعرَت أنه لم يتعافَ أبداً في الواقع.

– لأنه امتلَك تلك المهارات حقاً؟

– هذا واضح، وأيضاً لأنه لم يرغب أن يعمل أعمالاً شريرةً، فهو لم يكن من ذاك الصنف من الرجال. بقي ضميره يؤنّبه دائماً، وأحياناً لأمور تافهة، وسعى دائماً ليقدِّم أفضل ما لديه.

– هل تم تشريح جثته؟ سأل كونراد.

– لا. لم يكن ذلك ضرورياً، وكل شيء حُسم بسرعة كبيرة. وما هو السبب الذي سيجعلنا نرغب بتشريح الجثة؟

– لا أعرف، هذا مجرد تساؤل. أخبَرتني أنه كان مدمن شراب، وإن لم تخنّي الذاكرة، أخبَرتني عن نوبات شرب دامت عدة أيام أحياناً.

– نعم، وقد قلِقت أمي كثيراً عندما اختفى لعدة أيام متتالية دون أن يتصل بها، والأرجح أنه كان بصُحبة كثير من الأشخاص مثل...

– مثل أبي؟

– نعم.

– هل كان ثملاً عندما...؟ هل كان قد عاد من إحدى نوبات الشرب تلك

عندما أنهى حياته؟

– نعم.

– هل أمك هي التي عثرت عليه؟

– لا، قالت آيغلو بغضب. هل تريد معرفة التفاصيل؟ هل تعتقد أنها مهمة؟ هل تريدني أن أُخبرك كيف كان الوضع؟

– آسف. لم أقصد أن أكون متطفِّلاً. اعتقَدتُ أنه ربما... لا أعرف حقاً كيف أعبّر عن نفسي... هل تساءلتِ يوماً إن كانت عملية انتحار حقاً؟ هل فكَّرتِ يوماً أنها يمكن أن تكون... جريمة قتل؟

– جريمة قتل؟

– نعم. ربما نالَ نفس مصير أبي.

راحت آيغلو تحدِّق به مرتبِكةً.

– لا! أبداً!

– لكن لنفترض أنهما عادا يعملان معاً مرة أخرى، تابَع كونراد. ولنتخيَّل أنهما أغضبا أحدهم، وأن موت أبي مرتبط بنشاطاتهما.

– هل هذا ما تعتقده؟

– بضعة أشهر فقط فصلت بين وفاتهما. ألا تتخيَّلين أنه يمكن أن يكون هناك رابط بين تلك الوفاتين؟

– لا، هذا مستبعَد كلياً. لديك خيال خصب!

– لا أملك أي دليل طبعاً، قال كونراد مدافعاً عن نفسه. ولم أعرف ما حصل لأنغيلبرت إلى أن التقيتُ بك. لقد فكَّرتُ كثيراً منذ لقائنا الأول وتوصلتُ إلى استنتاج أنه من غير المستحيل أن يكون والدانا قد عادا يعملان معاً مرة أخرى. على أي حال، حين قُتل أبي، كان قد عاد مهتماً بتلك الأمور، بعالم الأثير.

بقيت آيغلو صامتة لفترة طويلة وهي تتأمل الفكرة التي طرحها عليها للتو، والتي لم تخطر ببالها أبداً من قبل.

– لسنا نحن مَن وجده، بل عُثر على جثته في ميناء سونداهوفن، قالت بصوتٍ منخفضٍ.

– ماذا...؟

– يبدو أنه أراد أن يقطع الخليج الصغير سباحةً، إلا إذا كان قد سقطَ في الماء بملابسه. من غير المعروف من أين انجرفت الجثة، ولم تكن مصابةً بأي جروح أو رضوض. كان معتاداً أن يصعد أحياناً إلى سُفن البحّارة التي تحتوي على شراب مهرَّب في الميناء.

انكسر طبقٌ في مطبخ المطعم، وأصبح كونراد وآيغلو وحيدين تقريباً في الغرفة، وسُمعت طلقة الظهيرة.

– هل قاسوا منسوب الشراب في دمه؟

– نعم، سبق وأخبَرتُك أنه احتسى الشراب.

– وكان بكامل ملابسه؟

– نعم.

– حتى حذاءه؟

– نعم.

– ولم يكن قد سُرق؟

– لا، لم يكن معه شيء لكي يُسرق.

بقيا صامتين لفترة طويلة، وبدا أن الوقت توقف عند طاولتهما.

– لا شكّ أنه كان يائساً حقاً، همَست آيغلو. تصيبني القشعريرة بمجرد التفكير في الأمر.

telegram @soramnqraa

في المساء، زارت إليزابيث العزباء المتصلّبة وأمينة المكتبة أخاها الذي أصبحت تسعى إلى رفقته في السنوات القليلة الماضية، وعندما سألها عن أحوالها، رَدَّت أن الناس لحسن الحظ لا يزالون يقرأون الكتب. إنها تعمل أيضاً كمتطوِّعة في جمعية محاربة العنف المنزلي ستيغاموت، لكنها نادراً ما تتكلّم عن ذلك، فهي لم تملك أبداً مَيلاً للانفتاح أو لمناقشة نشاطاتها أو حياتها الخاصة. إنها إنسانة قوية البنية، وذات شعر أسود حالك، ووجه طويل نحيل، وعينين بنّيتين ثاقبتين، وأنف معقوف، وترتدي ملابس تُخفي شكل جسمها: عدة كنزات في طبقات متتالية في الشتاء، وتنانير قماشية سميكة، وأحذية مبطَّنة كبيرة لمحاربة البرد. كما لديها تشكيلة مثيرة للإعجاب من القبعات الصوفية، ولا تتردَّد في ارتدائها فوق بعضها البعض عندما ترى ذلك ضرورياً.

– هل أعادت الشرطة فتح التحقيق في اختفاء سيغورڤن؟ سألت أخيراً وهي تهمّ بالرحيل. هل ستشارك فيه؟

– أردتُ أن أبقى خارج القضية كلها، لكنني عدتُ في النهاية وغطستُ فيها حتى عنقي مرة أخرى.

لم يعرف كونراد كيف يُجيب بالضبط على سؤال بيتا، فأخبَرها عن أخت ڤيلي والرجل الذي رآه على تلة أوسكجوليد، وأن الشرطة تحاول التحقّق من صحة شهادته. وفقاً لكونراد فإن المحادثات التي أجراها مع أولغا والموقَّر لم تتعلق بالتحقيق حقاً، بل كانت أشبه بهوايته في التقاعد، فقد توقَف عن العمل حالما سنحت له الفرصة، ولم يعد يريد أن يكون شرطياً، ولا ينوي أن يعود عن قراره، وربما الشيء نفسه ينطبق على نواحي أخرى من حياته منذ بعض الوقت، فلم يعد لديه هدف في الحياة، وأصبح يفتقر إلى العزيمة، وهو أمر مدهش لرجلٍ في سنّه. وأخذ يدخّن سيجاراً صغيراً دون أن يكون مدخّناً، ويحقّق دون أن يكون شرطياً، لكن أغرب شيء بالنسبة له هو أنه تقاعد دون أن يشعر أنه أصبح كبيراً في السنّ.

ربما هذه مشاعر عادية عندما نكبر في السنّ، وكونراد ينتمي إلى الجيل الأخير من الآيسلنديين الذين وُلدوا تحت الهيمنة الدانمركية، ففي اليوم التالي لولادته، أصبحت آيسلندا جمهورية مستقلة تحت مطر غزير في برلمان ثينغفيلير الذي انعقد في الهواء الطلق، وهكذا عُدَّ أحد رعايا ملك الدانمرك للحظات قليلة جداً بالكاد معدودة، ولطالما انزعج عندما يمازحه أبوه بشأن ذلك، لكنه على مر السنوات طوَّر بعض الحنان لذلك الرابط الذي وحَّده مع الدانمرك، رغم سخافته.

لقد كان ولداً سعيداً، ولم يزعجه أبداً أن لديه ذراعاً غريبةً بعض الشيء عندما يجد صعوبة في استخدامها، حيث إن ذراعه اليسرى أقل قوة من اليمنى. وعندما كبُر في السنّ، حاوَل أن يفهم سبب ذلك الفرق لأن جميع الذين يعرفهم لديهم ذراعان بنفس القوة، وقد شرحت له أمه أن السبب هو المشكلة التي تعرَّض لها عند ولادته، لكن ذلك لم يزعجه كثيراً لأنه لم يعرف شعور أن يمتلك ذراعين بنفس قوة بعضهما وبالتالي لا يمكنه أن يقارن على الإطلاق، بل عرَف فقط أنه مختلف قليلاً عن رفاقه. في البداية، راح بقية الأولاد في المدرسة يسخرون من هذه الخصوصية الجسدية، لكنه لم يُحبَط بل تفوَّق في السباحة والجمباز، وشارَك في كل الألعاب التي تُقام في الهواء الطلق، وهكذا توقَّفت المضايقات، وأصبح الجميع بالكاد يلاحظون أي فرق، ففي النهاية، شكل ذراعه عاديٌ جداً وهي تتضمن يداً واحدةً وخمسة أصابع، وأصبح الشخص الوحيد الذي يعرف نقطة ضَعفه.

معلِّمته في المدرسة الإبتدائية، وهي امرأة ستينية متزمِّتة تصدِّق الأعاجيب، نصحَته أن يصلّي لكي تستعيد ذراعه قوتها، ففي النهاية، الحكيم العظيم نفسه داوى شخصاً مشلولاً طريح الفراش، وما قالته تلك المرأة أوضَحَ له أن السماوات تعرف المشكلة وتعرف كيفية حلها.

وادّعت عمّة كونراد، وهي في الأصل من وادٍ بعيدٍ في شمال آيسلندا ومقتنعة بالخرافات كثيراً، أن الذراع المريضة مظهر من مظاهر العقاب، عِلماً أنها لم تعتبر أنه على الولد المسكين أن يدفع ثمن أخطائه، لكنها لعنةٌ من السماوات لمعاقبة الآثام التي ارتكبها شخصٌ لا يستحق حتى أن يسمّى أخاً، وكانت تقصد طبعاً والد كونراد.

لاحَظ كونراد في طفولته رجلاً قصيراً يتجوَّل في أرجاء البلدة مرتدياً معطفاً

واقياً من المطر، وقد أخبَره أحدهم أنه شاعر عظيم، وكان هناك شيء مشترك بينهما: ذراعهما المشلولة. تلك العاهة أساءت للشاعر كثيراً في شبابه، وقد جَعَلته ساخراً وحزيناً، لكنها جَعَلته أيضاً أحد أهمّ الكتّاب في بلده.

– أنت صامت جداً، علّقت بيتا وهي تنظر إلى أخيها الشارد الذهن. لقد أخبَرها عن غدائه مع آيغلو، وشرح لها من قبل نظريته بأن أباهما استأنَف نشاطات استبصاره قبل أن يجري طعنه، وحدَّد لها أن الشريك الذي عمِل معه خلال الحرب مات بعده ببضعة أشهر. ربما استأنَف الرجلان تعاونهما.

– قام بردّة فعل قوية جداً عندما علِم بوفاة أبي، وأصبح لا يخرج لوحده أبداً، ولا يُطفئ الضوء أبداً لخشيته من العتمة.

– لم أعرف أن النفسانيين يشعرون بالخوف، علّقت بيتا. في النهاية، قد يكون لديهم حتى سبب أكثر منا لكي يخافوا.

– لا أدري. على كل حال، مات دون أن يترك شرحاً.

– ربما ظنّ أنها اللحظة المناسبة لكي ينضم إلى عالم الأثير، قالت بيتا ساخرةً قبل أن تضيف أنها ذاهبة فالأحاديث عن أبيهما، وطريقة موته، وخُدعه لا تهمّها.

جالساً لوحده في مطبخه، تذكّر كونراد الوقت الذي أنهى فيه تدريبه كعامل طباعة في الثانوية الفنية إدنسكولي. كان قد غرِق تدريجياً في الإدمان على الشراب في تلك الفترة، وأصبح لديه معارف أكثر من مشكوك بأمرهم، وقد طُرد أحد أصدقائه الجديرين بالثناء إلى حد ما من ثانوية ريكيافيك، لكنه بقي يشارك في النشاطات الثقافية التي تُقام في المؤسسة. وذات يوم أخذه ذلك الصديق لمشاهدة مسرحية تمثّل فيها شابة وقع في حُبها بجنون. كان إسمها إرنا.

بعد ذلك بوقت طويل، وبعد بعض الوقت على وفاة أبيه، توقّف كونراد عن احتساء الشراب، واستأنَف تدريبه في الثانوية الفنية. وقد التقت به إرنا في أحد المقاهي في البلدة، وبدت متألقة مثل شمس الصيف.

– هل هي مشلولة؟ سألت وهي تُمسك يده.

– إنها أصغر حجماً بقليل وأقل نشاطاً، وهذا حصل منذ الولادة، رَدَّ كونراد.

– ألا تشكّل لك مشكلةً في تدريبك كعامل طباعة؟

– لا أشكو منها. لا أدري. لا أشعر بالفرق.

– من الواضح أنك لا تعرف أي شيء آخر. هل تقدر أن ترفعها عالياً؟ سألت وهي تُريح مِرفقها على الطاولة.

– هل تتحدينني؟

– هل أنت خائف؟

وهكذا تعرَّفا على بعضهما. إرنا طالبة مجتهدة، ولطالما كانت متّجهة إلى الطب وتفوَّقت في اختصاصها، وتساءل ماذا رأت فيه في ذلك الوقت، لكنه فهِم فوراً أنها ستكون نوره وحياته وحُبه.

لم يتخيَّل يوماً أنه سيخونها، وهذا أثبتَ مدى سوء معرفته بنفسه.

31

هاتَفته مارتا عند وقت النوم، وافترَض أنها تريد معرفة إن علَّمته محادثته مع ليندا أي شيء، لكن تبيَّن له أنه مخطئ، فلديها قصة مدهشة تريد أن ترويها له.

بينما كانت تهمّ بالعودة إلى المنزل، حذَّرتها عاملة الهاتف أن رجلاً يريد إيصال معلومات عن سيغورڤن إلى أي مسؤول في الجنائية، لذا ذهَبت مارتا إلى قسم الاستقبال، وحيَّت الزائر المتوتّر إلى حد ما، وسألته ماذا يمكنها أن تفعل له، فأجاب أنه يفضِّل أن يتحدّث معها على انفراد، لذا دعته أن يتبعها إلى مكتبها. بدا الرجل، ويدعى أغل، مُحرَجاً جداً، ومارتا معتادة أن تستقبل أشخاصاً يدّعون أن لديهم معلومات عن سيغورڤن لكنها لا تقود إلى أي مكان، ومن بين أولئك المهتمِّين بهذه القضية، ابتكر بعضهم نظرياتٍ مجنونةٍ، وكان بعضهم الآخر غريبين بعض الشيء. شَعَرت مارتا أن أغل ينتمي إلى تلك الفئة الثانية، ولم ترغب أن تكرِّس له وقتاً أطول من اللازم، بل أرادت فعلاً أن تعود إلى منزلها.

– حصلتُ وزوجتي، بدأ أغل يقول، على مطبخ مجهَّز جديد.

تباً لهذا، قالت مارتا لنفسها باضطراب وهي تنظر إلى ساعتها.

– اشتريناه من إيكيا، ولم يكن مُكلِفاً جداً. وقمتُ بتركيبته، فأنا نجّار.

– فهمتُ. وهل سار كل شيء بشكل جيد؟

– بشكل جيداً جداً، رَدَّ أغل الخمسيني ذو البطن الكبير والأصابع المليئة بمسامير اللحم السميكة النموذجية لعامل يدوي. كان مطبخنا القديم قد وصل إلى نهاية عمره، وتلك الفترة كانت فترة ازدهار مالي كبير، وقد اقترضنا بقدر ما نشاء، لكننا لم نحصل أبداً على أي قرض استهلاكي، فلا تزال لدينا سيارتنا القديمة ونحن سعداء بها. أعرف الكثير من الأشخاص الذين فعلوا أي شيء واشتروا أشياء كثيرة بالدَين و...

– لديك شيء تُخبرني إياه عن سيغورڤن، أليس كذلك؟ قاطَعته مارتا محاولةً ألا تبدو فظّة جداً. هذا هو هدف زيارتك، صح؟

– عذراً، لكنني أردتُ أن أكون دقيقاً. آمل أن يبقى كل هذا سراً بيننا. اتفقنا؟

– ليست لديَّ أي فكرة عما ستُخبرني، اعترَضت مارتا. كما أنني لستُ أكيدة أنني سأعرف ذلك في نهاية هذه المحادثة، أضافت بصوتٍ منخفضٍ وهي تنظر إلى ساعتها مرة أخرى.

– ماذا قلتِ؟ استفسر أغل وهو يضع يده على أذنه. كل تلك المناشير الكهربائية والآلات جَعَلتني نصف أصم.

– لا شيء على الإطلاق، أكمِل.

– لم يكن هناك سوى مالك واحد آخر بينه وبيننا. شخص يدعى يوهان. اشترينا المنزل منه، وطليناه طلاءً جديداً قبل أن ننتقل لنسكن فيه، ثم أجرينا بعض الأعمال البسيطة عليه، ولطالما قالت فْريدني إن علينا تغيير المطبخ وقد غيَّرناه في نهاية المطاف.

– فْريدني؟

– زوجتي.

– حسناً.

– السبب الوحيد لزيارتي هذه هو لأنكم عثرتم على جثته على المُجلَّدة، وإلا لما كنا قلنا أي شيء أبداً. عليَّ أن أُقرّ أنني وفْريدني خجِلان قليلاً لأنه ما كان ينبغي أن نفعل ذلك على الأرجح، عِلماً أننا لم نُخبر أي شخص أبداً. في الواقع، لقد أخذناه كله. لقد سرَقنا كل شيء.

– سرقتم كل شيء؟ بمعنى؟

– المال.

هزَّ أغل كتفيه بخجل.

– أي مال؟

– الذي وجَدناه في المطبخ القديم. مليون بأوراق جديدة من فئة ألف كرونة. لقد أخفاه بعناية في المطبخ داخل كيس بلاستيكي بسيط قبل أن يختفي.

– مَن؟

– سيغورڤن. الرجل الذي عثرتم عليه. نحن متأكدان أن ذلك المال ليس مال يوهان، الشخص الذي عاش في المنزل قبلنا، فقد تحقّقت فْريدني من ذلك ببراعة

عبر طرحها ما يكفي من أسئلة مراوغة عليه.

– هل قلتَ سيغورڤن؟ ما علاقته بهذه القصة؟

– ظننتُ أنني شرَحتُ لك.

– لا.

– حسناً، إنه المالك السابق لمنزلنا، فقد كان يعيش هناك عندما اختفى! ردّ أغل بحدّة مضطرباً من عدم فهم مارتا لأي شيء.

– سيغورڤن؟ هل أنت متأكد؟

– تماماً. نحن...

– أنتم؟

– للأسف، نحن غير قادرَين على تعويض ذلك المال، قال أغل بندم، فقد أنفَقناه كله.

أنصتَ كونراد دون أن يقول شيئاً، فقد فاجأته قصة زيارة النجّار إلى المخفر بقدر ما حيَّرت زميلته السابقة.

– إذاً فقد أخفى سيغورڤن مليوناً في مطبخه؟! صاح مرتبِكاً.

– هذا ما يبدو عليه.

– ماذا فعلا بذلك المال؟ ألم يخطر ببالهما أن يعيداه؟ أن يبلّغا عنه؟ يا لهما من شخصين غريبين!

– بدا الرجل المسكين متأسفاً حقاً، ويبدو أن زوجته متأسفة حتى أكثر منه.

– ماذا اشتريا؟

– أسهماً في مصرف كاوبثنغ. كان لڤريدني نسيبٌ يعمل هناك.

– و؟

– خسِرا كل شيء خلال الأزمة.

32

في نهاية بعد ظهر اليوم التالي، ركَن كونراد أمام مكتب العناية بالأقدام في مقاطعة أرمولي، وذهَب مباشرة إلى صالة الانتظار حيث وجدَ رجلين وامرأة ينتظران وطلب رؤية هيلغا، فطلبت منه السكرتيرة أن يجلس. بعد وقت طويل، أخذ مجلة مشاهير عن الطاولة وراح يتصفّحها. كان عدداً قديماً يتحدّث عن طلاق اثنين من رجال الأعمال، وعن الوليمة السنوية لمجموعة صحفية تضمَّنت صوراً لأشخاص يظهرون على التلفزيون، وعن افتتاح مطعم يقدِّم أطباقاً نيئةً بشكل حصري، وعن "فضيحة" شراء لاعب مؤثِّر في الحياة الاقتصادية لمنزلٍ فخمٍ. راح كونراد يتصفَّح المجلات الواحدة تلو الأخرى، وترك نفسه يغرق في عالم "المشاهير"، وشَعَر ببعض الخجل لإبدائه اهتماماً بهذا.

بدأ الزبائن يغادرون صالة الانتظار الواحد تلو الآخر، ووصلت موظفة سألته إن كان إيريكور حقاً، فنفى ذلك.

– ألستَ الشخص الذي لديه مسمار لحم في قدمه؟ سألت مستفسرةً.

– لا، أكَّد لها كونراد، كما أكَّد لها أنه لا يدعى إيريكور.

دخلت هيلغا صالة الانتظار، وسألها إن كان يمكنهما التحدّث في مكان هادئ. أرادت مُعالجة الأقدام معرفة سبب قدومه، فذكَّرها بزميل دراستها القديم إنغيبرغور، وأخبَرها عن الحادث الذي وقع في حي الظلال قبل سنوات. ليس شرطياً، لكن كُلِّف بالتحقيق في هذه المأساة التي أودت بحياة شابّ، وهذا أثار حشرية هيلغا التي تذكَّرت إنغيبرغور، فدعته إلى حجرتها الصغيرة.

– ليس لديكم نقص في العمل، علَّق وهو يجلس بينما أغلقت الباب.

– يعتني الناس بأقدامهم، رَدَّت مبتسمةً. لا أفهم كيف... لماذا تريد أن تتكلّم معي... ماذا يمكنني أن أُخبِرك؟

– لا أدري إن كنتِ تتذكَّرين، لكن سيارةً صدمت رجلاً في شارع ليندارغاتا منذ حوالي سبع سنوات، وقد فرّ السائق، ومات المُصاب. كان إسمه ڤيلي وهو

من أصدقاء إنغيبرغور. ذهَبا لمشاهدة مباراة في مقصفٍ، وقد استجوبتُ إنغيبرغور الذي أخبَرني أنه رآكِ هناك في نفس المساء مع اثنتين من صديقاتك. كان قد احتسى الكثير من الشراب، وأراد أن يدردش معك، لكن نقصته الشجاعة. أظن أنكِ نسيتِ أمر تلك الأمسية، لكنني قلتُ لنفسي إنه لا خسارة في المحاولة.

بقيت هيلغا تنظر إليه برصانة وتُنصت باهتمام.

– وماذا إذاً؟

– ما قصدُك؟

– لا أرى ما دخلي بكل هذا.

– هل تتذكَّرين تلك الليلة؟ سأل كونراد.

– أتذكَّر إنغيبرغور، رَدَّت هيلغا. ولم تجر الأمور مثلما قلتَ، وأظن أن هذه نسخته من القصة. لم أنسَ إنغيبرغور، فقد كان لا يُطاق في المدرسة، ويمضي وقته في مضايقتنا وإزعاجنا. تلك الليلة كانت ذكرى ولادة إحدى صديقاتي، وقد ذهبنا ثلاثتنا لنتعشى في مطعمٍ، ثم رحنا نجول بين المقاصف وانتهى بنا الأمر هناك. ما أتذكَّره هو أن إنغيبرغور كان ثملاً تماماً، وأن الطقس كان سيئاً جداً.

– ماذا فعل؟

– اقترب منا، ولم نرغب أن نتكلّم معه فأخبَرناه أن يتركنا وشأننا، لكنه غضِب ووصفنا بالحقيرات والسافلات. اعتقَدتُ أنه سينقضّ علينا، لكنه بدأ يتقيأ بقوة، واستطاع أن يضع بعضاً منه في كوبه، لكن الباقي سقط على الأرض، وكان ذلك مقرفاً. بدا غبياً جداً لدرجة أنه عليك أن ترى ذلك بنفسك لكي تصدِّق. أتكلّم وصديقاتي عن ذلك بشكل دوري عندما نلتقي.

– لم يُخبِرني كل هذا، علَّق كونراد.

– لا أستغرب، بل أظن أنه لا يتذكَّره حتى، فقد كان ثملاً جداً.

– هل كنتِ تعرفينه جيداً؟

– كنا معاً في نفس الصف الخامس والسادس، لكنني لم أكن صديقة له، رَدَّت هيلغا.

– هل لاحظتِ وجود رجال آخرين في المقصف تلك الليلة؟

– لا، أجابت دون تردّد.

– ألم تقرأي أي شيء في الصحف عن ذلك الحادث؟ كانت الشرطة تبحث عن شهود في ذلك الوقت.

– لا، لا تبدو لي هذه القصة مألوفة.

– كان هناك رجلان يتحادثان عند المشرب أحدهما قيلي، والآخر يرتدي معطفاً مشمَّعاً وقبعة بيسبول وهو الذي أحاول إيجاده. لا أعرف إسمه وليست لديَّ أي فكرة مَن هو.

فتحت مُعالجة أقدامٍ الباب، وأطلّت برأسها، وقالت إنها أنهت التنظيف وإنها عائدة إلى منزلها. أخبَرتها هيلغا أنه لا تزال لديها بضعة أشياء عليها أن تفعلها، وأنها ستُقفل المحل.

– لا أتذكَّر، رَدَّت عندما أغلقت زميلتها الباب. أريد أن أسأل صديقاتي، لكن...

– نعم؟

– أظن أن ذلك لن يفيدنا كثيراً.

33

في اليوم التالي، اتصَل كونراد بصديق طفولة ڤيلي الذي أخبَرته هيرديس عنه، وأخبره أنه يتذكَّر رؤية جِيب ضخم بجانب خزّانات أوسكجوليد، ثم اتفقا على اللقاء في المقصف الصغير الذي يتردَّد إليه في مقاطعة أرمولي.

كان إنغڤار نحيلاً، ولديه لحية عمرها ثلاثة أيام، ويرتدي قبعة بيسبول حجبت صلعه المتقدم. يعمل سائق شاحنة، وثرثار بطبيعته، وراح يتكلَّم مطوّلاً عن طفولته في مقاطعة ليدار، ومبارياته مع أصدقائه على تلة أوسكجوليد، ووضَّح أنه من مشجِّعي فريق ڤالور، وذكر شتّى أنواع الأمور التي تبادرت إلى ذهنه أثناء جلوسهما إلى طاولة مستديرة صغيرة يشربان القهوة. بدا المكان لطيفاً وهادئاً، فحشود الوقت المتأخر من بعد الظهر لم تغزوه بعد.

يمتلك إنغڤار ذاكرة مذهلة بخصوص تاريخ نادي ڤالور الرياضي، ويعرف أسماء كل لاعبي فريقَي كُرة اليد وكُرة القدم فيه، ويتذكَّر نتائج المباريات وصولاً حتى عام 1970 وترتيب ڤالور في الدوري، كما يعرف تواريخ ولادة كل اللاعبين، ويعرف إسم النادي الذي كانوا فيه قبل انضمامهم إلى ڤالور، وكذلك إسم النادي الذي ذهبوا إليه بعد رحيلهم، ويتذكَّر أهم المباريات، بما أنه حضرَ معظمها، ويتذكَّر كل المباريات الثانوية، بما في ذلك تفاصيل نسيها اللاعبون أنفسهم. راح يتبجَّح أمام كونراد أنه فاجأ لاعبي ڤالور السابقين مرات عديدة بمدى معرفته الواسعة، وكان قادراً على أن يتتبّع الروابط العائلية بين اللاعبين الرئيسيين والرياضيين الآخرين وصولاً إلى القرن الماضي. شغفه بكُرة القدم مكَّنه من أن يُجيب بشكل صحيح على كل الأسئلة التي طرحها عليه كونراد، وهو يعرف مانشستر يونايتد بقدر ما يعرف ڤالور أيضاً، وكل نتائج الدوري الإنكليزي القديم محفوظة في ذهنه.

ظهر كل ذلك في سياق الحديث بعدما سأله كونراد متى رأى الجِيب، فرَدَّ إنغڤار أن ذلك حصل قبل أسبوع من طرد ڤيلي من أوسكجوليد لأنه حضَر المباراة بين ڤالور وFH في ليدارندي مع صديقين في نفس تلك الليلة في فبراير،

وقد هزم فريق ريكيافيك فريق هافنارفيوردور شرّ هزيمة، وتذكّر النتيجة النهائية للمباراة، وحتى تذكّر أن أحد لاعبي ڤالور كان يحتفل بذكرى ولادته ذلك اليوم.

– إذاً فأنت متأكد من التاريخ بشكل دقيق؟ استفسر كونراد مفتوناً بذاكرته القوية.

– نعم، متأكد بشكل دقيق، رَدَّ إنغڤار بفخر.

سرورهم من فوز فريقهم جعله وصديقاه يعيدون تمثيل المباراة عبر صعود تلة أوسكجوليد، مع إبدائهم إعجابهم بقوة الضربات وفعالية لاعبي الأجنحة. وكان إنغڤار قد سرق سجائر من أبيه، وأرادوا الصعود لتدخينها بجانب الخزّانات.

– أُعجبنا كثيراً بذلك الجِيب الرائع، أكمَل يقول، وقد أطلقَ هديراً هائلاً عند مغادرته، لكن اهتمامنا به اقتصر على ذلك في النهاية. تذكّرتُ هذا أثناء دردشتي مع هيرديس، وكنا نتكلّم عن العثور على الجثة على المُجلَّدة وعن نوع المركبة المطلوبة للوصول إلى هناك. كان ڤيلي قد أخبرني عن تلك السيارة من قبل، وتذكّرتُ المباراة التي جرت في هولين، لذا تحقّقتُ ووجدتُ أن التاريخ يتناسب مع تاريخ اختفاء سيغورڤن. هذا أمر مذهل. من الواضح أن سنوات عديدة مرّت، لكن التاريخ متطابق.

– هل تتذكّر طراز تلك المركبة؟

– لم أنتبه.

– فورد اكسبلورر؟ اقترَح كونراد وهو يفكّر بجِيب هجالتلين.

– ربما بالأحرى جِيب رانغلر. حسناً، لا أدري. أنا أعرف الشاحنات بشكل جيد جداً، لكنني لم ألاحظ هذا التفصيل.

– ولم تكن هناك مركبة أخرى؟ هل كان مالك الجِيب ينتظر أحداً؟ ما كان لونه؟

– كان مركوناً عند أسفل الخزّانات، ويمكنني القول إن لونه بدا ضارباً إلى الرمادي. لم ننظر إلى داخله، ولا يمكنني أن أجزم إن كان السائق لوحده أم لا. على كل حال، لم نعرف ماذا كان يفعل هناك.

– هل رأيتَ أي شيء مميَّز في ذلك الجِيب؟

– عجلاته صدمتني، فقد وجَدتُها ضخمة، ولم نكن معتادين وقتها على رؤية

سيارات جِيب مثله، أما اليوم فكل سيارات الجِيب ذات عجلات ضخمة، وتحتوي على كثير من المزايا الغريبة.

حكَّ إنغفار رأسه. إن كانت لديه ذاكرة قوية مثل ذاكرته بشأن انتصارات ڤالور، فبإمكان المرء أن يثق بما قاله.

– هل تعتقد أنه نفس الجِيب الذي رآه ڤيلي بعد أسبوع عندما صادفَ ذلك الرجل؟

– قال إن ذلك ممكن، رَدَّ إنغفار، لكنه لم يكن متأكداً تماماً، ولم يتذكَّر تلك العجلات الضخمة. في النهاية، قد لا يكون نفس الجِيب.

تابَعا يتكلّمان عن الجِيب والعجلات، وإنغفار يتذكَّر تلك الليلة جيداً، ليس فقط لأن ڤالور فاز على فريق FH ولأن أحد اللاعبين كان يحتفل بذكرى ولادته، بل أيضاً لأن أباه اكتشف فقدان عدة سجائر من علبته، واتَّهَمه بسرقتها. وكان ذلك يوم صفعته الثانية.

– عندما وَصَلتُ إلى المنزل، كانت رائحة التبغ عابقة فيَّ، وسرعان ما اتّضحت الصورة في ذهنه، فهو يعدّ سجائره دائماً ويمنعني من أن أدخّن. كان أبي رجلاً صعب الإرضاء كثيراً، وقد لعِب سنتين في الدرجة الأولى لكُرة القدم، وسجَّل ثلاثة أهداف، كلها في مرمى فريق أكرانيس.

34

في وقت لاحق من نفس ذلك اليوم، التقى كونراد بالنجّار وزوجته ليسألهما عن الثروة التي عثرا عليها عندما قرّرا تركيب مطبخ جديد، فأخبراه أنهما عثرا على حزمات المال موضّبة داخل كيس مخبأ بين الفرن والخزانة التي فوقه، وتبيّن لهما أن المجموع هو مليون بأوراق من فئة الألف كرونة موضوعة في الفجوة التي تغطيها العارضة. كان أحد أكياس سوبرماركت هاغكوب، أضافت فْريدني والسرور بادٍ على وجهها لتمكُّنها من إراحة ضميرها أخيراً، ومثل سجينين محكومين بالإعدام، كانت وزوجها جالسين في الغرفة المليئة بخزائن ذات أبواب خشبية أو زجاجية رائعة، ومجهَّزة بموقد حديث جداً. من الواضح أنهما لم يكترثا للكلفة.

– سيكون من المريع قراءة إسمَينا في الصحف، قال النجّار بانزعاج خوفاً على سُمعته.

– هل كنتما تعرفان أن سيغورڤن عاش في هذا المنزل قبلكما؟

– نعم، رَدَّت فْريدني بخجل. لكن كان من الممكن أيضاً أن يكون ذلك المال مُلك يوهان. لم يطالبنا أحدٌ بأي شيء، فأخذنا كل شيء.

قدَّر كونراد صراحتها، وتساءل كيف يتصرَّف عامة الناس في هكذا حالة، وكيف يتصرَّف أولئك الذين لا يملكون المال ويجدون في منزلهم ثروةً لا يطالبهم بها أحدٌ. بدا أن فْريدني تقرأ أفكاره.

– برأيي أن معظم الناس كانوا تصرّفوا مثلنا واحتفظوا بكل شيء. حقاً. أنا مُقتنِعة بهذا. لسنا أسوأ من الآخرين، صدِّقني.

– هل استجوبتما يوهان، الرجل الذي باعكما هذا المنزل بعد أن اشتراه من عائلة سيغورڤن؟

– نعم، سألتُه بعض الأسئلة، ولم يفهم عما كنتُ أتكلَّم. لم نُنفِق المال فوراً، بل حافظنا عليه لبعض الوقت لأننا لم نعرف ماذا نفعل به، فالعثور على ذلك الكيس شكَّل صدمة كبيرة لنا. مَن يحتفظ بهكذا مبلغ كبير في مطبخه؟

– فكّرنا بالذهاب إلى الشرطة، قال أغل، لكننا لم نفعل ذلك في النهاية.

– ثم اشترينا أسهم ذلك المصرف فجأة، قالت فْريدني. لقد استحوذ علينا الشر، وقد خسِرنا كل المال حتى آخر كرونة.

– هل علينا أن نعوِّض كل شيء؟ سأل أغل قلِقاً.

– هل تعرف لمَن ذلك المال؟ سأل كونراد.

– لسيغورڤن، أليس كذلك؟ هل تعتقد أننا سنضطر إلى التعويض على ورَثته؟

– لا شيء يُثبت أنه كان ماله، رغم أن ذلك محتمل. ربما كان يخبئه لمساعدة شخصٍ. من المستحيل الجزم.

– هذا بالضبط ما قاله الشرطي الآخر لأغل، أشارت فْريدني متنفّسةً الصعداء.

عادت الحياة إلى النجّار وزوجته بعد أن بدَوا مكتئبين جداً عند وصوله وأثناء إظهارهما له المكان الذي خُبئ فيه المال والذي يحتله الآن فرن بخاري إيطالي فاخر ادّعى أغل أنه لم يُستخدَم أبداً، لكن فْريدني احتجّت قائلةً إنه مثالي لطبخ لحم الضأن في احتفال الشتاء لأنه يجعل اللحم ناعماً وطرياً.

افترَض كونراد أن الشرطي الآخر الذي قصداه هو مارتا، وشرَح لهما أنه بقي يحقّق شخصياً في اختفاء سيغورڤن لعدة سنوات، لكنه متقاعد الآن وتحقيقاته الحالية مجرد هواية، وقد تفهَّما ذلك جيداً.

– كنتَما محقّين بالاتصال بالشرطة الآن وقد تم العثور على الجثة، والأمر يتطلّب شجاعة أن تتقدَّما وتعترفا بما فعلتما.

– شعرنا أن علينا فعل ذلك، ردَّت فْريدني، فقد جَعَلنا ما فعلناه غير مرتاحين جداً. دعني أُخبرك أننا لو وجَدنا ذلك المال اليوم، لكنا أبلغنا الشرطة فوراً.

– لسنا لصوصاً، قال أغل. لا تصدِّق شيئاً كهذا. صدفَ أن حصلت الأمور بهذه الطريقة، وماذا يمكننا أن نفعل؟

– وكانت الأوراق النقدية في كيس بلاستيكي؟

– نعم، أكّدت فْريدني، في كيس عادي جداً لسوبرماركت هاغكوپ.

– أظن أنكما لم تحتفظا به.

– لا، رميناه في سلة النفايات دون إخبار أي شخص، رَدَّت فْريدني.

– ماذا كان يفعل بهكذا مبلغ في منزله؟ سأل زوجها.

– ذلك المال المشؤوم! صاحت فْريدني حانقةً. لحسن الحظ أنه طار خلال الأزمة.

– ربما كان الدافع للجريمة، خمَّن أغل. ألا تظن ذلك؟

هزَّ كونراد كتفيه. هذا بالفعل ما شكَّ به، لكنه لم يرغب أن يتكلّم عنه هنا في المطبخ الفاخر المجهَّز بفرن بخاري إيطالي، وفي منزل هذين الشخصين اللذين بدَّدا مال شخص آخر.

ودَّعهما، وما كاد يجلس خلف مِقوَد سيارته حتى رنَّ هاتفه الخلوي. لم يتعرَّف على الرقم أو على صوت المتصلة.

– هل أنت كونراد؟

– بشحمه ولحمه.

– أنا هيلغا. اتصلتُ بصديقتي وهي تتذكَّر الرجل الذي أخبَرتني عنه.

– مع مَن لي شرف التحدّث؟

– مع هيلغا.

– هيلغا؟

– لقد أتيتَ إلى الصالون لتستجوبني.

– هل أنتِ موظفة صالون العناية بالأقدام؟ استفسر كونراد وقد تذكَّر أخيراً أنه زارها.

– تماماً. هل أُزعجك؟

– على الإطلاق.

– على أي حال، إنها تتذكَّر حفلة ذكرى الولادة تلك في المقصف، لكنها لا تتذكَّر رؤية رجلٍ عند المشرب.

– رائع. أردتُ التحقّق فقط. شكراً لـ ...

– لكن هناك شيء آخر.

– حقاً؟

– لقد غادرت المقصف قبلنا، ومرَّت برجلٍ في الشارع يرتدي قبعة مثل التي وصفتها لي. كان يتكلَّم على الهاتف ولا تزال تتذكَّر كلماته، وقد أرعبتها نبرة صوته.

– هل تعرف ذلك الرجل؟

– أبداً، وتلك كانت أول مرة تراه فيها.

– ماذا كان يقول؟

– سمِعت فقط كلمة واحدة تمتمها على هاتفه بحنق كبير لدرجة أن القشعريرة أصابت صديقتي.

– وماذا قال؟

– *قتله*.

– عفواً؟

– قتله. هذا كل ما سمِعته.

– قتله؟

– نعم، تمتمها ذلك الرجل على هاتفه، وشعرت بخوف شديد لدرجة أنها لا تزال تتذكَّر ذلك.

35

راحت ثلاث سيدات في منتصف أعمارهن يتصفّحن مجلات أزياء وصحافة صفراء قديمة بينما ينتظرن دورهن ومصفِّفة الشعر تعتني بزبونتين في الوقت نفسه. راحت الزبونة الأولى الجالسة أمام مرآة وهناك لفائف ألومنيوم على رأسها تتكلّم عن تموّجات الشعر، بينما اهتَمّت المحترفة بغسل شعر زبونتها الأخرى بالشامبو، وفهِم كونراد فوراً أنه اختار التوقيت الخطأ. كان على وشك العودة من حيث أتى عندما نادته مصفِّفة الشعر.

– هل أنت الشرطي؟

– لا، لم أعد شرطياً، لكنني عمِلتُ في الشرطة. أردتُ رؤية... هل أنتِ إليسا؟

– نعم، صديقة هيلغا. إذاً، هل أنت كونراد؟

أومأ برأسه.

– أخبَرتني أنك تريد التحدّث معي عن الرجل الذي رأيتُه أمام المقصف.

– هذا صحيح.

– بشأن جريمة قتل؟

– حسناً... لا نعرف إن كان هناك رابط، رَدَّ كونراد.

– بجريمة القتل تلك؟

تبادَلت السيدات الثلاثة نظرات سريعة، وبدا الترقّب على وجوههن، وراحت المرأة ذات اللفائف تحدِّق بفضول بانعكاس صورة كونراد في المرآة، بينما لم تتمكّن الزبونة التي كانت إليسا تغسل لها شعرها من أن تراه، وكل ما استطاعت أن تفعله هو أن تحدِّق بالسقف بعينين محملِقتين.

– هل أنتِ متأكدة أنني لا أزعجك؟ سأل كونراد. ربما من الأفضل أن أعود لاحقاً.

– بالله عليك لا تخف، كنتُ سأحتسي القهوة، ردَّت إليسا وهي تومئ رأسها

نحو الكوّة الصغيرة حيث يمكن رؤية آلة لصنع القهوة وورقة تغليف من المخبز القريب. اذهب واجلس هناك، وصبَّ كوباً لنفسك. سأصل بعد لحظات.

رمقت الزبونات كونراد بنظرات غاضبة حاوَل أن يردّ عليها بابتسامة لطيفة، وتساءل إن كنَّ غاضبات منه لإطالته وجودهن في الصالون لبضع دقائق، أو لأنه سيتناقش مع إليسا على انفراد مما سيمنعهن من معرفة المزيد. مالَ ظنّه نحو الفرضية الثانية، فهؤلاء النساء لا يبدونَ على عجلة من أمرهن، والأرجح أنهن خطَّطن لتمضية معظم نهارهن في صالون الشعر.

جلَس كونراد على أحد كرسيي المطبخ في الكوّة الصغيرة حيث توجد طاولة أيضاً استراحت عليها آلة لتحضير القهوة مليئة بقهوة ساخنة، وهناك تقويم مصوَّر معلَّق على الجدار لعارضي أزياء اعتنوا بأجسامهم بشكل لا تشوبه شائبة. وسمِع كونراد عبر الباب المفتوح إليسا تتناقش مع شابة لا شكّ أنها زميلة لها، وأضافت لها أنها ستأخذ استراحةً، ثم انضمت إلى الشرطي السابق في الحُجَيرة وأغلقت الباب.

– هل تستقبلين هذا العدد من الزبونات دائماً؟ سأل كونراد من باب الدردشة.

– نعم، هذه السيدات الرائعات وفيّات جداً لنا، ويحببن القدوم إلى هنا ولو لمجرد الدردشة أحياناً لأنهن يحببن القيل والقال. أخبَرتني هيلغا أنك أردتَ معرفة المزيد عن الرجل الذي أخبَرتُها عنه. هل هو... قاتل؟

– لا أدري. ما أحاول معرفته في الوقت الحاضر هو ما حصل، وأن أفهم مضامين الكلمة التي سمِعته يقولها. أنا فضولي.

– هل تعتقد أن هذا مهم؟ رَدَّت إليسا. أقصد أن ذلك حصل منذ سنوات.

– أودّ إيجاد ذلك الرجل أخيراً، إذا كان هذا ممكناً.

– هل ارتكب جريمة؟

– لا أدري، كرَّر كونراد. أعمل لصالح امرأةٍ...

– هل هي على صلة قرابة بالرجل الذي دُهس، ذاك المدعو ڤيلي الذي أخبَرتني هيلغا عنه؟ قاطعته إليسا.

– إنها أخته، رَدَّ كونراد مُخبراً نفسه أن هيلغا ليست الأخيرة التي تتوصَّل إلى نظريات.

– وتعتقد أن الرجل الذي رأيتُه هو الذي صدمَه؟

– ألم يخطر هذا ببالك بناءً على ما كنتِ قد سمِعته؟

– لا أبداً، ولا حتى للحظة واحدة. عِلماً أنني لا أتذكَّر حقاً ما الذي حصل لڤيلي.

– صدمته سيارةٌ في شارع ليندارغاتا.

– أعرف. تذكَّرتُ ذلك الحادث عندما أخبَرتني هيلغا عنه، لكنني لم أربط الأمرين ببعضهما في ذلك الوقت. لم أنسَ تلك الليلة، ولا الفتى الذي كانت هيلغا تعرفه والذي تقيأ شراب شعيره في كوبه.

– لقد سمِعت كلمةً...

فُتح باب الحُجَيرة، وأطلّت زميلة إليسا لتسألها عن اللون الذي استخدَمته عندما صبغت شعر ديسا آخر مرة، وأجابتها إليسا دون تردّد. كانت الزبونة الأخرى، التي افترَض كونراد أنها ديسا تلك، تجلس أمام مرآةٍ وتبتسم له بلطف، وشَعَر أنها تحاول أن تتحرَّش به.

– عليكِ القدوم لمساعدتي، أضافت الشابة بنظرة صارمة. هناك الكثير من العمل حقاً.

– سأوافيكِ حالاً، وعَدتها إليسا.

أُغلق الباب.

– سمِعت كلمةً، كرَّر كونراد.

– *قتله*، رَدَّت إليسا وقد ارتبكت فجأة كما لو أنه لا يمكنها أن تكرِّس المزيد من وقتها لكونراد. سمِعتُه يقول تلك الكلمة أثناء مروري بجانبه: *قتله*.

– وبرأيك ما هو السياق الذي قالها فيه؟

– شعرتُ أنه وجَد ذلك أمراً لا يمكن تخيّله.

– الرجل الذي رأيته؟

– نعم، الذي سمِعتُه يتكلَّم على الهاتف. كان يتذمَّر، وبدا كما لو أنه يتجادل مع محدِّثه.

– هل لديك أي فكرة عن بقية الجملة؟

– ليس حقاً. ربما: *ما زلتُ لا أستطيع قتله*. أو: *لكننا لن نقتله*. على أي

حال، لم يبدُ أنه موافق.

– لكن ربما كان يقول العكس. *يمكنني بكل بساطة قتله*. أو: *لا علينا سوى قتله*.

– بلا أدنى شكّ. حسناً، لا أدري. لقد بدا منزعجاً وغاضباً، وكان يتجادل مع محدِّثه.

– وانتهت جملته بتلك الكلمة؟

– نعم.

– هل رآكِ عندما قال ذلك؟

– لا. كنتُ قد تجاوزته من قبل عندما تمتم تلك الكلمة، وقد اِلتفَتُّ إلى الوراء، لكنه كان يدير ظهره لي، لذا أكملت سيري، ولستُ حتى متأكدة أنه لاحَظني. كان الطقس سيئاً جداً، ولم أر وجهه بل ظهره فقط، لذا لن أكون قادرة على التعرّف عليه.

36

بعد حوالي عشرة أيام على وفاة أبيه، استُدعي كونراد إلى المخفر، وقد استقبله الشرطي المسؤول عن التحقيق بالمي، وكان أول رجل من الجنائية يزوره في منزله ليلة الحادثة، وقد بدا هادئاً ورابط الجأش، وأبدى تعاطفاً معه، وعامله باحترام خلافاً لزميليه من شرطة الشوارع اللذين وصلا قبله، واللذين شتمهما كونراد عندما أخبَراه بفظاظة أن أباه قُتل بجانب مسالخ سودورلاند في شارع سكولاغاتا. كان كونراد قد احتسى الشراب تلك الليلة، ولم يكن مزاجه جيداً، وكان الشرطيان اللذان أخبراه الخبر قد تعاملا مع أبيه عدة مرات وبدَوا غير مباليين بموته بالكامل.

توجَّب عليه أن يذهب إلى المخفر الذي في شارع بوستوستراتي، وقد استقبله الرقيب وطلب منه أن يجلس في مكتب الاستقبال وينتظر أن يناديه أحدهم. ثم سأل بعد وقت طويل إن كان انتظاره سيطول أكثر، فنصَحه الرقيب أن يكون صبوراً.

قبل ذهابه إلى شارع بوستوستراتي، رافَق أمه إلى محطة الحافلات في شارع كالكوفنسفيغور، بعد أن كانت قد جاءت إلى ريكيافيك من الأزقة البحرية الشرقية قبل بضعة أيام من وقوع المأساة ومكثت لدى أختها. وقد أسرَّت إلى إبنها أنها تعرَّفت على رجل لطيف في الشرق، وأن الاحتمال ضئيل بأن تعود لتعيش في ريكيافيك، وأن بيتا مستمعة بالإقامة في ميناء صيد السمك الصغير ذاك وأصبح لديها أصدقاء جدد، كما ألحَّت على كونراد أن ينضم إليهما هناك، رغم أنه لم يزرها أبداً لأن أباه بقي يمنعه من ذلك عندما كان صغيراً، ولم يرغب أن يزورها بعدما كبُر وأصبح مستقلاً بذاته. من جهة أخرى، بقيت أمه تأتي إلى ريكيافيك بشكل دوري، خاصة في السنوات الأولى بعد الطلاق، لكنه لم يكن يراها إلا لفترة وجيزة، وفي حضور أبيه أحياناً.

طالَ الوداع في محطة الحافلات، وشَعَر كونراد أنها قلِقة، فقد كانت قد استقلّت الحافلة بعد يوم على وقوع جريمة القتل، وبعد وصولها إلى قرية بلوندوس،

أوقفت الشرطة الحافلة وأعادتها إلى ريكيافيك لاستجوابها. أخبَرت إبنها أثناء رحيلها أن الشرطة أرادت التحقّق من صحّة ادّعائها بشأن المكان الذي تواجدت فيه عند وقوع الجريمة: لقد أمضت المساء كله مع أختها وزوج أختها.

– أظن أنهم سألوك نفس نوع الأسئلة، قالت له مستفسرةً وهي واقفة لوحدها على الرصيف بعد أن كان كل المسافرين قد صعدوا إلى الحافلة والسائق ينتظرها بهدوء وراء المِقوَد. لقد انتظَرت حتى اللحظة الأخيرة لكي تشارك همومها معه، وكان قد أخبَرها من قبل أنه أمضى المساء مع بعض الأصدقاء.

– نعم، سألوني هذه الأسئلة أيضاً.

– وكنتَ مع أصدقائك؟

– نعم.

– هل هذا صحيح؟

– نعم.

– هل أنت متأكد؟

– ماما...

– سامحني يا بُنيّ، أعرف أنك لن تفعل شيئاً كهذا أبداً. لكن الوضع صعب... صعب جداً، فقد عشتَ معه، وكان مثلما تعرفه، والآن وقعت هذه المصيبة. قد تحاول الشرطة توجيه التهمة إليك.

– سيكون كل شيء بخير، طمأنها كونراد. لا تقلقي.

– لكن ماذا يريدون منك الآن؟ ولماذا استجوبوك مرة أخرى؟

– لا أعرف.

جفلَ كونراد الشارد الذهن عندما ناداه الرقيب، فتبَعه إلى غرفة صغيرة في الجهة الخلفية للمبنى حيث انتظَر نصف ساعة أخرى. وعندما فُتح الباب أخيراً، حيّاه پالمي معتذراً على جعله ينتظر كل هذا الوقت، ثم وَضَع ملفات قليلة على الطاولة وبدأ يتصفّحها.

– كيف حالك؟ سأل الشرطي وهو يبحث عن المستندات الصحيحة.

– هل استجوبتم أمي؟ قال كونراد متملّصاً من الرَدّ.

سؤاله حيَّر پالمي.

– هل أنتم مجانين؟ أضاف الشابّ.

– نحن نحقّق فقط لا غير. آمل أن تفهم أن مجرد طرحنا بعض الأسئلة لا يعني أننا نشك بالجميع.

– من الأفضل لكم تركها وشأنها.

– شكراً على النصيحة، ردَّ پالمي وهو يفتح الملف. قالت أمك إنها التقت بك في البلدة يوم وقوع المأساة.

– نعم.

– عما تكلّمتما؟

– لا شيء محدَّد.

– عن أبيك؟

– لا، لم يكن يهمّها أمره.

– قيل لنا إنك شاركت في خِدع أبيك حتى ولو أن سجلك العديل نظيفٌ. هل هذا صحيح؟

– مَن أخبَركم ذلك؟

– لقد استجوبنا الكثير من الأشخاص وبعضهم أخبَرنا ذلك. إذاً فأنت لم تشترِ أو تُخرِج أبداً شراباً أو سجائر من القاعدة الأميركية في كيفلافيك لصالحه؟

– لا.

– ولم تتلقَّ أبداً طعاماً أو تشتري بضائع مهرَّبة من السُفن التي تتوقف مؤقتاً في ميناء ريكيافيك؟

– لا أيضاً.

– ولم تبع الشراب المهرَّب إلى أشخاص أو مطاعم في هذه البلدة أيضاً؟

– مَن أخبَركم كل هذا؟

– مثلما قلتُ لك للتو، تأتي معلوماتنا من مصادر مختلفة، لكن هذا غير مهم، ردَّ پالمي. هل تنكر أيضاً أنك كنتَ مع أبيك عندما هدَّد شخصاً يدعى سڤنبيورن قبل أن يحطّم له وجهه؟

– لقد خانه سڤنبيورن بأن سرق منه مبالغ طائلة! لا تقل لي إنكم صدَّقتم ما قاله لكم؟ يمكنه أن يشكرني لتواجدي هناك، وإلا لكان أبي قتله. بالإضافة إلى

ذلك، قد يكون هو القاتل. هل سألتموه هذا السؤال؟

– ولماذا؟ هل بسبب تلك النزاعات؟

– ربما اعتقَد أن أبي أحرق له مطعمه.

– ما الذي يجعلك تقول هذا؟

– حسناً، يبدو لي أن حريقاً دمّره.

– وهل لدى سڤنبيورن سبب ليعتقد أن أباك هو الذي فعل ذلك؟

– لا أعرف. لا يهمّ.

– ماذا تعرف عن هذا الأمر؟

– أنا متأكد أن سڤنبيورن مقتنع أنه مذنب، قال كونراد وقد تذكَّر يوماً عاد فيه أبوه مغتبطاً إلى المنزل وقال إنه استعاد ماله، وفي تلك الليلة بالذات احترق أحد مطعمَي المدين. لم يعترف أبوه، لكن كونراد كان متأكداً، وافترَض أنه شَعَر أنه استعاد ماله بهذه الطريقة.

– ما السبب الذي يجعله يشتبه به؟

– ألم تسألوه هذا السؤال؟

– سنسأله بكل تأكيد، وعَده پالمي وهو يخربش على مفكرته. لكن ماذا عنك؟ ماذا كنت تفعل يوم وقوع جريمة القتل؟

– أنا؟ رَدَّ كونراد. لا شيء محدَّد.

لقد سألته الشرطة هذا السؤال عدة مرات من قبل، وبقي يعطيهم نفس الجواب دائماً.

– لقد استجوبنا الأصدقاء الذين أمضوا الليلة معك، وروايتهم تطابق روايتك بشكل كبير، لذا من غير المستحيل أن تكون قد غبتَ عنهم لبعض الوقت دون أن ينتبهوا، أو حتى ربما طلبتَ منهم أن يوفّروا لك عذراً للغياب، فهم ليسوا الشهود الأكثر موثوقيةً، وأحدهم تعامل مع الشرطة من قبل.

– هذا هُراء، رَدَّ كونراد.

– ما كان موضوع الجدال مع أبيك؟

– ماذا تقصد؟

– لماذا تشاجرتَ معه يوم وقوع جريمة القتل؟

– لم نتجادل، أكّد له كونراد.

راح پالمي يتصفّح مستنداته.

– أظن أنك تعرف أننا استجوبنا جيرانكما، وقد أخبرنا اثنان منهم أنهما سمِعا مشادّة في شقتكما قبل بضع ساعات من وقوع جريمة القتل.

– هذا سوء فهم.

– هل أنت متأكد؟

– نعم.

– لكنك كنتَ معه في المنزل وقتها. أنتَ الذي أخبَرتنا بذلك، وكانت تلك آخر مرة رأيتَه فيها.

– نعم.

– وكان كل شيء على ما يرام بينكما؟

– نعم.

– في تلك الحالة، ما سبب الأصوات الصاخبة في شقتكما؟

– لا أعرف.

– هل تجادلتما يوماً؟

– لا.

– هل كنتما على توافق دائماً؟

– معظم الأوقات.

– ألم تكن تنزعج من تقديم خدمات له؟

– أنا... لم أقدِّم له أي خدمة، حسب قولك، أبداً.

استمر الاستجواب على هذا المنوال لساعتين إلى أن اكتفى پالمي، فقد بقي كونراد مصرّاً على إفادته بأنه لم يتشاجَر مع أبيه ولم يشارك في ضروب احتيالاته. لم يتمكّن پالمي من تطويعه، فلم يكن لديه أي شيء ليلاحقه به لأن عذر كونراد صالحٌ، فقد قال أصدقاؤه أنه أمضى الليلة كلها معهم، ولم يكن هناك شيء يُثبت أنهم يكذبون.

– لستَ فتى شقياً، قال پالمي في نهاية المطاف، وقد واجهتَ حالة صعبة جداً وخاصة جداً. لا بدّ أنه لم يكن سهلاً أن تتربّى على يد رجلٍ مثله...

– إذاً هل انتهى هذا الاستجواب؟ سأل كونراد وهو ينهض.

– أعتقد أن هذا أذاك كثيراً، تابَع بالمي يقول. لقد التقيتُ بفتيان من عمرك عاشوا في نفس الظروف وأحوالهم ليست جيدة. لا أعتقد أن هكذا بيئة نافعةٌ، وسيلزمك الكثير من الشجاعة لكي تخرج منها.

هرع كونراد إلى خارج غرفة الاستجواب، واجتاز الرواق، وأسرعَ في العودة إلى منزله في حي الظلال، فقد أصاب هذا الشرطي نقطة مؤلمة لديه. لقد سمِع الجيران أصواتاً صاخبةً في المنزل أكثر من مرة، وقد تجادَل مع أبيه بشأن سفنبيورن، وأخبَره أنه ليس لديه الحق بمهاجمة الناس هكذا وتحطيم وجوههم أو حرق ممتلكاتهم، فحنِق منه أبوه ووصفه بالمعتوه المسكين، وأضاف أنه لم يندم على إعطاء زوجته بعض الدروس عندما كانا يعيشان معاً.

لقد كذَب كونراد على الشرطة، فعندما التقى أمه في البلدة ذلك اليوم، من الواضح أنهما تكلَّما عنه. كما كذَب عندما أنكر المشادّة التي وقعت عند عودته إلى المنزل، وقد انتهت بأن خبطَ الباب وهو غاضب تماماً، وتمنّى لو يموت أبوه.

مكتبة | سُر مَن قرأ
t.me/soramnqraa

37

جلَس كونراد على كرسي منتظراً انتهاء اجتماع الكشّافة، واتصل بمارتا التي أطلعته على تفاصيل التحقيق كما لو أنه لا يزال شرطياً نظامياً معهم.

وفق ليندا وسالومي، لم يكن هجالتلين أو سيغورڤن يحتفظ بمبالغ مالية كبيرة في منزله، وقد اعتبرتا أنه لم يكن لدى أيٍ منهما سببٌ ليفعل ذلك، وقد سألتهما مارتا عن الثروة التي عُثر عليها في مطبخ منزل سيغورڤن السابق، ورَدَّتا أنهما لا تعرفان إن كانت حزمات الأوراق النقدية تلك مصدر نزاعهما أم لا، ولا تعرفان الغاية من ذلك المال. ووفقاً لهما، لم يكن الرجلان يتعاطيان المخدرات. صحيح أن هجالتلين يحتسي الشراب، وبكميات كبيرة أحياناً، وهو أمر فعله سيغورڤن أيضاً، لكن ليندا استبعَدت فكرة أن يكون قد تعاطى المخدرات دون علمها، كما لم تظن أنه وظَّف موظفين ليليين. وقد حيَّر اكتشاف تلك الغنيمة أخت سيغورڤن أيضاً.

مرة أخرى، استعلمت الشرطة عن سيغورڤن وهجالتلين بين مخبريها في عالم المخدرات على أمل أن يتمكن أحدٌ من ربط أحد هذين الرجلين بقضايا قديمة. ورغم أنه تم استكشاف هذا المسار بإسهاب لثلاثين سنة دون جدوى، إلا أن مارتا رأت أنه من الملائم القيام بمحاولة أخرى.

– صباح الخير يا عزيزي كونيه، ماذا تفعل هنا؟

نهض كونراد، الذي تناديه قلّة من الناس بإسمه الصغير، وحيّا هولمستين.

– حسناً، قيل لي إنك هنا، رَدَّ.

– أتساءل كيف يمكنني أن أتحمَّل كل هذه الاجتماعات، علَّق هولمستين، قائد حركة الكشّافة في آيسلندا، والذي يملك ألقاباً فخريةً عديدةً ومتنوعةً بحيث لا يستطيع كونراد فهمها. هذا الرجل الطويل القامة والوسيم، والنابض بالحيوية رغم سنّه، نسيب إرنا، وقد أنجَز أشياء رائعة ضمن الحركة، ويحرص دائماً على أن ينام تاركاً النافذة مفتوحة، إذا أردنا تصديق النكتة التي يرويها لكونراد كلما التقيا.

هذه هي القاعدة الوحيدة للكشّافة التي يعرفها كونراد، وغالباً ما يسأل العجوز إن كان يريد منه أن يفتح له النافذة خلال اللقاءات العائلية.

– هذا يسمّى تعزيز رابط الأخوّة، تابَع هولمستين عندما جلسا في مكتبه، تعليقاً على الاجتماع الذي لم يكن قد انتهى بعد. لقد فاجأته هذه الزيارة، فهي أول مرة يأتي كونراد لرؤيته هناك، وقد أراد أن يُخبره عن سيغورڤن، الذي كان جزءاً من الحركة ذات يوم، وهو أمر فاجأ هولمستين حتى أكثر.

– في الواقع، إنني أحقّق في وفاة رجل آخر، وضّح له وهو ينظر إلى صور قادة الكشّافة السابقين المبتسمين على الجدار. لقد اتصلت بي امرأةٌ أرادت معرفة إن كان هناك رابط بين هاتين القضيتين، وقبلتُ مساعدتها. وقد أخبَرتني أخت سيغورڤن أنه أراد الانضمام إلى الكشّافة، لكنه تخلّى عن ذلك في النهاية.

– سيغورڤن؟

– نعم.

استدار العجوز نحو الحاسوب الموضوع على مكتبه.

– لا أتذكّره، لكن هذا لا يعني الكثير. دعنا نرى. لقد وَضَعنا كل ملفاتنا في الحاسوب العام الماضي، لذا يجب أن أجده.

نظَرَ كونراد إلى ساعته، ووجد أن لديه الكثير من الوقت، كما أنه يشعر بسرور كبير لزيارة العجوز.

راح هولمستين يشرح له بنبرة جدية كم أن الكشّافة تُعَدّ تحضيراً رائعاً لدخول معترك الحياة، كما لو أن مرشّحاً يافعاً يجلس أمامه، واكتفى كونراد بإيماء رأسه، فهو لم يفكّر أبداً بالانضمام إلى هذه الحركة.

– ها هو، قال العجوز وهو يشير إلى الشاشة. كنتُ في النروج في ذلك الوقت حيث أمضيتُ ثلاث سنوات شاقة جداً. ما كنتَ لتزورني هناك مع إرنا، صح؟ لقد بقيتُ أشعر بضجر كبير في ذلك المكان.

– هل وجدتَ إسم سيغورڤن؟ سأل كونراد.

– نعم، كان في الحادية عشرة عندما انضم إلينا، وهو السنّ الأكثر تشويقاً للكثير من الأولاد، لكنني أظن أن الجو لم يعجبه فقد اختفى من السجلات بعد سنتين.

– هل يحتوي ملفه على معلومات أخرى؟
– لا، هذه المعلومة فقط.
– بين الذين تسجَّلوا خلال فترة تواجده معكم، هل هناك أي شخص استمرّ؟ ربما أصبح قائد فرقة أو شيئاً من هذا القبيل؟
– نعم، نعم، لقد استضفنا عدداً كبيراً من المجنَّدين، وقد بدا العديد منهم واعداً جداً، حتى إن أحدهم أصبح جزءاً من فريق الإدارة. يدعى لوكاس، وهو ولد جيد جداً، ولا أعرف إن استجوبتَه أم لا. لقد ترَك ريكيافيك ليستقرّ في سيلفوس، ولا أعرف إن كان لا يزال هناك. قد يتذكَّر هذا الفتى. سأطبع لك لائحةً بأسماء أعضائنا في ذلك الوقت، وأظن أن هذا لن يسبِّب مشكلةً.
– هل كنتم تأخذون الأولاد بذلك العمر اليافع إلى المُجلَّدات؟ سأل كونراد. هل كان ذلك جزءاً من البرنامج؟
– لا، رَدَّ هولمستين وهو يمدّ يده إلى الطابعة ليشغِّلها. هل تسألني هذا السؤال بسبب ما حصل لسيغورڤن؟
أومأ كونراد برأسه.
– لا، كرَّر هولمستين. لم ننظِّم أبداً رحلات إلى المُجلَّدات، أو لا أتذكَّر ذلك.
– حسناً. هذا كل ما أردتُ معرفته.
– لكن أخبِرني، كيف حالك يا صغيري؟ استفسر هولمستين.
– جيد، رَدَّ كونراد.
– ألا تضجر كثيراً منذ أن تقاعدت؟
– أحياناً.
– لكنك لم تتقاعد حقاً.
– بالفعل.
– يمكنك أن تأتي دائماً وتساعدنا في الكشّافة، ختَم هولمستين اللقاء بابتسامةٍ. لا ينتهي عملنا أبداً.
– لا شكراً، رَدَّ كونراد دون تكلّف.

فرِح كونراد عندما علِم أن عالِم الأرصاد الجوية الذي سيلتقيه لاحقاً في ذلك

اليوم يدعى فروستي، ومعناه "تجمُّد" أو حتى "تجلُّد"، لكن سروره لم يدم طويلاً عندما اكتشَف شابّاً متغطرساً متكبِّراً بغيضاً لم يكن قد تعامل معه أبداً خلال مسيرته الطويلة في الجنائية، وشَعَر بارتياح من ذلك، فلم يمرّ وقت طويل حتى راح يوجِّه الكثير من الأسئلة المتطفِّلة إلى الشرطي السابق لكي يعرف مَن أرسله ولماذا يحتاج إلى هذه المعلومات.

– لصالح مَن أعمل؟ ردّ كونراد بحدّة. حسناً، لصالح نفسي، أليس هذا كافياً؟

– ماذا ستفعل بهذه المعلومات؟

– لا شيء تحديداً، أردتُ الحصول على تفاصيل عن الأحوال الجوية في ذلك الوقت، ولم أعرف أن هذا من أسرار الدولة. ربما من الأفضل لي أن أتحدّث مع أحد زملائك.

– الأحوال الجوية في ذلك الوقت؟ كرَّر فروستي. ألم تجد أي شيء على الانترنت؟ حالة الطقس في كل شهر مسجَّلة هناك، ويمكنك العودة حتى عام 1997. لا تقل لي إنك لستَ من أنصار الحاسوب!

– يهمّني تاريخ سابق لذلك.

– تاريخ سابق؟

– هل تريدني أن أدفع لك لكي تعمل معي هذا المعروف؟ هذه ليست بمشكلة.

– لا، لا، تنهَّد فروستي في مكتبه الضيق العابق برائحة العفن، وتمتم أن الوافد الأول لا يزال غير قادر على دفع باب المؤسسة ليسأل الأشخاص الذين يعملون هناك، وفوق ذلك، دون أن يدفع أي شيء. عن أي فترة تتكلّم؟ سأل.

وجد كونراد أنه على شفير أن يشتم الرجل ويرحل، لكنه لم يستطع أن يمنع نفسه من أن يبتسم أمام هذا المزاج السيئ، فلا يصدف له كثيراً أن يلتقي بأشخاص لا يهتمّون لرأي الآخرين بهم ويتصرّفون على سجيّتهم كلياً.

أعطاه تاريخ اختفاء سيغورڤن، فكتَبه فروستي في الحاسوب.

– يمكنني أن أتفحَّص سجلاتنا، لكنني أظن أننا أدخلنا كل ذلك في نظام الحاسوب من قبل، علّق عالِم الأرصاد الجوية. تريد معرفة حالة الطقس في ريكيافيك في ذلك اليوم، صح؟

– نعم، رَدَّ كونراد. في البداية.

– آه، هل تبحث عن شيء آخر؟

– هل وجَدتها؟

– الطقس الملائم لشهر فبراير، رَدَّ فروستي. الحرارة ناقص ثلاث درجات، والرياح معتدلة أو يمكن القول غائبة تماماً، ولا تساقطات. طقس شتوي مدهش. هل هذا كافٍ لك؟

– هل يمكنك أن تنظر إلى منطقة لانغيوكل؟

– لانغيوكل؟

– نعم، في ذلك اليوم وخلال اليومين التاليين أو الأيام الثلاثة التالية.

– آه، ماذا تسمّى محطات الأرصاد الجوية تلك؟ تمتم لنفسه.

كتَب البيانات الجديدة في الحاسوب.

– أتساءل لماذا اعتمَدوا النظام المتري لقياس سرعة الرياح، قال منزعجاً. لماذا يغيِّرون ذلك؟

لم يعرف كونراد ماذا يقول، فعلى حد علمه، تم تعديل نظام القياس منذ سنوات، وتذكَّر أن ذلك التغيير أثار بعض الانتقادات، لكنه لم يشعر أنه قادر على مناقشة الأمر معه، لذا فضَّل أن يلزم الصمت.

– طقس سيئ، أعلَن فروستي.

– طقس سيئ؟

– نعم.

– ألا يمكنك العثور على الجيد؟ سأل كونراد مُخاطراً بإبدائه بعض الفكاهة العشوائية.

– الجيد؟ ماذا تقصد؟ لقد أعطيتُك إياه للتو.

– الأوقات الجيدة؟

نظَرَ فروستي إلى كونراد بنظرات حزينة جداً.

– كان الطقس سيئاً جداً على المُجلَّدة، رَدَّ بتمهُّل لكي يفهم كونراد بشكل صحيح. كانت عاصفة عاتية جداً.

38

اكتفى كونراد بتناول عشاء بسيط بعد لقائه عالِم الأرصاد الجوية، ثم فتَح قارورة شراب عنب أحمر إيطالي، وهو أحد أصناف شراب العنب الأحمر المفضَّل لدى إرنا، وذهَب ليُحضر صورة العرس التي يقبِّلان بعضهما فيها، ووضعها على طاولة المطبخ، وأضاء بجانبها شمعةً محروق قسم كبير منها، ثم أخذ رشفةً من شراب العنب، ووضع قرصاً مضغوطاً فيه تشكيلة موسيقية آيسلندية متنوعة من العام 1970 ملأت أنغامه الجو.

كانت إرنا قد أخفت قلقها في البداية لأنها أرادت الحصول على تأكيد غير ملتبِس بشأن مخاوفها قبل أن تتكلّم مع زوجها وإبنها. وبما أنها طبيبة بنفسها، فلديها مجموعة من الأصدقاء يمارسون هذه المهنة، وتعرف بعض أطباء الأورام، لذا قصدت أولاً زميلاً تثق به، ثم ذهَبت إلى طبيب آخر لا تعرفه، ثم طلبت في النهاية نصيحة متخصص آخر. احتاجت إلى كل ذلك لتشعر بالاكتفاء.

لم يلاحظ كونراد أي تغيير، ولم يشعر بالقلق عندما بقيت تستريح خلال النهار، أو عندما فقدت القليل من وزنها، ولم ير نظراتها القلِقة عند وجودها لوحدها في المطبخ أو في الحمّام. من جهتها، لم تعرف حقاً ماذا يجري لها قبل صدور نتائج تحليلها الأول. وعندما صدر الحُكم، عادت إلى المنزل، وفتحت قارورة شراب عنب، وانتظَرت وصول كونراد. بما أنها احتكّت بالموت منذ دراستها الطب فقد عرَفت مما ستعاني، وعرَفت كيف سيتفاعل المقرَّبون منها، وعرَفت أن الألم سيغزو منزلها وحياة الذين تحبّهم، ثم سينتهي كل شيء، وستستمر الحياة من دونها. راحت تفكِّر بإبنها وحفيديها وزوجها، وبكيت على قدرها بصمت.

في ذلك اليوم، فهِم كونراد فوراً أن هناك خطباً ما عندما وَصَل إلى المنزل، فقد وجد إرنا جالسةً في شبه ظلام في غرفة الجلوس، وقد طلبت منه عدم إضاءة الضوء بل أن يأتي ويجلس بجانبها. صبَّت له كوب شراب عنب أحمر، ثم أخبَرته الخبر السيئ، وأظهرت له النتائج النهائية لفحوصها. يمكنها أن تخضع لعملية

جراحية لإزالة الورم الكبير، ويمكنها أن تخضع لجلسات علاج إشعاعي وعلاج كيميائي، لكن كل ذلك لن يفيد إلا بتأخير المحتوم، فقد انتشر المرض من قبل وأصبح خارج السيطرة.

مخافة أن تُحيي آمالاً عقيمةً لدى زوجها، شرحت له الوضع على حقيقته دون زيادة أو نقصان، ولم تحاول طمأنته أو تهدئة روعه، بل اختارت الواقعية والتوصيف السريري لوضعها، رغم أنها كانت تتمنى لو يمكنها تجنيبه التعرّض لذلك، لكنه أمر مستحيل، وعليهم تقبُّل الواقع في أسرع وقت ممكن لأن ذلك سيمكّنهم من الاستفادة من اللحظات المتبقية إلى أقصى الحدود.

– دعنا لا نضيِّع وقتنا على التفاهات، قالت. ليس لدينا الحق بذلك.

لم يفهم كونراد معنى كلامها فوراً، وراح يُزعجها بأسئلة عن العلاجات الممكنة، وعما يمكنهما تجربته، وعن احتمال ذهابهما لرؤية أطباء في أميركا، وعن أحدث الأبحاث، لكن كل أجوبة إرنا أفسدت آماله، ووجَد نفسه عاجزاً عن مواجهة الحقيقة في نهاية المطاف. لدى زوجته بضعة أشهر فقط لتعيشها، أو سنة على أفضل تقدير.

– لا يمكنني أن أصدِّق، قال متنهِّداً. أرفض أن أصدِّق.

– عزيزي كونراد، قالت.

– لا أفهم كيف يمكنك البقاء هادئة هكذا.

– لقد عشتُ حياةً سعيدةً كنتَ أنت فيها، وهوغو، والتوأمان. وقد أحببتُ عملي، وحظيتُ بكثير من الأصدقاء، وقد وصلتُ إلى عمر معيّن. في الحالتين، لن أمانع أن أعيش عشرين سنة إضافية معك، لكن هذا لن يحصل، وليس لديَّ أي سبب لأشتكي منه. المسألة بأكملها مجرد وجهة نظر يا كونراد. هذه هي الطريقة التي أرى بها ما سيأتي وأريدك أن تتقبّله.

– ووجهة نظر؟ هل يجب أن أتقبّل هذا دون إجفال؟ هل يجب أن تتقبليه أنتِ أيضاً؟ ردّ بحدّة.

– إنها الطريقة الوحيدة.

– يجب أن تكون هناك طرقٌ أخرى يا إرنا، وأكاد أجزم أنه يمكن التغلّب على هذا المرض.

– لا، رَدَّت. الطريقة الوحيدة للتغلّب على الموت هي بتقبّله.

غالباً ما يتذكّر تلك الليلة عندما أخبَرته إرنا الخبر الفظيع، والسلوك البطولي الذي اعتمَدته في محاولة منها لتهدئة قلقه متناسيةً قلقها. ربما هذا شيء تعلَّمته كطبيبة تواجه الموت باستمرار، ولا شكّ أنها تعلَّمت من أمومتها أيضاً أن تضع حاجات الآخرين قبل حاجاتها.

ثم جرى كل شيء بسرعة كبيرة. اتصلا بهوغو ليشرحا له الحالة، لكن ذلك الأخير حاول اعتماد الموقف الطبي الرصين، رغم أنه تفاعَل بشكل سيئ جداً عندما علِم أن مصير أمه محتوم.

توقَفت إرنا عن العمل، وبلغَ كونراد سنّ التقاعد، وأمضوا كل وقتهم معاً. راحوا يسيرون كثيراً في الطبيعة، ويمضون الليالي في فنادق أو أنزال مزارع مريحة، وذهَبوا لرؤية أماكن لطالما حلَموا أن يستكشفوها لكنهم لم يخصِّصوا أبداً الوقت لزيارتها. رفَضت إرنا أن تدخل المستشفى للرعاية التلطيفية، وأرادت أن تعيش لحظاتها الأخيرة في منزلها في أوربايز، لذا تم تجهيز غرفة نومهما، وبدأ هوغو وكونراد يتناوَبان على خدمتها طوال الليل والنهار، مع تأكدهما من إعطائها جرعات كافية من المورفين لإراحتها من معاناةٍ غير ضروريةٍ.

بعد وفاتها، حلّت أيام الحداد، التي تحوّلت إلى أسابيع ثم أشهر، استطاع خلالها كونراد أن يقدِّر أهمية الدعم المعنوي الذي قدَّمه له إبنه رغم ألمه الكبير، والذي راح يعتني بأبيه بهدوء لكن باستمرار ليضمن رفاهيته.

كونراد الآن يعيش لوحده في المنزل، فقد توقَف عن العمل، وتوقف عن أن يكون زوجاً، وتوقف عن الاعتناء بعائلته. باختصار، أصبح في حالة ركود تام، أصبح متقاعداً. لقد شهدت حياته اضطرابات كبيرة بشكل سريع جداً لدرجة أنه يشعر أحياناً أنه لم تعد لديه أي حياة أبداً، فيتجوَّل في أرجاء هذا المنزل المشبَّع بحضور إرنا، حيث إن هذه الصور واللوحات والكتب والأثاث تخصّها، وكل غرض يعبق بذكريات حياتهما المشتركة. لم يرغب بأي شيء آخر، لكن بعدما رأى هوغو أن الحال لا يتغيَّر مع مرور الأشهر، اقترَح عليه أن يبيع المنزل ويغيِّر بيئته، لكن كونراد رفَض بشكل قاطع، ولم يذكر إبنه الموضوع مرة أخرى مُدركاً أن أباه يحتاج إلى مزيد من الوقت.

قبل أن يصيبه أي حدثٍ يدفعه إلى خارج إطار الزمن، بدأ كونراد يجمِّع أجزاء تواجده لكي يركِّب أحجية صورة حياته، ووجد أن بعض القِطع لا تتلاءم مع بعضها جيداً، وأن بعض القِطع الأخرى، ومنها ما هو مهم جداً، مفقودةٌ. إن أحجية الصورة هذه غير مكتملة، وستبقى أجزاءٌ كبيرةٌ فيها فارغة إلى الأبد، أجزاءٌ أعطته لمحةً عن حياته بعد رحيل إرنا، فلا شيء سيملأ فراغ وألم الغياب، لكن بإمكانه أن يتعلَّم كيف يعيش من جديد، وستبقى إرنا في أفكاره دائماً. كان يوشك أحياناً أن يتصل بها في عملها فيرفع سمّاعة الهاتف قبل أن يعود إلى أرض الواقع فجأة.

بقي كونراد ينظر إلى صورة عرسه لفترة طويلة، وتذكَّر القبلة في ساحة دار العبادة. في الواقع، تذكَّر كل قبلة من قبلاتهما. ذهَب ليُحضر قارورة شراب عنب أحمر أخرى من الخزانة مستورَدة من استراليا تدعى *الذراع الميتة*. لقد اكتشَفت إرنا هذا الصنف من شراب العنب في مجلة لذوّاقة الطعام، وعندما لم تجده في متجر بيع الشراب، طلبت قارورةً بالبريد فهي لم تستطع أن تقاوم الرغبة العارمة بتذوّقه عندما علِمت أن النباتات المعترشة التي تنمو عليها عناقيد العنب تلك تعاني من ضعف يحوِّلها إلى ميزة، حيث إن أحد أغصان تلك النباتات المعترشة يموت ويسقط عندما تصل النبتة المعترشة إلى حجم معيَّن، وهذا يقوّي جذورها ويعطي العنب عبيراً قوياً جداً.

– لم أستطع أن أمنع نفسي من شراء هذه القارورة، أخبَرته وهي تضحك.

39

لم يزر كونراد شارع ليندارغاتا منذ وقت طويل، بعد أن كان معتاداً أن يذهب إلى هناك بشكل دوري، ليس فقط لأنه مكان طفولته، بل أيضاً لأنه يضم أحد متاجر الدولة لبيع الشراب الذي كان أحد زبائنه. في ذلك الزمن، لم تكن تلك المتاجر التي تُغلق أبوابها في عطل نهاية الأسبوع قد اعتمدت مبدأ الخدمة الذاتية بعد، بل يضع الموظفون القوارير على منضدة كبيرة، ويزدحم المتجر بالزبائن بعد ظهر كل يوم جمعة، فالطوابير المنضبطة أمرٌ غير موجود إلا خارج البلاد، ويتجمَّع حَشدٌ من الناس على الرصيف، ويمتلئ المتجر بالزبائن، وتصبح الزحمة عند المنضدة لا تُطاق، ويبدأ الموظفون بأخذ طلبيات الزبائن المزدحمين مثل علبة سردين ثم يُحضرونها من غرفة خلفية. كان شراب الشعير محظوراً في آيسلندا في ذلك الوقت، وشراب العنب، وهو علامة الأناقة، مجهولاً تقريباً لدى معظم الأشخاص، وكلما اقترب موعد الإغلاق، كلما ازداد التدافع بين الزبائن. قارورتا شراب روسي، يصرخ زبونٌ وهو يلوِّح ببطاقاته فوق المنضدة. برينيفين آيسلندي! يصرخ آخر. قارورتا شراب البذور وتوت العرعر! يصيح ثالثٌ وهو يلوِّح بماله. أي صنف؟ لا يهمّ! وأضف إليهما قارورة برينيفين! إذا أجرينا مقارنة بسيطة، سنجد أن الهرج والمرج الذي يسود بين سماسرة بورصة وول ستريت يبدو أشبه بقيلولةٍ.

تعود أولى ذكريات كونراد إلى حي الظلال، حيث إنه وُلد في منزل هُدِّم الآن، على غرار العديد من المباني القديمة الأخرى، فلم ينجُ محيطه من الازدهار المُخادِع للفقاعة الاقتصادية لبدايات القرن الحادي والعشرين التي أدَّت إلى تشييد مبانٍ شاهقةٍ على أنقاض ذكرياته، مبانٍ بقيت فارغة ومشرَّعة للرياح الشمالية الجليدية لفترة طويلة خلال الأزمة. هذه هي المنطقة التي شهدت خلال سنوات الازدهار أغلى سعر للمتر المربع في ريكيافيك، وها قد عاد الجنون والنمو هذه الأيام.

توقَف كونراد حيث دُهس ڤيلي، وراح يراقب المباني التي شُيِّدت مكان المسالخ القديمة في نهاية الشارع. هنا كان ملعبه القديم الذي ينتهي عند أطراف البحر

وحيث اعتاد الأولاد التزحلق نزولاً على تلة أرنارهول في الأيام الثلجية، وفي الصيف يعبرون الفجوة التي في سور المنزل المستدير، أو يدخلون متجر تاجر الأخشاب ڤولوندور ويتسلّقون كومات الألواح الخشبية التي في باحته. أخبَر كونراد نفسه أن الأماكن التي عاش فيها طفولته تستحق وديان الريف وتلالها الخضراء، وكلما يأتي إلى ليندارغاتا، يشعر كما لو أنه عائد إلى منزله بعد رحلة طويلة.

على مسافة قريبة جداً من منزل ڤيلي القديم، ارتفعت المباني إلى السماء كما لو أنها حصون حجرية، ورأى أن الشابّ كان يبعُد بضعة أمتار فقط عن منزله عندما صدمته السيارة. شارع ليندارغاتا أحادي الاتجاه، وإذا كان السائق هو الرجل الذي دردَش معه في المقصف، فربما بقي يراقبه إلى أن غادر المؤسسة ليعود إلى منزله في العاصفة، وتبَعه بلا شكّ من وسط المدينة، صعوداً عبر شارع هڤيرفيسغاتا على الأرجح، ثم بقيت المركبة تلاحق ڤيلي وهو يدخل شارع ليندارغاتا، لا شكّ عبر شارعَي إنغولفستراتي وسميديوستيغور. وعندما أصبح الرجلان خارج الشوارع الأكثر زحمةً، انطلق السائق بسرعته القصوى ودهس ڤيلي.

رغم الرؤية السيئة وحجم الجِيب وقوته، من الصعب تخيُّل أن السائق لم يُدرك أي شيء، لذا فقد تقصَّد أن يدهسه على الأرجح، لكن كونراد لم يتخلَّ كلياً عن الافتراض الآخر بأن لا أحد تبع ڤيلي من وسط المدينة، وأن سائقاً، سواء كان ثملاً أم لا، كان يقود بسرعة كبيرة في شارع ليندارغاتا ولم ير الشابّ بسبب العاصفة، فدهسه ثم فرّ هارباً.

لقد استجوبت الشرطة سكان المنازل المجاورة دون أن تنجح في توضيح ظروف الحادث، فقد وقعت المأساة عند منتصف الليل والجميع يغطّون في نوم عميق، ولا أحد رأى أو سمِع شيئاً.

سار رجلٌ في الشارع نحو كونراد الذي تعرَّف فوراً على أحد رفاقه القدامى في اللعب. لم يلتقِ به منذ سنوات، ولا شكّ أن آخر مرة رآه فيها كانت في فورة بعد ظهر الجمعة في متجر بيع الشراب. إنه ماغنوس، الذي كان ملقَّباً ذات يوم ماغي بيبسي، لكنه لا يعرف إن احتفظ بذلك اللقب أم لا، فلم يتجرّأ أن يسأله في المرات النادرة التي التقيا فيها. لم يعرف أي شخص عنيد مثله، فذات يوم، أجبَر ماغي بيبسي نفسه أن يأكل بصلةً نيئةً مسروقةً من متجر لُولي لكي يفوز برِهان

على عشرة أورار [أو فلس]، ولا يزال الشرطي السابق يتذكّر الدموع التي سالت على خدّيه وهو يمضغ البصلة بإصرار مذهل.

– لكن أليس هذا كونراد؟ قال وهو يمدّ يده. هل أتيتَ لتتفقّد أماكن الماضي؟

صافحه كونراد الذي بنفس سنّه تقريباً، فلا يفرق بينهما إلا حوالي سنتين. كان كتوماً خلال طفولته، على الأرجح بسبب التأتأة التي لديه، ويعيش لوحده مع أمه في منزل جميل في ليندارغاتا لا يزال يسكنه اليوم بعد أن تُوفِّيت منذ زمن طويل. بقي ماغي أعزب، ولم يغادر الحي أبداً، أو يعثر على شريكة ليقضي معها بقية حياته رغم أنه حاوَل ذلك، لكن أمه المتطلِّبة جداً فيما يتعلق بالفتيات استاءت جداً من كل محاولاته للإفلات من قبضتها، وبما أنه لم يمتلك القوة ليعارضها، لا يزال وحيداً.

– أرى أنك لا تزال تعيش هنا، علَّق كونراد.

– نعم، ولن أغادر الآن، رَدَّ ماغي. وأنت، هل عدتَ لترى أماكن طفولتنا؟

– بالفعل، فقد مرّ وقت طويل منذ أن أتيتُ إلى هنا.

– أتساءل لماذا لا أزال هنا، أضاف ماغي وهو يمسح أنفه بالجهة الخلفية ليده. كل شيء اختفى، ص... ص... صدقاً، ولم يبق أحد سواي.

– صحيح، لقد تغيَّر الحي كثيراً.

– لقد أص... أصبح غير صالح للسكن تقريباً. استبُدل متجر بيع الشراب بمساكن طلبة كثيري الضجة وبهذه المباني العملاقة التي تصل عملياً إلى البحر. هل تتذكَّر المنظر الذي كان لدينا نحو المضيق والجُزُر وجبل إسجا؟ لقد سرَقوا كل ذلك منا واستبدلوه بجد... بجدار المباني هذا. ما الغاية من حجب المنظر على الناس هكذا؟ لتشييد مباني في أسفل التلة تظلِّل على الحي كله؟

– كانت أرض بناء جيدة على مرمى حجر من الوسط، رَدَّ كونراد فقط ليقول شيئاً.

– حسناً، تباً لأولئك الأشخاص. إنهم مجرد مجموعة أغبياء.

– بلا شكّ، وافَقه كونراد الرأي.

– لقد دمَّروا كل شيء، المسالخ، شركة ڤولوندور، مقصف كڤلدلفسكالين، المنزل المستدير، مت... متجر لولابود، وكل المتاجر الأخرى. لم يبقَ شيء سوى

المسرح، ولم تطأ قدماي هناك أبداً.

– لكن أخبِرني، هل تتذكَّر حادثاً وقع هنا منذ بضع سنوات؟

– حادث؟

– مارٌّ صدمته سيارة.

– هل تتكلّم عن... ڤيلي؟

– نعم، هل كنت تعرفه؟ سأل كونراد متفاجئاً.

– ليس حقاً، فلم يمكث هنا لفترة طويلة، رَدَّ ماغي. دردَشنا مرة أو مرتين، وبدا شخصاً طيباً إذا كان هذا ما تريد معرفته. لم تكتشف أنت وزملاؤك السائق أبداً، أليس كذلك؟

هزَّ كونراد رأسه.

– ل... لا، قال ماغي. أخبَرتني ڤيغا أنها هي التي عثرت عليه، هل تتذكَّر ڤيغا؟

– نعم، بشكل جيد جداً.

تذكَّر كونراد تلك العجوزة التي عاشت في منزل مهدَّم تقريباً، والتي كان يخاف منها دائماً في صغره بثيابها التي تشبه ثياب المتشرِّدين، وشعرها الرمادي الأشعث، وكنزاتها الممزَّقة التي ترتديها الواحدة فوق الأخرى، ووجهها المتجمِّد في تكشيرة عدائية. لا شكّ أنها دخلت بضع مرات إلى المصحّة العقلية الرهيبة كليپور، وقد بقي أولاد الحي يحرصون على عدم رمي الكُرة إلى داخل حديقتها، فهي توبِّخهم عندما يتجرّأون على المرور أمام منزلها، وتوبِّخهم لأمور تافهة أيضاً. وإذا صدف وأتى ولدٌ من حي آخر ليبيع تذاكر قرعة وارتكب حماقة أن يقرع على بابها، سينال على الأرجح صفعتين قويتين وسلسلة من الشتائم. وأحياناً تُمسِك الأولاد وتأخذهم إلى الداخل لتعلِّمهم درساً، لكن سلوكها ذاك فاقمَ غضب أولاد الحي منها، وبدأوا يحاولون إخافتها كلما كبروا في السنّ عبر تنفيذ مقالب سيئة عليها، وتحطيم نوافذها أو القرع على بابها والهرب. حتى إن أحدهم ذات يوم أشعل النار في الحجرة الصغيرة التي خلف منزلها.

– في الواقع، ذهَبتُ لرؤيتها منذ وقت غير بعيد، تابَع كونراد الذي زارها ليسألها عن أحداث يعود تاريخها إلى الحرب شارك فيها أبوها، ولم يتذكَّر رؤية

إسمها في تقارير الحادث.

– نعم، ماتت المسكينة في الصيف الفائت، بعد أن أمضت بضع سنوات في دار للمسنّين، وبدأت تزداد اضطراباً أكثر فأكثر.

– آه، ماتت؟ قال كونراد متفاجئاً من سماع هذا الخبر.

– كل ذلك جرى في السر، رَدَّ ماغي. فقد أخبَرتُهم في دار المسنّين أن يتصلوا بي عندما تُتوفّى بما أنه ليس لها أحدٌ، وقد اهتمّيتُ بالباقي، مثلما يقولون. أرادت أن تُحرَق جثتها، وقد تركتُ الجرّة في حديقة نصب فوسڤوغور التذكاري. تخيَّل أن تكبُر في السنّ إلى ذلك الحد وتتمسَّك بالحياة بهذا الشكل، فقد بلغَ سنّ المسكينة حوالي مئة سنة.

– لا تذكر تقارير الحادث إسمها.

– الشرطة لم تعرف، وهي لم تُخبِر أي شخص، بل أخبَرتني عن ذلك منذ سنتين عندما ذهَبتُ لزيارتها.

– ماذا أخبرتك؟

– لم يكن كلامها واضحاً جداً. ذكرَتُ لها ڤيلي، وبدا أنها تتذكّره حيث إنه كان يستأجر شقة مجاورة لمنزلها، وأخبَرتني أنها وجَدته على الرصيف، حسناً، شيءٌ من هذا القبيل. لس... لس... لستُ متأكداً إن كان يمكن تصديق ذلك.

– ألم تُخبِرك أي شيء آخر؟

– لا، لا شيء آخر.

– فقط أنها وجَدته جالساً على الرصيف؟!

– نسيتُ الكلمات التي استخدَمتها، لكن هذا كان معنى كلماتها.

– هل ساعدته؟ هل تكلَّمت معه؟

– لم تُخبِرني أي شيء آخر، فقد فقدت المسكينة رشدها وأصبحت في عالم آخر حيث قالت إن مخ... مخلوقات من كافة الأصناف تهاجمها، مخلوقات غريبة تراها حولها.

– عما تكلَّمتَ مع ڤيلي؟ هل تتذكَّر؟ سأل كونراد.

– كان مثلي من مشجعّي ڤالور، وكنا نتكلَّم عن كُرة القدم، ولا شيء مشوِّق جداً في هذا. إنه فتى مؤدَّب مات ميتةً فظيعةً.

سكت رفيقا اللعب السابقان لبضع لحظات.

– ألم... ألم تعرف أبداً ما حصل لأبيك؟ سأل ماغي.

نظَرَ إليه كونراد باهتمام.

– لا.

– يا لها من قصة غريبة.

– نعم، قصة غريبة، وافَقه كونراد الرأي على أمل أن يغيِّر صديقه الحديث.

– هل علِمت عن پولي؟ لقد تُو... تُوفِّي، قال ماغي متتبِّعاً خيط أفكاره. من نوبة قلبية. لقد عمِلتُ معه قديماً في أحواض بناء السُفن في سليپورين.

– پولي؟

– ألا تتذكَّره؟ كانت كل أس... أسنانه مكسورة، وقال إنه تعثَّر وسقط عن السُلَّم. كنتما في نفس الصف، صح؟

– نعم، لسنة واحدة، ثم رحل. هل مات؟ متى؟

– منذ حوا... حوالي أسبوعين. أظن أنكما لم تكونا صدي... صديقين عزيزين؟

– لا.

تذكَّر كونراد پولي المزعج ذاك الذي اضطر أن يتحمَّله لسنةٍ في المدرسة.

– أظن أنها كانت أقدم قاطنة في الحي، تابَع يقول مُعيداً الحديث عن ڤيغا.

– نعم، من د... من دون شكّ.

– لم نكن صديقين عزيزين أيضاً.

– أعرف، لم تكن سهلة، وافَقه ماغي الرأي وهو يستنشق، ورآه كونراد فجأة مرة أخرى في الفناء الخارجي في ليندارغاتا يُنهي بصلته المسروقة، وخدّاه رطبان من الدموع.

وقال لنفسه إن ماغي بلا شكّ لم ينل أبداً العشرة أورار التي استحَقها.

سأل السؤال الذي كاد يحرق شفتيه.

– أخبِرني، هل لا تزال تشرب البيبسي؟

– بيبسي؟ رَدَّ ماغي. هذا أفضل مش... مشروب.

40

في المساء، استمَع كونراد إلى أغاني الستينات التي خزّنها هوغو في الجهاز اللوحيّ الذي أهداه إياه في احتفال الشتاء، وجلس يأكل في المطبخ بلا شهية بينما ملأت الموسيقى أرجاء المنزل. لقد مرّ وقت طويل منذ أن عاد إلى حيّه القديم، وراح يتذكّر ذلك الشارع، وماغي، وأصدقاء طفولته وأهاليهم، وڤيغا العجوزة. لم يكن ليندارغاتا بعيداً عنه أبداً، ومهما حصل سيبقى ذلك العالم عالمه دائماً. الصرخات حول المسالخ، الناس في أفضل ملابسهم مجمَّعين أمام المسرح الوطني، رائحة الخشب في ڤولوندور، صخب وسط المدينة، البحّارة في الميناء، كل تلك الأمور التي شكّلت عالم شبابه لا تزال حيّة في ذهنه، ويمكنه أن يلجأ إليها في ذهنه متى يشاء، ومهما شيَّدوا من مبانٍ شاهقةٍ هناك، فلن تنجح أبداً في أن تبتلع ماضيه بالكامل.

وڤيغا جزءٌ من ذلك الماضي. ففي إحدى أمسيات الشتاء وبتشجيع من رفاقه، أراد كونراد أن ينقّذ مقلباً عليها، لذا صعد الدرجات الجليدية لمنزلها، وركلَ الباب مرتين، ثم نزَل بلمح البصر لكنه سقط في أحضانها مباشرة وهي عائدة من فنائها الخارجي حيث إنها اقتربت منه من الخلف وقبضت عليه، فشَعَر بخوف شديد لدرجة أنه كاد يبوِّل في سرواله الداخلي، وهو أمر كان ليتوِّج إذلاله. سلَّطت مشعلها الكهربائي عليه وهي تمسكه من كتفه.

– أيها الولد القذر! تمتمت.

متحجِّراً من الخوف، لم يُبدِ أي مقاومة عندما سحَبته إلى خلف منزلها، وفتَحت باب الكوخ، ورمته فيه، ثم أقفلت قفله المزدوج. زادت الظلمة من خوفه.

– هذا عقابك، زمجَرت ڤيغا. سأدعك تتخمَّر هنا طوال الليل!

ثم ابتعدت.

اكتمل إذلال كونراد بأن شَعَر بعد لحظات بخيط من البول الدافئ يسيل على فخذَيه وإلى داخل حذائه. كان في السابعة من عمره فقط، ويرتجف مثل ورقة.

أسرعَ الآخرون لإخبار أمه، فأتت لتتكلّم مع ڤيغا، وحرَّرت إبنها بتحذيره أن عليه أن يتوقف عن إزعاج هذه المرأة المسكينة التي فقدت ولدها، والتي أصبحت الحياة بالنسبة لها مجرد عدوان دائم. "ولدها؟"، تساءل كونراد. "نعم، منذ ذلك الوقت وهي حزينة جداً".

هل من الممكن أن ڤيغا وجَدت ڤيلي في الشارع قبل وصول الشخص المارّ الذي بلَّغ الشرطة؟ لقد كان الشابّ يستأجر شقة بالقرب من منزلها، ويتكلّم أحياناً مع ماغنوس الذي يعيش في الجانب المقابل للشارع. ربما خرَجت ڤيغا إلى الرصيف بعد الحادث، وربما شهِدت الواقعة، وربما رأت السائق أيضاً. لم تطلب النجدة، وإلا لظهر إسمها في سجلات الشرطة، ولم تفعل أي شيء لحماية الجثة. ما الذي دفعها إلى الخروج من منزلها؟

هل مات ڤيلي على ذراعيها؟

أم أن كل ذلك من نسج خيالها فقط؟ هل كذَبت على ماغنوس؟ على كل حال، لم يُدرك الذين حقّقوا في الحادث أنها شهِدته، ولم يتفاجأ كونراد حقاً لأن ڤيغا لم تكترث لأي شخص ولم يكترث أحدٌ لها، وكانت عجوزة لا يمكن توقّعها. ربما استجوبتها الشرطة مثلما استجوبت سائر الجيران الآخرين، ولم تقل أي شيء فحسب. حتى إنه بإمكان المرء أن يتخيَّل أن المحقِّقين لم يعتبروها شاهداً موثوقاً، فالأشخاص الذين لم يعرفوها، لم يكونوا يريدون عادة التواجد قربها.

اتصل كونراد بأخته، ورفعت بيتا السمّاعة بعد بضع رنّات. أخبَرها أنه التقى ماغي في البلدة، وأن هذا الأخير أخبره بوفاة ڤيغا.

– آه، لقد تُوفِّيت المسكينة، قالت وهي تتنهَّد. لطالما دافعت بيتا عن ڤيغا، ولم تؤذها أبداً، بل على العكس تماماً، حاوَلت ثني الأولاد عن مضايقتها لأنها كانت تُشفق على تلك الإنسانة الوحيدة.

– ربما كانت آخر شخص يرى ڤيلي حيّاً. إنه الشابّ الذي أخبَرتُك عنه ذلك اليوم.

– الذي دُهس في شارع ليندارغاتا؟

– ربما شهِدت الحادث. على أي حال، أخبَرت ماغنوس أنها وجَدته على الرصيف. لا شكّ أنكِ تتذكَّرين ماغي بيبسي.

– ماغي؟ هل لا يزال يعيش في الحي؟
– نعم، وبقي على تواصل مع ڤيغا العجوزة. كان سنّها فوق التسعين.
– ويعتقد أنها رأت حادث ڤيلي؟
– هذا ما قالته له.
– هل رأت مَن فعل ذلك؟
– ربما، لكنك تعرفين كيف أنها كانت في عالم خاص بها.
– كانت ڤيغا إنسانة طيبة ولطيفة معي دائماً، حتى ولو حصل أن بوَّلتَ في سروالك الداخلي ذات يوم عندما كنتَ في منزلها.
– لم أكن في منزلها حقاً، صحَّح كونراد، بل لنقل إنها حبستني في كوخها.
– ڤيلي ذاك ابتكر كل أنواع النظريات بشأن اختفاء سيغورڤن، أليس كذلك؟
– نعم، وراح يُخبرها لكل شخص أراد سماعها. لقد شَعَر أنه شهِد شيئاً مهماً، رغم أنه لم يكن شاهداً جيداً، لكنه شاهدٌ على أي حال، وإذا ناقَش ما رآه مع أوائل الوافدين الذين التقى بهم في المقاصف، فمن غير المستحيل أن يكون قد دفع الثمن.
– تقصد أن شخصاً متورّطاً في اختفاء سيغورڤن دهسه؟
– لنقل إنني أدرس هذه الفرضية، لكن أشكّ أنه يمكنني إثباتها، رَدَّ كونراد.
– يجب أن يكون المرء في حالة يُرثى لها لكي يبالغ في تصرّفه هكذا!
– بالفعل، أفترض أن المرء يجب أن يكون يائساً.
– أظن أنه من غير السهل أن تكون هناك حادثة اختفاء تُثقل ضميرك.
– لا شكّ أنه أمر مرهق كتم هذا النوع من الأسرار لسنواتٍ، وهذا يولِّد لدى المرء شعوراً سيئاً جداً.
– هل تأمل أن يستسلم المذنب في نهاية المطاف؟ أن يستمع إلى صوت ضميره؟ لقد حصل هكذا أمر من قبل!
– ضمير البعض لا يؤلمهم، بينما ضمير البعض الآخر يأكلهم من الداخل.
– حسناً، ليس بالضرورة أن يكون موت ڤيلي مرتبطاً بما رآه في أوسكجوليد، علَّقت بيتا. أنت تودّ أن تصدِّق وجود هكذا رابط فأنت تصدِّق مبدأ الصُدَف، وتصدِّق أن بضع كلماتٍ قيلت في مقصفٍ يمكنها أن تسبّب موت أحدهم.

هذه طبيعتك، وأنت تفكّر مثل شرطي.

– يجب أن يقوم شخصٌ ما بذلك.

صمتت نغمات آخر أغنية تاركةً الغرفة في صمت تام.

– من المدهش ما كان يفعله الأولاد لإزعاج ڤيغا المسكينة، قالت بيتا.

– ألم تُخبِرنا أمي أنها فقدت ولداً؟

– نعم، ولا أعرف كيف علِمت ذلك، فهما لم تكونا صديقتين. قالت أمي إنه مات من مرض في الطفولة، ولم تعرف أكثر من ذلك، بل عرَفت فقط أنه مات طفلاً، ولم تتمكن المسكينة من تخطي تلك المأساة أبداً.

– هذا أمر مفهوم.

– نعم، بالطبع.

41

تمنّيا لبعضهما ليلة سعيدة، ووضع كونراد بعض الموسيقى، وكان يفتح قارورة شراب عنب أخرى عندما رنَّ هاتفه. اعتذَرت هيرديس لإزعاجه في مثل هذا الوقت، فطمأنها أن الوقت ليس متأخراً كثيراً.

– لديَّ خبر جديد، أعلَنت.

– كنتُ أخطِّط للتو أن أتصل بك غداً. ألم يُخبرك أخوك أبداً عن عجوزة تدعى ڤيغا كانت جارته في شارع ليندارغاتا؟

– ڤيغا؟

– امرأة وحيدة من الصعب التقرُّب منها، وعاشت في عزلة تقريباً. اعتقَدتُ أنه ربما ذكرَها لك في محادثةٍ ما.

– هل هي العجوزة الغريبة قليلاً؟

– هل يعرفها؟

– قليلاً جداً. كلَّمني ذات يوم عن إحدى جاراته وأخبرني أنها عجوزة جداً. لا أتذكَّر إسمها، ولم أرها أبداً.

– إذاً هل كانا يتجادلان من وقت لآخر؟

– أظن ذلك. ما علاقة هذا بأخي؟

أخبَرها كونراد عن زيارته إلى حي الظلال، ونقل لها ما قاله له ماغي عن أن ڤيغا ادّعت أنها اكتشفت جسم ڤيلي بعد الحادث، وبقيت هيرديس تستمع إليه بصمت، فحقيقة أن شخصاً كان مع أخيها لحظة وفاته هو خبر جديد لها.

– هل هذا صحيح؟

– على الأرجح، رَدَّ كونراد.

– لماذا لم تذهب لتُحضر النجدة؟ لماذا لم تتصل بالشرطة؟

– كانت ڤيغا امرأة مميّزة جداً، رَدَّ كونراد، ولا يوجد أي دليل على أنها قالت الحقيقة أو أنها شهِدت الحادث، أو حتى أنها خرجت من منزلها فعلاً لترى ڤيلي،

لكن هذا غير مستحيل ولا يمكننا استبعاده.

– إذاً فهو لم يمت وحيداً؟

– ربما كانت إلى جانبه، لكن يمكننا أن نتخيَّل أيضاً أنه ربما كان ميتاً عندما وَصَلت إليه.

– لا أعرف بماذا أفكِّر... من المدهش معرفة شيء كهذا بعد كل هذا الوقت.

– أفهمك.

– لماذا لم تتكلَّم عن ذلك فوراً؟

– لقد أخبَرتُك للتو أنها كانت امرأة مميّزة جداً.

ساد صمتٌ، وفهِم كونراد أن هيرديس تحتاج إلى بعض الوقت لتهضم الخبر.

– هناك شيء واحد يؤرقني، قالت.

– ما هو؟

– إذا كان حادثاً حقاً، لماذا لم يتوقف سائق السيارة ليُنقذ أخي؟ يبدو لي الأمر غير معقول!

– أوافقك.

– ربما كان قادراً على إنقاذه. لماذا لم يتوقف؟

– لأنه دهسه عن قصد، رَدَّ كونراد.

– هل هذا هو التفسير الوحيد؟

– ربما. على كل حال، إنه الوحيد المنطقي.

صَبَّ كونراد لنفسه كوباً آخر من شراب العنب، وأخذ رشفةً، واستأنف خيط تأمُّلاته. لم يسخر بقية الطلاب من إعاقته في معظم الأوقات، لكن مرَّت بضعة استثناءات قليلة، خاصة في المدرسة المتوسطة، واليوم سمِع بوفاة پولي.

لم يتكلَّم أبداً مع أبيه عن ذلك الفتى أو عن تنمّراته الوحشية له، فلم يكن هناك وقتها تعبيرٌ مخصَّصٌ لوصف الأمر، لذا حاوَل تجاهله، لكن ذلك لم يغيِّر أي شيء، وبقي پولي لا يرى غير ذراعه.

لقد وصل ذلك الولد القذر من كيفلافيك إلى صف الحمقى التي يدرس فيه كونراد، وكان يعيش مع والدَيه وأختيه في قبو في مقاطعة ثينغهولت. كان طويلاً

وقوياً وغبياً، ولم يمرّ وقت طويل حتى بدأ يُبدي اهتماماً بإعاقته.

ادّعى في البدء أنه يريد أن يصبح صديقه، لكن كونراد اشتبه به، وفهِم بحدسه أنه من الأفضل له عدم مخالطة هذا الطالب الجديد، إلا أن ذلك فاقم حشرية پولي فحسب، ولم يعد معسول اللسان. وذات يوم بعد انتهاء المدرسة، وَقَف أمام كونراد وطلب منه أن يتفحَّص ذراعه المريضة، لكن كونراد لم يُجبه وتابَع طريقه مما جعل پولي يدفعه ويسقطه أرضاً وهو يسأله إن كان مشلولاً في الرأس أيضاً. وجد كونراد أنه في مواجَهة شخصٍ أقوى منه فابتعد دون أن يطلب منه أن يدعه وشأنه، وتلك كانت البداية فحسب. أصبح بعد ذلك يخشى پولي الذي لا ينفكّ يسخر منه، ويُطلق عليه ألقاباً ازدرائيةً، ويحشره في الزوايا لكي يضربه دون أن يكون قادراً على الثأر منه. بدأت ملابس كونراد تتمزَّق أحياناً، ويُصاب بنزيف في الأنف وبرضوض، لكنه لم يشتكِ أبداً أو يعترف بإسم معذِّبه. وإذا سأله أحدهم أسئلة، يجد تبريرات مختلفة دائماً، وقد استمر الحال على هذا المنول طوال الشتاء.

لم يكن الوحيد الذي عانى من تنمّرات وضربات ذلك الولد المجنون الذي أصبح متخصِّصاً بإنزال سراويل الأولاد الصغار في فناء المدرسة. فبعد احتفال الشتاء مباشرة وخلال حصة السباحة، أنزَلَ پولي ثوب سباحة كونراد قبل أن يدفعه إلى الحوض وهو يلوِّح بغنيمته عالياً لكي يراها الجميع، وعندما وجد أن أحداً لم يستحسن فعلته، غضِب پولي ورمى ثوب السباحة في صفيحة النفايات حيث بقي إلى أن ذهَب أحد رفاق كونراد ليعيده له وهو في الحوض.

وهكذا أصبح كونراد كيس ملاكمة لپولي، وبقي يتحمَّل صفعاته وركلاته وإهاناته. وفي نهاية إحدى حصص الجمباز، وهو غالباً ما يكون آخر شخص يُنهي استحمامه لأنه يحبّ شعور تقاطر الماء على بشرته، وَقَف پولي أمامه عارياً وسأله إن كان يريد أن يلمس عضوه الذكري. لم يُجبه كونراد وذهَب إلى غرفة تبديل الملابس، لكن معذِّبه أمسكه وحفَّ نفسه به ولمسه بشكل غير مستحبّ. انتقم كونراد فجأة بأن صفعه على وجهه وتمكَّن من الهرب منه بعد أن أفلته پولي جافلاً، وراح يسير في الرواق بسرعة حاملاً ملابسه بيديه. عندها ظَهَر المُشرِف عند الباب وسأله لماذا لا يزال يتسكَّع في غرفة تبديل الملابس في حين أن كل رفاقه غادروا، وطلب منه أن يرتدي ملابسه. حرص پولي على عدم إثارة أي ضجة

في الحمامات، وادّعى كونراد أنه لم ينتبه للوقت وارتدى ملابسه بأقصى سرعة. وَصَل إلى الرواق دون أن ينتهي من ارتداء كنزته، وراح يركض عائداً إلى المنزل.

فهِم أن كل هذا لا يمكن أن يستمر، وأنه الوحيد الذي يمكنه أن يضع حداً له. لذا بعد بضعة أيام على حادثة الدُش، أخذ مفتاح ربط من صندوق أدوات أبيه بعد أن زانه وشَعَر أنه سيفي بالغرض، ثم صعد إلى أعلى تلة سكولافوردهولت حيث يعيش پولي، وجلس يراقب أمام منزله. لم يخرج مطارِده تلك الليلة أو في الليلة التالية، لكن في الليلة الثالثة وبعد مرور ساعة على انتظار كونراد، فُتح الباب، ونزل پولي الدرج، وتوجَّه نحو ساحة ليمور في طقس بارد والثلج يغطي الشوارع مدفوعاً بالرياح، وراح جلاّده يخطو خطوات كبيرة في ليل الشتاء.

تبَعه كونراد، وعندما وَصَل إلى الجزء الأكثر ظلمةً في الرحلة، ناداه بإسمه. استدار پولي متفاجئاً من رؤية المعوَّق البائس يحدِّق به، ولم يتسنَّ له الوقت أن يسأله ماذا يفعل في هذه الأنحاء، فقد اقترب منه كونراد دون أن يقول شيئاً ودون تردّد، ورفع مفتاح الربط بيده السليمة وضربه بقوة على وجهه ممزِّقاً له خدّه، وراح پولي يصرخ من الألم دون أن تكون لديه أي طريقة على الإطلاق ليدافع بها عن نفسه ضد هذا الهجوم الخاطف. ضربه كونراد مرة ثانية بالمفتاح على ركبته، فانهار پولي أرضاً، ثم تلقَّى بعد لحظة ضربة ثالثة على عظمة الحاجب دفعته إلى الخلف فارتطم رأسه بلوح حجري. اغتنَم كونراد الفرصة ليوجِّه له ضربة رابعة كانت الأقوى حتى الآن، وقد حطَّ مفتاح الربط على شفتَي پولي المفترقتين وحطَّمت له ستة أسنان.

راح يئنّ من الألم وهو ممدَّد في الشارع فاقد الوعي تقريباً. ركَلَه كونراد قبل أن يسير ببطء عائداً إلى حي الظلال. مسَح الدم عن المفتاح، وأعاده إلى صندوق الأدوات بعد أن جفَّفه بشكل تام. لقد علَّمه أبوه قاعدتين لكي تكون له اليد العليا ضد الأقوى منه. أولاً، من الضروري مفاجأة الخصم من أجل زعزعة استقراره لحظة الهجوم عليه. ثانياً، لا يجب التردّد أبداً، ويجب تسديد الضربات بطريقة تضع الخصم في حالة لا يمكنه فيها أن يشكِّل أي خطر.

عندما سئل ما الذي حصل له، رَدَّ پولي أنه سقَط. بعد ذلك الدرس، لم يعد يزعج أي طلاب، وترَك المدرسة في الربيع.

استيقَظ كونراد وهو يعاني من صُداع، فقد أفرَغ القارورة الأولى، واحتسى كميةً لا بأس بها من القارورة الثانية، ودخَّن عدداً من السيجارات الصغيرة، وتمايل على أنغام الموسيقى، ونام في غرفة الجلوس. وعندما استيقظ عند منتصف الليل، أوى إلى السرير، لكنه لم يستطع أن يغفو، لذا أخذ حبة منوِّمة في نهاية المطاف.

بُعيد الظهر، أخذ سيارته إلى سيلفوس حيث لديه موعد مع لوكاس الشهير الذي أخبَره قائد الكشّافة العجوز هولمستين أنه كان شبلاً في الوقت نفسه كالشخص المفقود. لم يحدِّد كونراد غايته بدقة كبيرة على الهاتف، بل اكتفى بذكر الإسم الأول لسيغورڤن وهو يتحدَّث عن الكشّافة السابقين بطريقة مراوِغة قليلاً. ومثل أي شخص آخر، كان لوكاس مُدركاً لهذه القضية، لكن طلبْ المتصل به فاجأه، فأعطاه موعداً للقائه في مقصفٍ حيث استقبلت كونراد رائحة قهوة زكية وخبز ساخن شهي. جال بنظره بحثاً عن لوكاس بين الزبائن غير الكُثُر في مثل هذا الوقت من اليوم، ورأى رجلاً ينهض ويقترب منه ليسلّم عليه.

أخذا كوبَيهما وجلسا إلى طاولةٍ. لقد عانت سيلفوس والمناطق المحيطة بشكل كبير من الأزمة، مثل بقية آيسلندا، وقد ذاق الناس هنا طعم البطالة والأوقات الصعبة قبل نمو السياحة، حيث إن لوكاس بقي عاطلاً عن العمل لسنتين، فخسِر منزله بسبب الديون، واستأجر شقة صغيرة يملكها أحد أنسباء زوجته، لكنه استعاد زمام المبادرة أخيراً، وتخرَّج كمرشد سياحي، وبقي يعمل لبعض الوقت في أخذ السيّاح على متن حافلات لزيارة المواقع الرئيسية في إقليم سودورلاند، ولم يكن تنقصه الحيوية.

أخذ لوكاس رشفة من قهوته، وعرض عليه كونراد أن يتناول قطعة حلوى أو خبزاً محمَّصاً، فشَكَره لأنه ليس جائعاً. ملامحة الخشنة، ووجهه العريض، وشعره الأشقر الأشعث، وثيابه – معطف سميك وحذاء مخصَّص للتنزّه مشياً – طابَقت الصورة الذهنية التي لدى كونراد عن المرشدين السياحيين. لقد وُلد في ريكيافيك،

وأمضى طفولته هناك، وبقي يذهَب لحضور الجلسات السينمائية التي تنظّمها جمعية KFUM*، والتي قادته إلى الكشّافة مباشرة.

لدى لوكاس ذكريات طيبة عن تلك الفترة الزمنية، وشَعَر بالسرور لتمكّنه من الحديث عنها، فقد بقيت كل روحه في ريكيافيك التي لا يزال يفكّر بالعودة ليستقرّ فيها رغم الأسعار الخيالية للعقارات هناك. غالباً ما يضطر إلى السفر إلى العاصمة للعمل، وهذا أمر يزعجه، خاصة في الشتاء عندما تشتدّ العواصف ويواجه خطر أن تتقطّع به السبل على أرض هيليشيدي السبخة.

– لم أعد أعدّ المرات التي حصل لي فيها ذلك، شرَح بابتسامةٍ على شفتيه.

شرِب الرجلان قهوتهما بهدوء وهما يتكلّمان عن مصاعب الحركة على الأرض السبخة، والأسعار الباهظة للمتر المربع في ريكيافيك، وطفولتهما في تلك المدينة والتغييرات الجذرية التي شهدتها. ثم وجّه كونراد الحديث إلى الكشّافة.

– لم نملك الإمكانيات لشراء الزيّ الرسمي الكامل، قال لوكاس. واقيات السيقان الصوفية الخضراء التي تخدش الربلات، والقبعة، وبقية الأمور. كنا نسير في استعراض في أول يوم من الصيف والطقس بارد جداً عادة، وكذلك في العيد الوطني في 17 يونيو، وغالباً تحت مطر غزير، لكن الأجواء كانت رائعة. كما نذهب في نزهات طويلة حيث ننام في خيمٍ، والأشخاص المسؤولون عنا أناس طيبون. كل الذكريات التي لديَّ عن تلك الفترة جميلة.

– تكلّمتُ مع هولمستين، مديرك السابق...

– آه نعم، هولمستين العجوز.

– أخبَرني أنك كنتَ في نفس المجموعة مع سيغورڤن، وأنه لم يبقَ طويلاً جداً.

راح لوكاس يحدِّق به.

– عفواً، لكن ألم تكن شرطياً؟

أومأ كونراد برأسه.

– وجهك يُخبِرني شيئاً. أتذكّر رؤيتك في نشرة الأخبار كلما أتوا على ذكر هذه القصة. هل لا تزال في هذا التحقيق؟

---

* إنها المرادف الآيسلندي لجمعية YMCA.

– لا، إنني أدرس خيوطاً أخرى قد تكون لها علاقة بهذه القضية، رَدَّ كونراد دون استفاضة.

لم يطالبه لوكاس بأي تفاصيل.

– أتذكَّر سيغورڤن قليلاً، والسبب الرئيسي لذلك على الأرجح هو ما حصل له بعد ذلك، فهو مثلما قلتَ لم يبقَ طويلاً في الكشّافة، وكنا في نفس المجموعة وكان فتى مؤدَّباً، وربما متحفظاً قليلاً. شَعَرتُ بسرعة أنه ضجِر وأن كل هذا لا يناسبه، لكنه اندمج جيداً في المجموعة التي شكّلناها مع غوندي، سيغي، إيولفور... حسناً، غادرنا و...

– ولم تروه مرة أخرى أبداً؟

– أبداً. ثم رأيتُ بلاغ البحث والتحري ذاك مع صورته في الصحيفة. كل ذلك حصل بسبب تلك الأمور مع شريكه... كان المذنب، صح؟ المال يجعلك تتصرَّف بغباء، ونحن أدرى أشخاص بذلك. البلد كله يمكنه رؤية ذلك.

– هل بقيتَ؟ أقصد في الكشّافة.

– نعم، بقي عددٌ منا، ثم انضم العديد إلى ألوية المُنقذين البحريين. لم أبقَ هناك لفترة طويلة رغم أنه كان لديَّ عدة أصدقاء في ألوية ريكيافيك، لكنني سرعان ما وجَدتُ عملاً على متن سفينة تجارية واضطررتُ أن أغادر. ثم عُرضت عليَّ وظيفة على اليابسة وانتقلتُ إلى هنا، وشاركتُ لفترةٍ في قيادة الكشّافة، وأنا حاضر دائماً لتلبية النداء عند الحاجة. يعرفون أنه يمكنهم الاتصال بي في الحالات الطارئة، إن وجدوا أنه ينقصهم أحدٌ.

– بين كل أولئك الفتيان، هل كان بعضهم من عشّاق السيارات الرباعية الدفع؟

– السيارات الرباعية الدفع؟ لا، لا أظن.

– ألم يكن أحدهم يملك جِيباً كبيراً؟

– لم يكن أولئك الفتيان يملكون شيئاً.

– أقصد لاحقاً، عندما اختفى سيغورڤن. وصولاً حتى عام 2009.

– هذا ليس مستحيلاً، لكنني غير قادر على الإجابة. لماذا عام 2009؟

– شيءٌ ما حصل تلك السنة، وربما له علاقة بهذه القضية، رَدَّ كونراد. يملك

المُنقذون البحريون سيارات رباعية الدفع كبيرة مجهَّزة بلاسلكي.

- بالطبع.

- وهوائيات كبيرة؟

- يحتاجون إلى معدّات كثيرة عندما يذهبون للبحث عن شخص تائه في المرتفعات.

- أو على المُجلَّدات؟

- بالتأكيد.

بدأ يزداد عدد الزبائن في المقصف الآن، وأنهى الرجلان قهوتهما. رنَّ هاتف لوكاس، وأُبلغ أن مجموعته السياحية تنتظره وأن الواجب يناديه، لذا افترقا أمام المقهى، وذهب كونراد إلى نهر أولفوسا الذي يبعد مسافة قصيرة، والذي له سحر غريب عليه، والذي تذكَّر أنه تعلَّم في مادة الجغرافيا أنه ينبع من سفح لانغيوكل. أمضى بعض الوقت يتأمل مياهه الفوّارة، وهو يفكِّر ملياً بالسر الذي حفظته المرتفعات كل تلك السنوات، وتذكَّر ابتسامة سيغورڤن المحمَّدة عندما أعادوا جثته أخيراً من المُجلَّدة. بدا كأنه يسخر منه.

في الطريق إلى البيت، اتصل كونراد بمارتا وطلب منها إسم الزميل الذي حقّق في وفاة قيلي، فسألته منزعجةً عن سبب هذا الطلب، ورَدَّ عليها أنه يحتاج إلى بعض المعلومات.

– بعض المعلومات؟ ردّت مارتا بحدّة.

– حسناً، تفاصيل محدَّدة.

– ما هي؟

– هوية الذين تم استجوابهم، وما كانت نتيجة ذلك.

– لم تكن هناك نتيجة.

– أعرف، لكنني ومع ذلك أودّ أن أتكلّم مع ذلك الزميل. لا أرى أين المشكلة في ذلك.

– إنه صديقك العزيز ليو.

– ليو؟! لا عجب إذاً أن التحقيق لم ينجح.

– آه، لا تبدأ! سأطلب منك أن تكون لطيفاً معه، فالمسكين خرج من مركز إعادة التأهيل!

– لا تقلقي. أريد فقط أن أتكلّم معه. بالمناسبة، كم عدد الذين يتعالجون هناك؟ وكيف يمكن للمجتمع أن يدعم باستمرار أشخاصاً من نوعه؟

– لطفك سيقضي عليك! قالت مارتا مازحةً. إياك أن تحدّثه عن إدمانه على الشراب.

– لا أعِدُك بشيء.

– هذا لا يفاجئني، أشارت مارتا قبل أن تغلق الخط في وجهه.

في وقت لاحق من ذلك اليوم، رأى كونراد ليو يجتاز البوابة إلى الفناء الخارجي لمخفر هڤيرفيسغاتا فناداه، لكن عندما رأى ليو أن زميله السابق هو الذي يناديه، أكمل طريقه ودخلَ شارع سكولاغاتا. طارَده كونراد ولحِق به عند منزل البنّائين،

وهو يعرف أن ليو عضوٌ في هذه الأخوية، وافترَض أنه ذاهبٌ إلى اجتماعٍ.

– أوقف هذه المهزلة يا ليو! أحتاج إلى التكلّم معك، صاح به.

تابَع ليو طريقه بدلاً من الإجابة عليه، لكن كونراد أمسَكه بذراعه.

– أحتاج إلى أن أطرح عليك بعض الأسئلة، قال منزعجاً. كفى استغباءً!

استدار ليو.

– ماذا تريد مني؟! هل أخبرك أصدقاؤك المتشرِّدون كلاماً فارغاً مرة أخرى؟

– لقد دُهس رجلٌ في شارع ليندارغاتا منذ بضع سنوات، وفرّ السائق. قيل لي إنك مَن حقّق في تلك القضية. لم ينجُ الرجل، وكان يدعى ڤيلمار.

– اعتقَدتُ أنك تقاعدتَ، ردّ ليو بحدّة وهو يحرِّر ذراعه.

– نعم، لكن...

– ليس لديَّ أي شيء لأُخبرك إياه! اتركني وشأني!

بدأ يصعد درجات منزل أخوية البنّائين، لكن كونراد سدَّ عليه طريقه.

– هل استجوبتَ ڤيغا، تلك العجوزة التي عاشت في شارع ليندارغاتا؟

جمَد ليو في أرضه وتصلَّب، وبدا عدائياً.

– هل تكلَّمتَ معها؟

حاوَل ليو دفعه جانباً دون حتى أن ينظر إليه، لكن كونراد بقي ثابتاً في مكانه. لقد توقَّع أن يكافحه زميله السابق، لكنه لم يستسلم. كانا صديقين فيما مضى، لكنهما لم يعودا كذلك اليوم.

– لا أتذكَّر أي عجوزة في ليندارغاتا! قال مزمجِراً. اتركني وشأني!

– كانت شاهدةً، ردَّ كونراد. كيف يمكن ألا تستجوبها؟

– لا أعرف تلك الشاهدة المفترَضة، كرَّر ليو. ولا أعرف عما تتكلَّم.

– لقد وجَدتْ ذلك الرجل على الرصيف. كيف يمكن أن يفوتك ذلك؟

– لا أعرف أي شيء عن هذا.

– لا، وهذا لا يفاجئني. لم ترغب "تسوية" هذه المسألة.

– أنتَ تكذب، وهذه ليست أول مرة.

– والسائق. كيف يُعقَل ألا تجده؟

– ما كل هذه الأسئلة؟ لستُ مضطراً أن أبرِّر نفسي...

– ما هي الخيوط التي استكشفتها؟ وبناءً على ماذا؟ مَن استجوبتَ؟

– ماذا تقصد؟ في النهاية، أنت تعرف كل هذا. أسئلتك ساذجة.

– مَن استجوبتَ؟

– كل شخص من المرجَّح أن يكون قد رأى شيئاً، رَدَّ ليو. ولا تتغطرس عليَّ، فلا يمكنك أن تتحمّل تبعات ذلك حقاً.

– ربما، لكن ما حصل في ليندارغاتا لم يكن معقَّداً على ما يبدو.

– لقد... لا أعرف حتى لماذا أُخبِرك هذا... لقد استجوبنا كل مَن يُقبَض عليه بشكل دوري بسبب القيادة ثملاً، وتلقَّينا بضعة تقارير عن السيارات التي شُوهدت في المنطقة تلك الليلة، لكن لم تكن لدينا معلومات كثيرة لننطلق منها. كان الطقس سيئاً جداً، والرؤية معدومة، والشوارع خالية تقريباً، وقد استجوبنا بضعة سائقي سيارات، ولم ينفع ذلك، فقد تبيَّن أن سياراتهم في حالة جيدة، ولم يمرّوا في الحي تلك الليلة.

– ألم تفكّر بفرضية أنه عمل مقصود؟

– لا شيء أشار إلى ذلك. لا شيء على الإطلاق. ولماذا سيريد أي شخص أن يقتله؟

– نظرياً، أنت أدرى مني بذلك، رَدَّ كونراد. لستُ أنا مَن أفسد هذا التحقيق! ولستُ أنا أيضاً مَن أجبر ذلك الرجل على أن يكذب بشأن هجالتلين! ماذا أصابك حقاً؟

– هل تريدني أن أُخبرك؟ هل تريد أن تعرف حقاً؟ صرخ ليو. لقد فعلتُ ذلك لأنك كنتَ تُفسد كل شيء. ذلك الرجل هدَّد سيغورڤن، وكان آخر شخص يراه حيّاً، وقد اختفى سيغورڤن بُعيد مشادّتهما في مرأب السيارات. كان من البديهي استنتاج ما حصل، لذا توجَّب دفع عجلة الأمور إلى الأمام، بينما بقي التحقيق يراوح مكانه معك. لقد احتجنا إلى اعتقال أحدٍ ما، إلى فعل شيء يبرهن أننا لسنا مجرد مجموعة أشخاص غير أكفاء.

– وماذا إذاً؟ إذا كان الأمر بديهياً، هل هذا يعطينا الحق أن نرمي أول شخص يصادفنا في السجن؟

– كان هجالتلين القاتل، وكنتَ تتخبَّط. لم يكن هناك أي مشتبه به آخر

أبداً، وعليك أن تتقبّل ما هو واضح. أما بالنسبة لليندا فهي شريكته، ولم يكن معها مثلما تقول الآن. إنها تكذب، وكلاهما أرادا التخلّص من سيغورڤن. هو لأنه أراد أن ينتقم، وهي لأنها تكسب الكثير من ذلك. لقد نجحا في إبقاء علاقتهما سرية طوال تلك السنوات، واضطرا أن يتوقفا عن لقاء بعضهما بعد وقوع جريمة القتل، ولم يأخذا بعين الاعتبار حقيقة أننا مجتمع صغير جداً. لكن ما عدا ذلك، فقد سار كل شيء على ما يرام تماماً لهما. لو كنتُ محل مارتا، لاعتقلتُ ليندا تلك من قبل.

بدأ كونراد يغلي غضباً.

– كان هجالتلين يتلاعب بك، وكلنا عرَفنا ذلك، قال ليو. لا أعرف كيف نجح في ذلك، لكنك كنتَ تحت سيطرته، وأصبح حُكمك ضعيفاً، وظننتَ أنه بريء. لقد خدعك ذلك الرجل وليندا بحجج واهية، واعتبراك مغفَّلاً يا كونراد!

– كل كلامك هُراء! قال كونراد غاضباً.

– حقاً! ردّ ليو بحدّة وهو يفتح الباب المُهيب لمبنى الجمعية السرية.

– لكن أخبِرني، هل كنتَ تثمل في ذلك الوقت؟ ربما منعك ذلك من إنجاز عملك؟ تابَع كونراد. يمكنني أن أتفهّم ذلك.

– اصمت! صاح ليو غاضباً.

– هيا، اذهب وتسلّى مع أصدقائك البنّائين، قال كونراد مُنهياً الحديث وهو يفلت الباب ليتركه ينغلق.

آخر شيء فعلاه معاً هو القيادة إلى شبه جزيرة سلتيارنرنس لمشاهدة خسوف القمر في تلك السنة التي تميّزت بعدة ظواهر طبيعية استثنائية. فالثوران الصغير الذي بدأ في ممر فيمڤوردوهالز كان مجرد بداية للثوران الأكبر في إيافيالايوكل الذي شلّ حركة الملاحة الجوية في كل أنحاء أوروبا، والذي شكّل مصدر الفيضانات، وولّد سحابة سميكة من الرماد غطّت جزءاً من آيسلندا، وقد انتهت السنة بخسوف للقمر صباح يوم الانقلاب الشتوي. ورغم أنها أصبحت طريحة الفراش بشكل دائم تقريباً، إلا أن إرنا طالَبت بالذهاب لمشاهدته، وقد رضخ لها كونراد كالعادة.

كانت ضعيفة جداً، فساعَدها على السير إلى السيارة التي أدار محرّكها قبل عشر دقائق من خروجهما ورفع درجة التدفئة داخلها إلى الحد الأقصى لمواجهة البرد القارس، حيث أن الرياح بقيت تعصف من الشمال لأيامٍ، وقد غطّت طبقةٌ سميكةٌ من الجليد الشوارعَ. راحت الأرض المجمَّدة تُصدر صريراً تحت قدميهما، وبدا الهواء نقياً تماماً مما مكّنهما من رؤية القمر بوضوح تام عالياً عند الغرب وهو ينزل على تلة أرتونسبريكا. بدأ ظل كوكب الأرض يُخفي جاره القمر، وعندما وَصَلا في الليل المظلم إلى شبه الجزيرة، كان القمر قد اتّخذ صبغةً غريبةً ضاربةً إلى الحُمرة.

ترَك المحرِّك مشتغلاً ليستفيدا من التدفئة والرياح تصفِّر خارج الجِيب، لكنه أطفأ الأضواء الأمامية. لم يكونا لوحدهما على شبه الجزيرة، فقد فرّ آخرون من التلوّث الضوئي للمدينة لمشاهدة الخسوف، وقد أحضر أحدهم تلسكوباً صغيراً معه، وتحدّى بعضهم البرد ووقفوا على الكثيب الرملي. اعتادت عينا كونراد وإرنا على الظلمة بعد حين، وظَهَرت لهما النجوم تدريجياً، وبدت السماء بريقاً من الماضي.

– أريد أن أخرج، قالت.

– إرنا... رَدَّ كونراد محتجّاً.

– عليَّ أن أخرج.

– الجو بارد جداً يا إرنا. ما كان عليَّ أن أُحضرك إلى هنا.

– لحظات قليلة، رجاءً. لحظات قليلة فقط. من المثير للسخرية مشاهدة خسوف القمر من خلف زجاج سيارة.

تردَّد كونراد ثم رضخ. كان قد جاء إلى هنا ملتحفاً سترته السميكة وقبعةً، وإرنا أيضاً ارتدت ملابس دافئة، وقبعة ذات رفاريف للأذنين، ووشاحاً صوفياً، وقفازات. دار كونراد حول الجِيب ليفتح لها الباب، وساعَدها على النزول بذراعه السليمة، وسار معها إلى أعلى الكثيب الرملي حيث ساعَدها على الجلوس محاولاً حمايتها من هَبَّات الرياح القارسة. وفي نهاية الليل، استمعا قليلاً إلى صوت تكسّر الأمواج بعد أن بقيت إرنا تراقب القمر لفترة طويلة يتحوَّل إلى وردة حمراء داكنة في سماء الليل. هذه أول مرة يراها فيها تبكي منذ أن أخبَرته عن مرضها.

حملها على ذراعيه ونقل جسمها المنهك إلى السيارة، التي كان قد ترك محرِّكها مشتغلاً، وشَعَرا بدفء لذيذ داخلها، ووضعها على مقعد الراكب بلطف.

– شكراً يا كونراد، شكراً على كل شيء، قالت بصوتٍ بالكاد مسموع.

بقيا يجلسان هناك لبرهةٍ يستمعان إلى صفير الرياح، ومرّ بهما أشخاص آخرون توافدوا إلى شبه الجزيرة لمراقبة السباق السحيق للكواكب. بدأ الظل الذي حجب القمر يخسر لونه الضارب إلى الحُمرة ويصبح داكناً أكثر كلما ابتعد، ولم تعد الصورة الدائرية لكوكب الأرض تغطي قمر الليل بأكمله، وبدأ خيط رفيع من الضوء يظهر، ثم عاود القمر ظهوره.

كانت إرنا قد أخبَرته عندما غادرا المنزل أنه لم يحدث خسوفٌ للقمر خلال الانقلاب الشتوي منذ القرن السابع عشر، وأن الخسوف القادم لن يحدث قبل مئة سنة، وأنها سعيدة لتمكّنها من أن تقضي معه هذه اللحظة التي كانت يوماً وأبديةً في الوقت نفسه.

انطلق كونراد من مرأب السيارات وإرنا تغطّ في نوم عميق بسبب المورفين، وراح يقود بهدوء. عندما رَكَن أمام منزلهما في أورباير، أراد أن يأخذها إلى الداخل، لكنه وجدها ميتة. بقي يجلس في السيارة لفترة طويلة قبل أن يفكّ حزام أمان زوجته ويُدخلها إلى المنزل، ويضعها على الكنبة، ويُخبرها ما نسي أن يُخبرها إياه

في السيارة. هكذا وُصف القمر في قصيدةٍ: إنه قُرط الليل. صديق العشّاق القديم.

كان ذلك أقصر يوم في السنة، لكن كونراد لم يعرف أبداً يوماً طويلاً مثله.

دام أربع ساعات واثنتي عشرة دقيقة فقط.

ومع ذلك كان بطول الأبدية.

45

عمِلت پالينا ذات مرة على سيارة أجرة، وقد اعتقَلتها الشرطة للقيادة تحت تأثير الشراب في شارع فراكاستيغور ليلة وفاة ڤيلي، ثم سُحبَت منها رخصة قيادتها بعد سنتين لأنها صدمت أحد المشاة وتركته لمصيره في الشارع رغم جروحه، وقد أتت الشرطة إلى منزلها بُعيد الحادث، واعترَفت بكل شيء. كان منسوب الشراب في دمها فوق الحد المسموح به بمقدار كبير، وقد خضعت لفترة علاج، ولم تعد تحتسي أي قطرة شراب هذه الأيام.

شرحت كل ذلك لكونراد الآن، وبدت فخورةً تماماً من أنها احتاجت إلى تلك الصفعة فقط لكي تُخرج نفسها من حالة الإدمان، وبمفردها تقريباً. لقد حضَرت جلسةً أو جلستين فقط لاجتماعات جمعية مدمني الشراب المجهولين، وبالكاد رأت مستشارها. بالطبع أنها تشعر برغبة بتناول الشراب من وقت لآخر، فهي إنسانة، لكنها لم ترغب أن تقع في براثن ذلك الإدمان مرة أخرى هباءً.

رغم أنها ثرثارة، إلا أنها لم تُخبِر كونراد لماذا فَقَدت السيطرة على استهلاكها الشراب، عِلماً أن هذا ليس من شأنه. يستطيع المرء أن يتخيَّل أن الوقت والعادة عمِلا ضدها، وقد حصل انزلاقها دون أن تُدرك ذلك. لكنها أخبَرته عن الطريقة التي احتسى بها الناس الشراب في شبابهم، وعن الزمن الذي اعتاد فيه أغلب الناس تناول شراب قوي، ثم التجوّل في البلدة ثملين في عطل نهاية الأسبوع.

– لم يكن من الذكاء احتساء الشراب بتلك الطريقة، قالت پالينا بتبصّر.

– وهو لا يزال هكذا، علَّق كونراد.

– لطالما كنتُ مقتنعة أنني مسيطرة على استهلاكي الشراب، لكن أول شيء يتعلَّمه المرء عندما يخرج من حالة الإدمان هو أن إدمان الشراب أمرٌ لا يمكنه التحكّم به أبداً، وأنه لا يملك سيطرة عليه. كنتُ سائقة سيارة أجرة! هل تُدرِك معنى ذلك!؟ كنتُ أقود ثملة تماماً أحياناً! ولم أكن أجد أن ذلك مشكلةً أبداً. كم يمكن أن يكون المرء ساذجاً!

پالينا هي ثالث شخص يستجوبه كونراد بعدما اتصلت به مارتا لتعطيه المعلومات التي طلبها عن تحقيق ليو، حيث إنها أعدَّت له لائحة بأسماء الأشخاص الذين شُوهدوا في حي الظلال ليلة الحادث، وقد وعَدها كونراد بأن يلتزم أقصى درجات التحفّظ، وشكرها بحرارة. لم يُبقِ زميلته السابقة على اطلاع على نتائج أحدث تحقيقاته لأنه يعرف أن لديها ما يكفيها من أعمال تُنجزها، وفضَّل عدم إزعاجها طوال الوقت، لكنه وعدها أن يُعلمها إن اكتشَف أي معلومة مهمة.

ذهَب أولاً لرؤية رجلٍ كاد يتعرَّض لحادثٍ في شارع هڤيرفيسغاتا بعد أن سرق سيارة إبنه ليلة المأساة، حيث اضطر الشخصان على متن المركبة الأخرى أن يصعدا على الرصيف ليتجنَّباه، وقد نجحا في أخذ رقم لوحة سيارته رغم الرؤية السيئة جداً، واتصلا بالشرطة وبلَّغا أن السائق تابَع طريقه ببساطة بدلاً من أن يتوقف. عثرت عليه الشرطة في محطة الحافلات لاحقاً تلك الليلة، وتبيَّن أنه يدعى عمر، ولم يتذكَّر المرور في شارع ليندارغاتا.

سأل كونراد لماذا عاد ليستجوبه بعد كل هذه السنوات، وحاوَل الشرطي السابق أن يشرح له، لكن عمر رفض أن يستمع له، وقال له بانزعاج إن كل هذا هُراء قبل أن يخبط الباب في وجهه، وشَعَر كونراد أنه شمَّ رائحة شراب في أنفاسه.

ثرثارٌ أقل من پالينا، استقبله ثاني رجل زاره بريبةٍ، وقضى وقته يسأله عن سبب قدومه، وأجابه كونراد بصدقٍ أنه يبحث عن سائق مسؤول عن حادث مميت وقع في شارع ليندارغاتا قبل سبع سنوات، وأنه يعمل لصالح أخت الضحية، وأنه لم يتم العثور على سائق المركبة حتى الآن، وأنه يأمل أن يكتشف خيوطاً جديدةً عبر استجوابه مرة ثانية كل أولئك الذين استجوبتهم الشرطة في ذلك الوقت.

– إذاً فأنت لست شرطياً؟ سأله توماس الذي يعيش في شارع إنغولفستراتي، والذي كان جارٌ قد رآه يركب جِيبه في منتصف الليل ويتوجّه نحو حي الظلال، وبدا على عجلة من أمره. عندما سأله ليو، رَدَّ توماس أنه ذهَب لزيارة صديقة في الأحياء الشرقية، وقد أكَّدت تلك المرأة أقواله، ولم يحمل جِيبه أي آثار اصطدامٍ.

– لا، بل لنقل إنني أحقِّق من منطلق... شخصي، عِلماً أنني كنتُ شرطياً لفترة طويلة.

– إذاً، لا شيء يُجبرني على أن أتكلَّم معك.

– إلا إذا أردتَ ذلك.

– في هذه الحالة، وداعاً، قال توماس مُنهياً الحديث.

– كان لديك جِيب...

– قلتُ وداعاً، كرَّر توماس وهمَّ بإغلاق بابه.

– هل لديك ما تخفيه؟ استفسر كونراد متفاجئاً من ردّة فعل الرجل الذي كلَّمه عند المدخَل المؤدي إلى سُلَّم هذا المبنى الرثّ، وبالكاد أعطاه فرصة ليشرح له سبب زيارته.

استقبله مُحاوِره الثالث استقبالاً مشابهاً ولو أنه عامله بلطف أكبر بكثير. يعيش برنهارد في منزل شبه منفصل، وكان في المنزل أيضاً عندما قرَع الشرطي السابق على بابه. وحالما فهِم أنه يبحث عن مزيد من المعلومات عن حادث شارع ليندارغاتا، أبلَغه أنه أدلى بإفادة في ذلك الوقت، وودَّعه بنبرة مهذّبة لكن حازمة. تفهَّم كونراد ردّة فعله، فلو قرَع غريبٌ على باب منزله ليثير هكذا موضوع جدّي معه، لصرفه بلا شكّ. لقد شُوهد برنهارد يقود في شارع سكولاغاتا أثناء توجّهه إلى شرق المدينة بسرعة كبيرة، وقد أفادَ شاهدٌ كان يحاول العودة إلى منزله في العاصفة مجاناً في سيارات الآخرين، أن ذلك الرجل لم يتوقف له. صحيح أنه لم ير السائق ولم يعرف إن كان معه أحدٌ أم لا، لكنه تذكَّر جزءاً من رقم لوحته الذي احتوى على ثلاثة أرقام 7. أخبَر برنهارد الشرطة أن زوجته كانت معه في المركبة أيضاً وأنهما لم يتعرَّضا لأي حادث.

جاءت ردّة فعل پالينا مختلفة جداً، فقد رحَّبت به، وفهِمت تماماً عما يبحث، وزوَّدته بأجوبة مفصَّلة. لم تذهب أبداً إلى المقاصف التي يشاهد فيها الأشخاص مباريات كُرة القدم، ولم تملك جِيباً أبداً، ولم تدهس أبداً أي شخص في شارع ليندارغاتا، ولم تكن أبداً عضوةً في الكشّافة أو ألوية المُنقذين البحريين. كما أن فضولها الكبير دفعها إلى أن تسأله أسئلة كثيرة، وامتنَع عن إخبارها عن دهشته، لكنه سرعان ما تلقّى شرحاً بسيطاً للغاية.

– أنا أُمضي وقتي في قراءة الروايات البوليسية، وضَّحت له، لكن نادراً ما تسنح لي الفرصة لأتكلّم مع شرطي حقيقي من الجنائية.

– آه، فهِمتُ، ردَّ كونراد.

– لذا... من المشوِّق جداً بالنسبة لي... أن ألتقي بك. بالمناسبة، ألستَ الذي حقّق في... اختفاء سيغورڤن ذاك؟

كانا لوحدهما في كافيتيريا شركة النقل حيث تعمل كسكرتيرة، ولم تعد تقود شاحنات. قدَّمت له كوب قهوة قَبِله رغم أنه لم يلمس البسكويت المحشو الذي وَضَعته على الطاولة. ليس لديهما الكثير من الوقت معاً لأن لدى پالينا أموراً كثيرةً عليها أن تفعلها، وهناك سائق ينتظرها في مكتب الاستقبال عليه أن يغادر إلى بلدة هوفن.

– نعم، رَدَّ كونراد.

– ربما لهذا السبب أنت هنا أيضاً.

– لا، لقد جئتُ لشيء آخر، أكَّد لها دون أن يكون كلامه كذباً حقاً.

– إنها قصة غريبة، قالت پالينا. وهل كان ذلك الرجل الذي تبحث عنه يقود في أرجاء البلدة في الوقت نفسه مثلي؟

– هذا ممكن.

– لا أتذكَّر حقاً ذلك الحادث في ليندارغاتا، تابَعت بتبصّر. لكنهم ذكروه بلا شكّ في نشرة الأخبار وفي الصحف. حسناً، كنتُ مدمنة شراب قوية في ذلك الوقت.

– هل لاحَظتِ في تلك الليلة أي سائقين يتصرّفون بشكل غريب أو يقودون بتهوّر؟

– لا، لا أتذكَّر شيئاً من هذا القبيل، لكنني لا أتذكَّر الكثير من تلك الفترة.

ابتسم لها كونراد.

– حسناً، ما باليد حيلة، تنهَّدت پالينا ثم أخبَرته مؤامرة الرواية المشوِّقة التي أنهتها للتو وهي جريمة قتل غامضة في الريف السويدي، لكن شغفها الكبير بروايتها لم يجعلها تلاحظ كم أن الشرطي السابق لم يتأثر أبداً.

بسبب استغراقه في التفكير، لم يُطفئ الضوء في المطبخ أو غرفة الجلوس أو غرفة النوم عندما أوى إلى السرير، وشَعَر أن هناك تفصيلاً فاته، لكنه لم يعرف ما هو، وبقي ذلك يزعجه طوال المساء. راجَع في ذهنه الزيارات التي قام بها إلى

أولئك الأشخاص الذين استقبلوه بتهذيب تقريباً، وتوقف فكره عند مُحاوِره الثالث الذي يعيش في منزل شبه منفصل والذي طرده بلطف. بدا له إسم الرجل مألوفاً، لكنه لم يستطع أن يحدِّد سبب ذلك.

يدعى برنهارد.

برنهارد.

إنه متأكد أنه رأى أو سمِع هذا الإسم مؤخراً، لكنه لم يستطع أن يتذكَّر في أي سياق.

أقلعَ أخيراً عن إجهاد عقله، ومثلما يحصل معه في أغلب الأحيان قبل أن يأوي إلى السرير، راح يفكِّر بإرنا التي يفتقدها كثيراً. تذكَّر أمسيةً صيفيةً رائعةً معها، وبدا له أنه يكاد يشعر بحضورها في غرفة النوم عندما غفا فجأة.

– مَن هو؟ مَن هو ذاك الرجل؟ همَس صوتٌ في أذنه.

– لقد نسيتُ، رَدَّ. لا يمكنني أن أتذكَّر.

جالسةً بجانبه مرتديةً الفستان الخفيف الذي اشترته بُعيد لقائهما، وعطرها العذب برائحة الزهور والشمس، ورائحة الرمال الناعمة لخليج ناوثولسفيك يداعب مِنخَريه، أدار رأسه ونظَرَ إلى إرنا، وبدت يافعة وجميلة كالعادة في أحلامه.

– أنا متأكد أنني رأيتُ ذلك الإسم من قبل، قال. أعرفه، لكن لا يمكنني أن أتذكَّر... وأنا لا أدوِّن أي ملاحظات أبداً.

ابتسمت، فاقترب منها وأراد أن يداعب شفتيها، أن يشعر بدفئها عليه، أن يلمسها مرة أخرى.

– سامحيني، همَس. سامحيني...

فتَح عينيه، وعاد إلى الواقع الكئيب فجأة، ووجد نفسه مستلقياً على السرير البارد، ويده ممدودة على اللحاف، وأدرَك أنه حاوَل التقاط حلمٍ فرَّ منه إلى الأبد.

46

جالَسَ التوأمين في اليوم التالي، وأمضى جزءاً من ذلك السبت في مشاهدة مباراة كُرة قدم من الدوري الإنكليزي، ثم أخذهما في نهاية بعد الظهر ليأكلا الهمبرغر في مطعمٍ قبل أن يعيدهما إلى والديهما. أصرَّ عليه هوغو أن يتناول العشاء معهم، لكنه رَدَّ أن عليه العودة إلى المنزل. ثم زارته أخته بيتا بعد قليل، وبدت مكتئبةً.

– هل من سوء؟ سأل كونراد.

– لا شيء.

– هيا، قولي لي.

– حلَمتُ بأبي، قالت بيتا.

– حقاً؟

– ولا يعجبني هذا فهو ليس علامةً جيدةً أبداً.

– أبداً؟

– كان حلماً بغيضاً، وكنتَ أنت فيه. كنتَ معه. أخبِرني، ألا تضع نفسك في موقف خطر هذه الأيام؟

– لا تقلقي يا بيتا. أُقسِم لك أن هذا غير صحيح.

– كان بابا خلف المسرح الوطني، حيث اكتشَفوا جثة ذلك الولد خلال الحرب.

– حقاً؟

– كان هناك شخص آخر، شخص يختبئ خلفه. كان...

– ماذا؟

– كان محاطاً بمشاعر سيئة، قالت بيتا. شَعَرتُ كما لو أنه ينزف. لم أره حقاً، لكنني متأكدة أنه أنت. هل أنت متأكد أنك لستَ في خطر؟

– على الإطلاق، ولا داعي لأن تقلقي يا بيتا، كرَّر كونراد. حقاً.

– ألستَ على وشك أن تفعل شيئاً غبياً؟
– شيئاً غبياً؟
– نعم.
– بيتا...
– كنت تختبئ، كنتَ في الظلال.
هزَّ كونراد رأسه، وراحت بيتا تحدِّق به.
– هل أنت متأكد؟
– من الواضح أنني متأكد. ما هو الشيء الغبي الذي تريدينني أن أفعله؟
– أنتَ لا تُدرِك ذلك، لكن لديك الكثير من أبينا، ردَّت بيتا وهي تنهض.
– أعلم ذلك ولستِ مضطرةً أن تخبريني إياه يا بيتا.

استيقَظ وأشعلَ الضوء ليدخل الحمّام مثلما يفعل كل ليلة منذ سنواتٍ، ثم عاد إلى سريره وأراد أن ينام مرة أخرى عندما خطرت بباله فكرة سيئة بأن يفكِّر بما أخبَرته إياه بيتا. لقد بذل قُصارى جهده ليُخفي ذلك، لكن حلم أخته حرَّضه، واحتاج إلى بعض الوقت لكي يهدأ روعه بعد أن رحلت، والآن أُصيب بالأرق مرة أخرى.

راح يتشقلب على سريره مضطرباً ومتوتّراً، وفعل ما بوسعه ليستردّ رباطة جأشه، لكن بلا جدوى. الطريقة التي يستخدمها في معظم الأحيان هي أن يفكِّر بإرنا، لكنها لم تنفعه هذه المرة. وبينما كافَح ليعود إلى النوم، تذكَّر فجأة السياق الذي رأى فيه إسم برنهارد.

نهض وذهَب لينظر إلى اللائحة التي أعطاه إياها هولمستين والتي تتضمن أسماء فتيان الذين كانوا في الكشّافة في نفس الفترة تقريباً مع سيغورڤن.

وجَد أخيراً ما كان يبحث عنه.

برنهارد سكولي غودموندسون.

ثم أصبح من المستحيل عليه أن يعود إلى النوم.

أول مرة شارك فيها كونراد بجلسة مراقبة سرية، كانت الجنائية لا تزال تحت سلطة نائب ريكيافيك العام، وقد كُلِّف فيها مع زميله ريخاردور بالعثور على هارب مشتبه به بتهريب الشراب بمعاونة بحّارة على متن سفينة شحن، لكن عندما عاد ذلك الأخير إلى منزله تحت غطاء الليل، ثملاً تماماً، وجَدا صعوبة كبيرة في القبض عليه. منذ ذلك الوقت وكونراد يشارك في أغلب الأحيان في هذا النوع من العمليات حيث يحاول رجال شرطة جالسين في سيارة عادية القبض على أشخاص خارجين عن القانون. كانت جلسات المراقبة السرية تلك تدوم إلى ما لا نهاية ومُضجرة تماماً أحياناً، لكن التشويق الذي توفّره يُعدّ من صنف الأفلام ذات الميزانيات الصغيرة.

وجَد نفسه في هذه الحالة مرة أخرى، فقد أصبح معكّر المزاج ونعساناً وهو يراقب المنزل منذ بعض الوقت، لكنه لم يرصد أي حركة وبدأ يفكّر بالاقتراب بعد أن كان قد رَكَن بعيداً بين المركبات الأخرى المركونة في الشارع في محاولة منه لعدم لفت الانتباه. لم يعرف الكثير عن ذلك الرجل برنهارد الذي يعيش هنا، والذي هو الشاغل الوحيد للمنزل وفقاً للمعلومات المدَّونة في سجل السكان. وقد ذكرَ دليل الهاتف على الانترنت أنه ميكانيكي.

يُدرك كونراد أنه لا يملك الكثير بين يديه، فحتى لو تبيَّن أن هذا الرجل هو بالفعل برنهارد الذي كان في الكشّافة في الوقت نفسه مع سيغورڤن فإن حقيقة أنه شُوهد في السيارة مع زوجته في شارع سكولاغاتا ليلة وفاة ڤيلي لا تُثبت شيئاً.

الوقت يمرّ والشارع هادئ، فقد وَصَل كونراد عند الفجر بما أنه لم يتمكّن من أن يغفو مرة أخرى، ولم يجد في ذلك الوقت أي مركبة مركونة أمام المنزل، فاليوم هو الأحد وافترَض أن برنهارد يعمل في الليل. لقد أحضر معه إبريقاً عازلاً للحرارة ملأه قهوة وأعدّ شطيرتين قبل أن يخرج من المنزل، وتذكّر أن الرجل كان بلا شكّ عائداً إلى المنزل من عمله عندما رآه بعد الظهر قبل يومين. لكنه ربما لا يعمل،

وربما خرَج وقتها ليحتفل ولم يمضِ الليل في المنزل. ومن غير المستحيل أيضاً أن يكون قد ذهَب لتمضية عطلة نهاية الأسبوع في مكان ما.

مرّت الدقائق ببطء، وبدأ يسمع أجراس دار العبادة من بعيد، مما ذكَّره أنه لم يذهب إلى دار العبادة أبداً.

رضخ لحاجته أن يمطِّط رِجليه فخرَج من السيارة رغم أن هذا يخالف أبسط قواعد جلسات المراقبة السرية، واقترب من منزل برنهارد الذي يقع في نهاية صف منازل مزدوجة. واجهة المنزل تطلّ على الرصيف مباشرة، والحديقة المسوَّرة بعناية في الجهة الخلفية غير مرئية من الشارع.

عاد إلى سيارته، وجلس خلف المِقوَد، وأشغَلَ نفسه بمحاولة تذكّر كلمات الأغاني القديمة. لم تشكِّل الأغنية الأولى مشكلةً له... *لم يعد للسيارة سوى ثلاث عجلات، لكنها لا تزال تسير... ضباب الصحراء الكثيف يلاحقها، أسود كالليل، عاصفة البَرد جعلت المحرّك يسعل...* كما أتاه نص الثانية بسهولة... *بيوسي، بيوسي، بيوسي، زير النساء...* لكنه وجد صعوبة في تذكُّر كلمات *عيناك زرقاوان جداً...* ولم يستطع أن يتذكَّر إن كانت الأغنية تقول *عميقتين ونقيتين* أو *محبّتين ونقيتين*. ثم غفا فجأة.

عندما استيقَظ، لاحَظ وجود مركبة مركونة أمام المنزل، ثم خرَج برنهارد بعد لحظات، وركِب السيارة، وقاد نحو كونراد الذي اختبأ بأن استلقى على مقعد الراكب، ولم يبدُ أن برنهارد لاحَظه. انطلَق كونراد، واستدار بسيارته، وتبِعه.

توجَّه الرجل إلى شرق المدينة، ووَصَل إلى تلة أرتونسبريكا بسرعة، واستدار نحو منطقة الحِرفيين التي تحتها بالقرب من البحر، وراح يقود بجوار صفوف المتاجر ومرائب السيارات، وتوقف أمام ورشة عمل. رَكَن كونراد على مسافة خلفه، ورآه يدخلها، وكان بعيداً جداً ليقرأ اللافتة الصغيرة المعلَّقة فوق الباب، لكنه رأى في مرأب السيارات عدة قيثارات قديمة جيدة بما يكفي لتزوِّد قِطع غيار.

بقي برنهارد في الداخل لبعض الوقت، ثم خرج حاملاً غرضاً لم يعرف كونراد ما هو، ثم رَكِب السيارة وانطلق، لذا قرَّر الشرطي السابق أن يضع حدّاً لملاحقته.

سار نحو ورشة العمل العادية جداً تلك لولا كل الفوضى التي أمامها، لكنه فهِم السبب عندما قرأ اللافتة: إنها باحة خردوات، وهناك مُلصق إعلاني على

الباب يقول *قطع غيار من كل الماركات*، وكومة عجلات قديمة مبعثرة عند السور الذي يفصل مرأب السيارات عن المتجر المجاور، وبضعة أغطية عجلات صدئة ملقية على الأرض وفوقها مقعد أمامي لسيارةٍ، وبابان يتكئان على جدارٍ. حاوَل كونراد أن ينظر عبر لوحَي الزجاج القذرَين جداً للباب الصدئ بالكامل لمكتب باحة الخردوات.

جالَ بنظره في أرجاء المكان، واستقرّت عيناه على القماش السميك الباهت الذي كان أخضر ذات يوم والذي يغطي شكلاً مَهيباً في إحدى زوايا ورشة العمل، فاقترب وحاوَل أن يرفعه، لكنه وجده مثبّتاً بإحكام. نظر حوله ولم ير أحداً هناك ما عداه وبرنهارد في صباح ذلك الأحد، لذا بدأ يفكّ رباط القماش، ولم يكن ذلك سهلاً، فالعُقد مشدودة جداً بحيث يكاد يستحيل فكّها، ويبدو أنه لم يتم ربطها حديثاً. نجَح أخيراً في جعلها ترتخي.

رفعَ القماش بلطف كاشفاً عن جِيب واغونير قديم، أو بالأحرى ما بقي منه، فقد وُضع الهيكل على أسناد، وأُزيلت العجلات وأغطيتها، ومخفِّفَي الصدمات الأماميين وأحد مخفِّفَي الصدمات الخلفيين، ولم يبقَ سوى المِقوَد في مقصورة الركاب، فقد اختفت المقاعد ولوحة القيادة وعلبة التروس.مكتبة .. سُر مَن قرأ

سار كونراد حول المركبة، ولم يستطع أن يحدِّد سنة تصنيعها، لكنه شَعَر أن عمرها أقل من ثلاثين سنة. الواجهة الأمامية في حالة جيدة نوعاً ما بالمقارنة مع الباقي، فغطاء المحرّك لا يزال في مكانه، لكن المُخمِّدات والأضواء الأمامية أُزيلت، ويمكن رؤية المساحة التي ضمَّت المحرّك وخزّان محلول التبريد ذات يوم. استلقى كونراد، ومرَّر إصبعه خلف مكان ممتصّ الصدمات، واعتقد أنه رأى أثر جهاز مخصَّص لتثبيت رافعةٍ.

نهض، ووجد أن ورشة العمل لا تزال فارغة، لكنه استعجَل خوفاً من أن يعود برنهارد، فأخذ القماش ليغطي به الحُطام، ووقع نظره على غطاء المحرّك. مرَّر يده على السطح المنبعج والصدئ، وبقي يحدِّق لفترة طويلة باللون الباهت والممسوح بالكامل تقريباً.

لم يجرؤ أن يتلكأ أطول من ذلك فغطّى الحُطام محاولاً عدم ترك آثار كثيرة لزيارته. احتاج إلى بعض الوقت، لكنه عاد إلى سيارته وغادر المكان في النهاية.

في طريق العودة، تذكّر زيارته إلى ذلك الرجل وكيف أنه رنَّ الجرس وانتظَر قليلاً قبل أن يفتح له. بدا برنهارد الطويل القامة بنفس سنّ هجالتلين وسيغورڤن، وقد بدأ شعره يخفّ، وصدغاه يشيبان. وأظهرت ملامحه، وأنفه المستقيم والقوي، وشفتاه السميكتان أنه يعامل الغرباء ببرودة كبيرة في البداية، بناءً على طريقة استقباله الشرطي السابق، وأنه تحديداً، لا يعرف أي شيء على الإطلاق.

– برنهارد؟ استفسر كونراد.

– مَن أنت؟

– أريد رؤية برنهارد، هل يعيش هنا؟

– أنا برنهارد، ردَّ باضطراب.

– جئتُ إلى هنا لأمر خاص جداً. أنا مهتم بحادثٍ وقع في شارع ليندارغاتا...

– حادث؟ لستُ على علم بأي حادث.

– لستُ متفاجئاً فقد وقع منذ سنوات عديدة، ونعتقد أن جِيباً و...

– ما علاقتي بكل هذا؟ احتجّ برنهارد.

– أعمل لصالح أخت الضحية، وقيل لي إن الشرطة استجوبتك وقتها فقد مرَرت على مسافة قريبة جداً من مكان وقوع الحادث في ذلك الوقت.

– نعم، استجوبوني، لكنني لم أتعرَّض لأي حادث.

سأله كونراد إن كان يمكنه تأكيد أن زوجته كانت في المركبة التي كان يقودها.

– كانت معي، نعم، ردَّ برنهارد. لقد أخبَرتُ الشرطة كل هذا منذ سنوات.

– هل هي هنا؟

– نحن مطلَّقان.

– حسناً، أنا...

– لسوء الحظ لا يمكنني مساعدتك، قاطعه برنهارد وهو يهمّ بإغلاق بابه.

– هل لا يزال لديك الجِيب الذي كنتَ تملكه وقتها؟ استفسر كونراد.

– لا، عفواً لكن ليس لديَّ الوقت، ولا أعرف أي شيء عن هذه القصة، قال برنهارد مُنهياً الحديث.

راح كونراد يفكّر بالحُطام المخبأ تحت القماش. لا يعرف أي شيء عن ذلك الجِيب، لكنه قدَّر أن باحة خردواتٍ هي أفضل مكان للتخلّص من مركبة ضخمة.

مرَّ يوم الأحد بهدوء، وذهَب في المساء ليتناول العشاء مع إبنه. لاحَظ هوغو شرود ذهنه وسأله إن كان السبب هو التحقيق في قضية سيغورڤن، لكن كونراد تفادى الإجابة وقال إنه لا يريد أن يتأخر، ويرغب أن يأوي إلى السرير باكراً.

انتظرته ليلة طويلة ومضطربة، وعندما لم يستطع أن يغفو، حاوَل أن يركِّب القِطع المبعثرة للأحجية مثلما يفعل عادة، فبعد أن أنهكه هذا التحقيق المعقّد الذي قضَّ مضجعه لمدة طويلة، حاوَل أن يُنشئ روابط جديدة، أن يجد ثغرات جديدة، أن يكتشف العناصر التي فاتته أو أهمَلها أو أعطاها أهمية كبيرة. راح يحاول أن ينظر إلى مسار الأحداث من وجهة نظر كل أبطال الرواية، ويجهد ليفهم الدور الذي لعِبه كل واحد منهم ومصلحته من اختفاء سيغورڤن، ويحاول أن يكتشف العلاقات بين بعضهم البعض، والنقطة التي تلتقي عندها دروبهم.

راح يقلِّب هذه القصة في ذهنه إلى أن غلبه النعاس أخيراً، فغفا واستيقظ بعد بضع ساعات.

عندما حلّ النهار، ذهَب إلى منطقة الحِرفيين التي كانت قريبة جداً من منزله، على الجهة الأخرى من بولفار ڤستورلندسڤيغور، وركَن أمام باحة الخردوات، ورأى أن القماش الكبير الذي يغطي الحُطام لم يتحرَّك، لذا يبدو أنه أعاده إلى مكانه بشكل صحيح وبرنهارد لم يلاحظ شيئاً. وَجَد الباب الكبير مُغلقاً، لذا دفَع الباب الآخر الأصغر منه والموجود بجانبه مباشرة، واكتشف منضدة صغيرة تمنع الزبائن من دخول ورشة العمل. انتظَر بضع لحظات وهو يتأمل المستودع الذي تعمّ فيه نفس الفوضى التي تحيط الشركة. هناك رفوف تملأ الجدران وكلها محمَّلة بقِطع غيار من كل الأنواع، وأنابيب عوادم تتدلّى من السقف، والنوافذ في الجهة الخلفية لورشة العمل أصبحت غير شفافة من القذارة التي تراكمت عليها.

– مرحبا! صرَخ كونراد.

بما أنه لم يلقَ جواباً، انتظَر بضع لحظات ثم دارَ حول المنضدة، واكتشف زاوية

قهوة صغيرة، فدخلها لكنه لم يعثر على أحد هناك، بل عثر على مكتب صغير في جهتها الخلفية حيث استطاع رؤية حاسوب تعرض شاشته صورة جزيرة في البحار الجنوبية.

اقترب ونادى برنهارد.

– نعم، مهلاً لحظة!

ظَهَر مالك باحة الخردوات بعد قليل حاملاً قطعةً في يده، وواضعاً غطاء للأذنين حول عنقه، وتعرَّف عليه فوراً.

– ماذا تفعل هنا؟

– أريد التحدّث معك حول ذلك الحادث. أريد...

– لا أرى ما يمكنني أن أُخبرك إياه، وأكرِّر لك أنني لا أعرف شيئاً عن هذه القصة، لذا أرجو أن تتركني وشأني، رَدَّ برنهارد واستدار ليعود إلى المستودع.

– هل هو جِيبك القديم هناك تحت ذلك القماش الكبير؟

استدار الميكانيكي بسرعة.

– ارحل. ليس عندي ما أقوله لك!

– ألم تكن في الكشّافة في الوقت نفسه مع شخص يدعى سيغورڤن؟ هل يبدو إسمه مألوفاً؟

– اخرج!

اقترب برنهارد من كونراد بطريقة تهديدية كما لو أنه ينوي أن يطرده إذا لم يغادر من تلقاء نفسه.

– ربما سمِعت عنه، تابَع كونراد برباطة جأش وهدوء. الجميع على علم بهذه القصة، وقد تم العثور مؤخراً على جثة سيغورڤن على لانغيوكل.

تردَّد برنهارد، فقد ذكَرَ كونراد أولاً ذلك الحادث في شارع ليندارغاتا، والآن يُخبره عن العثور على الجثة على المُجلَّدة.

– آسف، لا أفهم، ردّ بحدّة.

– ألا تتذكَّر تعرّفك على سيغورڤن في الكشّافة؟

– مَن أنت؟!

– أعمل لصالح أخت رجلٍ دهسته سيارة منذ بضع سنوات في شارع

ليندارغاتا. أنا مُقتنِع مثلها أن هاتين القضيتين مرتبطتان ببعضهما.

– إذاً فأنت لست شرطياً؟ سأل برنهارد متحقِّقاً.

– لقد حقَّقتُ في اختفاء سيغورڤن، لكنني تقاعدتُ ولم أعد شرطياً.

حدَّق به برنهارد بفتور، وابتسم كونراد بتكلّف.

– هذا شيء يحصل للأفضل بيننا، أضاف.

– ليس لديَّ ما أقوله لك، ردَّ برنهارد دون أن يتأثر بفكاهته. لا أرى إلى أين تريد أن تصل بهذا ولا أعرف أي شيء.

– لقد رأى شاهدٌ رجلاً يدردش مع ڤيلي في مقصفٍ ليلة وفاته. كان ضحية الحادث يدعى ڤيلمار، أو ڤيلي للأصدقاء المقرّبين. ألا تتذكَّر اللقاء به؟ ألا يبدو إسمه مألوفاً؟

هزَّ برنهارد رأسه.

– ألم تتكلَّم معه عند المشرب؟

بقي برنهارد صامتاً.

– ولم تتبعه إلى شارع ليندارغاتا أيضاً؟

دار برنهارد حول المنضدة، وتابَع يتقدَّم نحو كونراد، وراح يدفعه إلى الخارج.

– لا أرى ما دخلك بأفعالي! صاح به وهو يفتح له الباب. اخرج! أنت مخطئ بيني وبين شخص آخر! راجع روايتك! إذا بقيتَ تضايقني هكذا، سأُبلغ الشرطة. لا أريد رؤيتك هنا مرة أخرى!

أصبح كونراد الآن في مرأب السيارات، وقد توقّع تقريباً ردّة الفعل هذه. وقف برنهارد متجهِّماً عند المدخَل، وأومأ كونراد نحو الركام تحت القماش السميك.

– كان رمادياً أو معدنياً في السابق، هل أنا مخطئ؟ سأل.

لكن برنهارد كان قد أغلق الباب من قبل، وعاد إلى ورشة عمله.

– لم تتخلَّص من الحُطام حتى الآن؟ تمتم كونراد قبل أن يعود إلى سيارته.

لا شيء صدمه في سلوك هذا الرجل خلال حديثهما الموجز ما عدا القذارة التي يعمل فيها والمفارقة التاريخية الغريبة في مظهره الجسدي. لقد فاته هذا التفصيل في لقائهما الأول. فرغم أن سنوات الديسكو ولّت منذ زمن بعيد، إلا أن برنهارد لا يزال يعتمد قصّة الشعر القصيرة من الأمام والطويلة من الخلف.

صحيفة سوابق برنهارد نظيفة، فهو لم يخالف القانون أبداً. الرجل مطلَّق وليس لديه أولاد، وتزوَّج في حوالي الأربعين من عمره، لكن ذلك الزواج لم يدم طويلاً، وكان الزوجان قد اشتريا المنزل الذي احتفظ به برنهارد بعد الطلاق والذي لا يزال يسكنه اليوم. كما أنه اشترى باحة خردواته قبل عدة سنوات من زواجه، وبناءً على المبالغ التي يصرِّحها لمصلحة الضرائب، فإن أعماله غير مزدهرة.

راح كونراد يفكِّر بالاحتمالات المتوفرة لديه، وأدركَ أنه يحتاج إلى معرفة المزيد عن ذلك الرجل قبل أن يُخبر مارتا أو يعود لزيارته، وإلا فقد يطرده مرة أخرى. لا يخشى أن يعرف برنهارد إن بدأ بطرح بعض الأسئلة عنه هنا وهناك، لإنه إن لم يكن ذلك الرجل مرتاح الضمير، فقد يُصاب بالذعر ويرتكب أخطاءً ستكشف عنه القناع في نهاية المطاف.

قرَّر أن يزور زوجته السابقة جوهانا التي اكتشَف بعد بعض البحث والتدقيق أنها تعيش في المساكن الشعبية في مقاطعة إيفرا-برايثهولت، في أعلى التلة التي تحمل نفس الإسم، لذا ركِب سيارته وركَن عند أسفل مبنى متهدِّم أصبح أزرق واجهته باهتاً تماماً، ويمكن رؤية آثار صدأ تحت قضبان الشرفات، وقد نخر الدود أطر النوافذ.

وَجَد باب السُلَّم مفتوحاً، لذا رنَّ كونراد على أحد الأبواب في الطابق الأول، وعندما لم يسمع ضجةً في الشقة، رنَّ جرس الباب مرة أخرى. يبدو أنه لا يعمل، لذا قرَع على الباب، ثم قرَع مرة أخرى بعد انتظار طويل. سمِع أخيراً ضجةً في الشقة، ثم سعالاً، ثم فُتح الباب.

ظَهَرت امرأة ضخمة مُهمَلة ذات شعر أشعث على العتبة بدت في الستينات من عمرها، وراحت تحدِّق بالغريب بنظرات مرتبِكة كما لو أنها لم تعد تتوقع أن يزورها أحد حتى نهاية حياتها.

– صباح الخير، قال كونراد.

– مَن أنت؟ رَدَّت بوحشية.
– كونراد. إنني أجمّع معلومات عن برنهارد، زوجك السابق.
– برنهارد؟ أنت تجمّع... ماذا؟
– معلومات.
– معلومات؟ ماذا تقصد؟ أي نوع من المعلومات؟
شَعَر كونراد أنه أيقظها من النوم.
– كنتما متزوجين، أليس كذلك؟
– مَن أنت؟ كرَّرت جوهانا بصوت حنون قليلاً.
– أودّ أن أسألك بعض الأسئلة عن برنهارد، إذا لم يكن لديك مانع.
أشفَق على هذه المرأة الرثّة، وأراد مساعدتها، لكنه لم ير كيف.
– الأمر يتعلّق بحادث وقع في شارع ليندارغاتا منذ عدة سنوات، حيث صدمت سيارةٌ رجلاً.
– حقاً؟ رَدَّت جوهانا. أي حادث؟
– لقد دُهس شابٌّ ومات، وأنا أعمل لصالح أخته. هل يمكننا أن ندردش قليلاً؟
– هل يعرف برنهارد أنك هنا؟
– برنهارد؟ لا.
بقيت جوهانا تحدِّق به.
– هل ذهبتَ لرؤيته؟
– يرفض التحدّث معي، رَدَّ كونراد.
تردَّدت جوهانا لبضع لحظات.
– اتبعني! قالت.
عادت إلى شقتها تاركةً الباب مفتوحاً، فدخَل كونراد وأغلقه وراءه.
– عذراً على الفوضى.
حاوَلت جوهانا أن تعيد وضع بضعة أشياء في مكانها وهي في طريقها إلى غرفة الجلوس، لكنه مجرد تجميل شكلي فقط، فنادراً ما رأى كونراد هكذا مكان قذر رغم خدمته الطويلة في الشرطة حيث شهِد شتى أنواع الأمور. الشقة

بأكملها عبارة عن كومة ملابس وزينة رخيصة، صناديق وصحف، أثاث وأدوات مائدة، صفائح وأوعية قذرة، وأكواب وقوارير شراب فارغة. خنقته رائحة الرطوبة، فراح ينظر حوله وهو يفكّر ببرنهارد قائلاً لنفسه إنه إذا تطلَّق هذان الشخصان لأنهما لامَا بعضهما على قلّة النظافة، فالجريمة مشتركة بينهما تماماً!

تردَّد في أن يشق طريقه عبر هذا الركام ويُزعج جوهانا أكثر من الضروري، لذا زرع نفسه عند باب غرفة الجلوس.

– لا أجد أبداً الوقت الكافي لترتيب المكان، شرَحت له.

– إنه من الأمور التي غالباً ما نُهملها، رَدَّ كونراد.

– دعني أُخبِرك أنني لستُ وبرنهارد صديقين كثيراً، قالت وهي تتنهَّد. لا أعرف كيف تحمَّلتُه كل تلك السنوات، ولم أتردَّد في إخباره ذلك بين الحين والآخر، لكنه لم يكن يُصغي لي. لم يصغِ إلى أي شيء أبداً. كان مكتئباً... حسناً، أظن في النهاية. لا ينطق أحياناً أي كلمة لعدة أيام إذا فعلتُ شيئاً لم يعجبه، فيحرَد ولا يعود يكلِّمني لعدة أيام، وأحياناً لأسابيع حتى. مَن يمكنه أن يتحمَّل ذلك لمدة طويلة؟ لا أحد. لا أحد يمكنه أن يتحمَّل هكذا أمور.

– هل كان يثمل؟

– نعم، وهذا أيضاً. لكنه تعالجَ وأعتقد أنه لم يلمس الشراب منذ ذلك الحين.

– هل كان يمضي الكثير من الوقت في المقاصف؟

– ليس بشكل خاص، بل يذهب إلى هناك بشكل رئيسي لمشاهدة مباريات كُرة القدم، فقد كان بخيلاً جداً ليشترك بقنوات الرياضة مع أنه يحبّ كُرة القدم، لكنه لم يرغب أن يدفع من أجلها، لذا... غالباً ما كان يذهب لمشاهدة المباريات في المقاصف، كما أن ذلك شكَّل له عذراً ليحتسي الشراب. ظننتُ أنت تعمل لدائرة الخدمات الاجتماعية. هم الذين أرسلوك، أليس كذلك؟

– لا، جئتُ فقط لأسألك بعض الأسئلة عن ذلك الحادث.

– آه نعم، ذلك الحادث، صح.

– فهِمتُ أنك كنتِ معه.

نظرَ كونراد بتمعّن إلى شقة هذه المرأة الأشبه بصفيحة نفايات.

– هل تريدينني أن أتصل بدائرة الخدمات الاجتماعية لمساعدتك؟ قال مقترحاً،

وشَعَر أن جوهانا ضائعة إلى حد ما. ربما تحتاجين إلى بعض الدعم؟

– لا، أنا في حال جيدة جداً. أحتاج إلى القيام ببعض التنظيفات فقط.

– هل تفاجأتِ أن برنهارد خضع للعلاج؟

– لم أتفاجأ بناءً على ما كان يشربه. من جهة أخرى، أخذه فجأة.

– تقصدين تلك الفكرة؟

– نعم، كان قراراً مفاجئاً.

– يدّعي برنهارد أنه لا يعرف شيئاً عن ذلك الحادث، ولم يتقدَّم عندما دعت الشرطة كل شاهد محتمل ليدلي بإفادته، لكن شخصاً رآه يقود في الحي، وقال إنكِ كنتِ معه.

– نعم، أكّدت جوهانا.

– ولم تتعرَّضا لحادثٍ؟

– لا.

– هل يعيش لوحده منذ طلاقكما؟

– نعم.

– هل ترينه؟

– لا. لا يوجد أي تواصل بيننا، وبالكاد رأيتُه مرة أخرى... منذ... حسناً، لم نُخلَق لبعضنا البعض، وليس لدينا أولاد.

– هل أخبركِ عن الفترة التي أمضاها في الكشّافة؟

– الكشّافة؟ لا. من جهة أخرى، يحدث أن يتصلوا به.

– مَن الذي يتصل به؟

– المُنقذون البحريون...

– هل كان واحداً منهم؟

– نعم، لكنه توقَّف.

– وسيغورڤن؟ هل ذكرَ برنهارد إسمه في أحاديثكما؟

– سيغورڤن؟

– إسمه تصدَّر عناوين الأخبار مؤخراً. إنه الرجل الذي عُثر على جثته على لانغيوكل.

بدت جوهانا مذهولةً كما لو أن كونراد صفعها.

– آه، ذلك الرجل؟ هل كان برنهارد يعرفه؟!

– كانا معاً في الكشّافة، لكن لفترة قصيرة فقط، رَدَّ كونراد.

– حقاً؟ لم أكن أعرف ذلك.

– ألم يُخبرك برنهارد عن ذلك أبداً؟

– لا، وهذا يفاجئني. لم أكن أعرف.

– هل كان مرتاحاً عندما كنتِ تعيشين معه؟

– مرتاحاً؟

– أقصد مادياً.

– كان بخيلاً مثل الجميع، وهذا مؤلم، لكن الآن وقد قلتُ ذلك، لم يكن معه الكثير من المال أبداً، وكان يملك باحة الخردوات تلك من قبل وأعماله لم تزدهر أبداً. عمِل بإصلاح السيارات أيضاً، طبعاً في الظلام، وكان المردود جيداً، أفضل من بيع قِطع الغيار على كل حال.

كانت جوهانا قد أمضت وقتها تتكلّم مُخفِضةً عينيها، لكنها رفعت رأسها الآن وراحت تنظر إلى كونراد بفضول.

– هل هو متورِّط؟ سألت.

– متورِّط، كيف ذلك؟

– في هذه القضية مع سيغورڤن.

هزَّ كونراد رأسه.

– لا أعرف.

– لماذا تسألني إن كان معه أي مال؟ أين تعتقد أنه كان يُفترَض به أن يجده؟

– إنه مجرد سؤال، طمأنها كونراد.

– عذراً على هذه الفوضى، كرَّرت جوهانا بعد صمت. يجب أن أقوم ببعض التنظيفات. أنا فقط... لا أجد الوقت الكافي أبداً.

– ربما يمكنني العودة لاحقاً، اقترَح كونراد على افتراض أنها تحتاج إلى بعض الوقت لتستوعب هذه الزيارة غير المتوقعة، وربما قد تتبادر بعض الأمور إلى ذهنها. هل كان لدى برنهارد الكثير من الأصدقاء؟ أضاف وهو يستعد للرحيل.

– لا، لا يمكننا القول إنه كان لديه ما نسمّيهم أصدقاء. جاء بعض معارفه إلى عرسنا البسيط في دار البلدية، وهو ليس لديه الكثير من الأقارب. لم ير أي شخص ما عدا اليوم الذي ذهَب فيه إلى مدرسته القديمة ليشارك في لمّ الشمل السنوي حيث التقى هناك برفاقه القدامى. كان لديَّ بضعة أصدقاء، لكنه لم يرغب أن يتعرَّف عليهم.

تراجَع كونراد نحو الباب، وفهِمت جوهانا أنه سيرحل.

– لم تسألني عن الخيانات؟ تساءلت.

– الخيانات؟

– حسناً، خياناته!

– هل خانك برنهارد؟

– هذا ما شككتُ به دائماً، رَدَّت جوهانا.

– حقاً؟

– سألتُه ذلك في عدة مناسبات، لكنه أنكرَ دائماً.

– ما الذي جَعَلك تعتقدين أنه ليس مخلصاً لك؟

– المرأة تعرف هذا النوع من الأمور، فحدسنا لا يخدعنا.

– هل لمَّح إلى أنه يخونك؟

– لا. لم يقل أي شيء أبداً، بل كان مكتئباً جداً، ولم أفهم السبب. دائماً جاداً جداً ومُضجِراً.

– لكنك سألتِه السؤال؟

– نعم، هذا ما قلتُه لك للتو، وبقي يردّ عليَّ أن أصمت، فاستسلمتُ في النهاية، وتركتُه. هذا الرجل لا يساوي شيئاً على الإطلاق.

– ولا تعرفين مَن كان يواعد؟

– كانت هناك دائماً فتيات يتصلن به، ويدّعي أنهن يكلّمنه لشراء قِطع غيار. أعتقد أن المسألة بدأت بعد لقاء لمّ الشمل ذاك في المدرسة.

– هل تعرفين مَن كانت تلك النساء؟

– لا. من الواضح أنه لم يعرّفهن عليَّ! أنتَ لا تصدّقني؟

– بلى، أكَّد لها كونراد. هذا ليس أمراً استثنائياً.

– استثنائياً؟ ماذا تقصد؟

– الكثير من الأشخاص يخونون شريك حياتهم.

– نعم... وذات يوم... اتصلت إحدى تلك السافلات بهاتفه الخلوي فأجبتُها أنا، لكنها أغلَقت الخط عندما سمِعت صوتي. بَحَثتُ عن رقمها على الانترنت، وسألتُه مَن هي تلك العاهرة، فرَدَّ أنها اتصلت به لأنها تبحث عن قِطعة غيار.

– هل تتذكَّرين إسمها؟

– إسم مَن؟

– تلك المرأة التي اتصَلت ببرنهارد.

– نسيتُ، مع أنه بقي راسخاً في ذاكرتي لمدة لا بأس بها... إسمها... آه... إسمها من كتاب الحِكم القديمة. نعم، إسمها مأخوذ من كتاب الحِكم القديمة.

كان الليل قد بدأ يحلّ عندما رَكَن كونراد على مسافة من باحة الخردوات، ولاحظ أن الزبائن قليلون، فخلال الساعتين اللتين أمضاهما في مراقبة المكان إلى أن أغلق أبوابه، لم ير إلا ثلاثة أشخاص يدخلون، وواحد فقط خرج ومعه الغرض الذي جاء يبحث عنه. يوفّر الناس الكثير من المال عند شرائهم من باحات الخردوات، وقد اختبر كونراد ذلك بنفسه عندما تعطّل ذات يوم جهاز استشعار عديم الجدوى في جِيبه، وقيل له لدى الوكيل إن التصليح سيكلّفه عشرات آلاف الكرونات. ما كان ليغيّر جهاز الاستشعار ذاك أبداً لو أن ضوء تحذيرٍ لم يُضأ على لوحة القيادة ورفض أن ينطفئ، لذا بعد اتصاله بعدة باحات خردوات، وجَد أخيراً القِطعة الصحيحة ولم تكلّفه إلا بضعة آلاف الكرونات فقط، وبالتالي فإن برنهارد يقدِّم خدمةً جوهريةً ولو أن هذا النوع من الأعمال ليس مُربحاً جداً.

خرَج برنهارد مرةً واحدةً ليدخِّن سيجارةً ويشرب القهوة من كوب بلاستيكي، وبقي كونراد يراقبه من بعيد، ورأى أنه يرتدي بذلةً بدا من الواضح أنها لم تُغسَل في الغسّالة أبداً. ثم مع اقتراب موعد الإغلاق، انطفأت الأضواء في ورشة العمل، وخرَج مرة أخرى حاملاً بيده إبريق قهوة عازلاً للحرارة وصندوق غداء، وأغلق الباب بعناية، وتوجَّه إلى سيارته مباشرة، وانطلق.

ذهَب إلى منزله مباشرة دون أن يلاحظ أن هناك مَن يتبعه، ورَكَن كونراد مرة أخرى على مسافة جيدة خلفه، وبقي جالساً في سيارته. لم يعرف ما الذي يتوقعه بالضبط، لكنه تساءل عما إذا كان برنهارد قد اختصر يوم عمله أم لا، فالساعة بالكاد السادسة. ربما اعتقَد أنه لن يُجري أي عملية بيع إضافية اليوم. راح كونراد يستمع إلى الإذاعة الوطنية، لكنه سرعان ما توقف عن التركيز على البرنامج الثقافي الممل جداً الذي يتم بثه، وبدأ يبحث عن محطة تبث الموسيقى الآيسلندية. بقي يراقب المنزل لبعض الوقت، ثم قرَّر أن هذا كافٍ في الوقت الحاضر.

مرَّ في طريق عودته بجانب المدرسة التي قالت جوهانا إن برنهارد تعلَّم فيها، ورأى أن العديد من الأشخاص يركنون سياراتهم في الشوارع المحيطة بها، ويدخلون عبر الباب الرئيسي للمبنى المُضاء، فافترَض أنهم أتوا لحضور اجتماعٍ للأهالي، وقرَّر أن يغتنم الفرصة ليلقي نظرةً.

لقد أمضى بعد الظهر وهو يفكِّر بكلمات جوهانا عن تلك المرأة التي تحمل إسماً مأخوذاً من كتاب الحِكم القديمة والتي حاوَلت الاتصال ببرنهارد، وشَعَر أن جوهانا مقتنعة أن زوجها السابق يواعدها في السر وأنها عشيقته.

وَجَد أن الاجتماع على وشك أن يبدأ عندما دخل القاعة، وقد أعَدّوا بعض الكراسي أمام منصة صغيرة وقف عليها رجلٌ يرتدي بذلةً ويتصارع مع ميكروفونٍ. الأرجح أنه ناظر المدرسة. ربَّت عليه ليتحقّق من أنه يعمل، وتفحَّص الأسلاك، وربَّت عليه مرة أخرى بينما راح الأهالي، وأغلبهم من النساء، يجلسون على كراسيهم ويدردشون مع بعضهم البعض.

راح كونراد يستكشف الأروقة، ورأى أنه تم تكبير المؤسسة عدة مرات وأُضيفت ممرات طويلة تربط المباني الجديدة بالمبنى القديم، وأن أعمال الطلاب التي تزيِّن جدران غُرف التدريس المفتوحة تُظهِر امتلاكهم قدرات فنية جيدة إلى حد ما. لقد حاوَل إبن كونراد، الموهوب بالفطرة في هذا المجال، أن يعلِّم أباه الرسم، لكنه لم يحقِّق نجاحاً كبيراً، رغم أنه أصبح قادراً على رسم السيارات إلى حد كبير، وقد أصرَّت إرنا على الاحتفاظ بكل تلك الرسوم التمهيدية.

جدران المبنى القديم مزدانة بصور مؤطَّرة بشكل أنيق تم التقاطها خلال السنة الدراسية الأخيرة للطلاب، وقد اصطفوا فيها في صفّين أو ثلاثة صفوف، ويعود تاريخ بعضها إلى عدة عقود خلت، وتاريخ بعضها الآخر إلى مؤسِّس المدرسة، وهي شاهدة على تطوّر الملابس وتسريحات الشعر، من تسريحة الشعر الطويل الكلاسيكية لفريق البيتلز إلى الموضة العشوائية لهذه الأيام. كما تُظهر بعض الصور شابّات أكثرن من الماكياج وربطن شعرهن على شكل كعكة مُجعَّدة.

احتاج كونراد إلى بعض الوقت لكي يفهم تراتبية كل تلك اللقطات، ووَجَد أخيراً الصور السوداء والبيضاء الأربعة لسنة برنهارد الدراسية الأخيرة، والذي تعرَّف عليها بكل سهولة. كانت تُظهر الأولاد يبتسمون للمصوِّر الفوتوغرافي دون أن

يتخيَّلوا أن تلك اللحظة ستُحفَظ في الذاكرة ما دامت المدرسة موجودة، أو أنه يمكنهم بالتالي العودة إليها لكي يغوصوا في عالم طفولتهم متى شاءوا.

لم يتغيَّر شكل برنهارد كثيراً منذ ذلك الوقت. ها هو يقف في منتصف الصف العلوي، طويلاً ونحيلاً، وشعره يصل إلى كتفه والفرق في وسطه، ويرتدي كنزة ذات مربعات، ويبتسم مثل رفاقه لا شكّ بسبب نكتةٍ قالها لهم المصوِّر.

لقد أخبَرت جوهانا كونراد أنه ذهَب إلى حفلةٍ لصفّه المدرسي القديم، لذا فقد رأى كل أولئك الأشخاص مرة أخرى بعد سنوات عديدة.

رنَّ هاتف كونراد وهو ينظر إلى الصور لوحده في الرواق. إنها مارتا.

– لم أسمع منك منذ فترة طويلة، قالت. ماذا تفعل؟

– أمر غير مهم كثيراً. وأنتِ؟

– مثلك أيضاً، لكن لا يمكنني التوقف عن التفكير بمفاتيح تلك السيارة.

– مفاتيح أي سيارة؟

– جِيب سيغورڤن. أتساءل لماذا لم تكن معه. يجب أن يكون هناك سبب لذلك، إلا إذا سقطت من جَيبه فحسب.

– ما هو التفسير الصحيح برأيك؟

– كان قاتله ينوي أخذ الجِيب إلى المُجلَّدة أيضاً.

– هذا ممكن.

– هل ترى تفسيراً آخر؟ سألت مارتا.

– حسناً، من غير المستحيل أن يكون القاتل أرادنا أن نصدِّق أن سيغورڤن ذهَب إلى المُجلَّدة ومات هناك، رغم أنه لم يكن يرتدي ملابس مناسبة للبرد.

– هناك شيء غير واضح في كل هذا، قالت مارتا. فقد تُرك الجِيب في مكانٍ والجثة في مكان آخر، وهذا عمل رديء، على حد قولك.

– ربما حالة الطقس هي التي قرَّرت ذلك، ردَّ كونراد. فقد هبَّت عاصفة عنيفة على المُجلَّدة بُعيد ذلك، وربما لم يستطع قاتله، أو قتلته، تنفيذ خطتهم بأكملها.

تابَع كونراد يحدِّق بصورة الصف المدرسي، وقد أثار وجهٌ آخر اهتمامه فجأة، وجه فتاة يافعة جداً جالسة على الأرض في الصف الأمامي. كانت الوحيدة التي لا تبتسم وتنظر بجدّية إلى المصوِّر. هذا أجفل كونراد رغم أنه لم يكن متأكداً

بالكامل من هويتها.

أكملت مارتا تتكلّم على الطرف الآخر للخط، لكنه لم يعد قادراً على سماعها فقد تذكّر ما أخبَرته إياه جوهانا عن تلك المرأة التي اتصلت ببرنهارد قائلة إنها تبحث عن قطعة غيار، تلك المرأة التي تحمل إسماً مأخوذاً من كتاب الحِكم القديمة والتي نسيته جوهانا تائهاً في أبخرة الشراب، والتي كانت مُقتنِعة أنها عشيقة زوجها.

– ... نعم، عمل رديء، ألا تعتقد ذلك؟ سألت مارتا.

لم يرفع كونراد عينيه عن الصورة.

– هذا صحيح، وافَقها الرأي وذهنه شاردٌ في مكان آخر، عمل هواةٍ.

استأذن من مارتا بجفاء نوعاً ما، وأسرعَ في الخروج من المدرسة وهو يشعر أنه غير قادر على الانتظار إلى الصباح التالي، وذهَب إلى حي إيفرا-برايثهولت مباشرة ليزور جوهانا ويحاول تأكيد شكوكه قبل أن يقرِّر خطوته التالية. وَجَد حركة المرور أقل زحمة عند منتصف المساء، لكن نفاد صبره دفعه إلى القيادة بشكل متعرّج بين السيارات، وحتى وصل به الأمر إلى تخطي إشارةٍ حمراء.

في طريقه إلى هناك، راح يراجع ما يعرفه عن سيغورڤن، وخاصة ما لا يزال لا يعرفه رغم سنوات التحقيق والعمل الشاق، ورغم جلسات الاستجواب التي لا تُعدّ ولا تُحصى لأشخاصٍ من كل مشارب الحياة الذين كانوا يعرفون سيغورڤن وهجالتلين معرفةً عميقةً أو سطحيةً. لقد أدى اكتشاف الجثة على المُجلَّدة إلى تضييق نطاق البحث، لكن كونراد كان مقتنعاً أنه لو لم يلقَ ڤيلي، الذي لم يلتقِ به أبداً، ذلك المصير المأساوي، لما قاده التحقيق أبداً إلى المسار الذي يستكشفه في الوقت الحاضر.

راح يفكّر ملياً بباحة الخردوات القذرة وفَشَل زواج برنهارد، والكشّافة، والولد في صورة الصف المدرسي، والمُنقذين البحريين، وسيغورڤن والمبلغ الكبير الذي عُثر عليه في مطبخه، وعِناد هجالتلين غير المعقول، وطبيعة الأمور التي شارك فيها سيغورڤن، والأسباب التي جعلتها كلها تنتهي بشكل سيئ جداً.

أخذ يقيس مدى تأثير هذه القضية على وجوده، وكم أنها شكّلت شخصيته دون أن يُدرك ذلك بالكامل، وراح يتمعَّن في العواقب التي فرضها هذا التحقيق الفاشل على مهنته والتسريح الذي سبَّبه مشكِّلاً إحدى المرات النادرة التي فَقَد فيها أعصابه.

هزَّ رأسه وهو يشتم نفسه، وأطلق بوق سيارته للمركبة التي أمامه عندما أبطأت في الانطلاق بعدما أصبحت الإشارة خضراء. لطالما ندِم على ما حصل، وقد سأله زميله ريخاردور إن فَقَد عقله، وهو أمر لا شكّ فيه، حيث أنه خرَج إلى

الباحة التي خلف المخفر ليُحضر رافعةً من جِيبه قبل أن يعود مُسرعاً إلى زنزانة السجين ليضربه بها، لكن زملاءه منعوه عبر تثبيته أرضاً إلى أن هدأت أعصابه، ثم أُرسِل إلى منزله.

لم يكن لدى كونراد أي عذر ليفعل ذلك رغم أن السجين نطحه برأسه كاسراً له أنفه ومسيِّلاً له الدم على وجهه، ورغم أنه شتمه بقسوة وراح يهدِّد عائلته، ورغم أنه سخِر من تحقيقه في اختفاء سيغورڤن وأخبَره أنه أسوأ مهرِّج في كل الشرطة اللعينة.

ورغم أن ذلك المعتقَل كان يدعى هجالتلين.

فمن المفترض أن يأخذ كونراد كل ذلك ببرودة أعصاب، لكن غضبه ثار.

ثار تماماً.

كان قد تم اعتقال هجالتلين للقيادة تحت تأثير الشراب ذات مساء قُبيل احتفال الشتاء، وقد سبَّب الكثير من المتاعب لرجال الشرطة الذين وضعوه في زنزانة إلى أن يصحو من ثمالته، وأخضعوه لفحص دم كشفَ أن منسوب الشراب في دمه مرتفعٌ، وقد علِم كونراد في الصباح التالي عندما أتى إلى العمل أن هجالتلين أمضى ليلته في الزنزانة. لم يكن قد رآه منذ فترة طويلة وخطرت بباله فكرة سيئة بأن يزوره، وفهِم فوراً أن الليل لم يكفِ ليصحو السجين من ثمالته، وأنه لا يزال حانقاً من الطريقة التي عاملته بها الشرطة، وأهانه باتهامه أنه دمَّر له حياته.

– سأقتلك أنت وعائلتك اللعينة، أيها الغبي المشلول! صاح هجالتلين في ذورة مشادّتهما.

– اصمت! صاح كونراد.

كان الرجلان وجهاً لوجه في الزنزانة الضيقة، والتوتّر الذي تراكم بينهما على مرّ السنوات أوشكَ أن ينفجر.

– سأقتلهم أيها الحقير! سأقتل زوجتك الطيبة وإبنك!

– إذا كنتَ...

لم يتسنَّ لكونراد أن يُنهي جملته فقد باغته الهجوم حيث نطحه هجالتلين برأسه بعنف، وراح كونراد يصرخ من الألم الرهيب، واغرورقت عيناه، وشَعَر بالدم يغطي وجهه. ثم دفعه هجالتلين نحو جدارٍ، وأخذ يحاول أن يخنقه من حنجرته

وهو يهدِّده بقتله، ثم رماه أرضاً وبقي يركله إلى أن تدخَّل حارسٌ.

استشاط كونراد غضباً، وبالكاد يتذكَّر اللحظة التي خرَج فيها ليُحضر الرافعة من جِيبه، ويعود في اللحظة التالية ليهاجم هجالتلين الجالس في رواق الزنازين ويديه مكبَّلتين خلف ظهره. لوَّح رافعته مصيباً الجدار بجانب السجين مباشرة، وسقطت بعض قِطع الأسمنت على الأرض، ولم يتسنَّ له الوقت ليسدِّد ضربة ثانية قبل أن يثبّته زملاؤه على الأرض.

لم يتقدَّم هجالتلين بشكوى، ولم يتَّهمه كونراد بتحقير ضابطٍ أو بتهديد عائلته، وأمضى معظم إجازته في السويد مع إرنا التي بقيت تريد منذ بعض الوقت أن تعود إلى ستوكهولم التي أكمَلت فيها تخصّصها، وقد وجَدت عملاً في مستشفى كارولنسكا، وغادرا آيسلندا في نهاية فبراير، ولم يعودا إلا في الخريف. ثم بعد سنة، تُوفِّيت إرنا وتقاعد كونراد.

رَكَن أمام المبنى في حي إيفرا-برايثهولت، وتنهَّد تنهيدةً عميقةً وهو يتذكَّر كيف انقضَّ على هجالتلين فجأة. شَعَر أن المبنى يبدو شبحيّاً أكثر عند الغسق، ورأى ضوءاً في نوافذ جوهانا، وأملَ أن يجدها في منزلها. صعِد السلالم كل أربع درجات معاً، وقرَع على الباب وقد انقطعت أنفاسه. لم يسمع ضجةً في الشقة، لذا قرَع مرة أخرى بشكل أقوى، ووضع أذنه على الباب، وراح ينتظر بفارغ الصبر، وكان على وشك أن يقرع للمرة الثالثة عندما فتَحت جوهانا الباب أخيراً وبدت مهزومةً وقذرةً أكثر حتى مما كانت عليه في زيارته الأولى.

– ما هذه الضجة؟ سألت وهي تضيِّق عينيها كما لو أنها استيقظت للتو.

– أريد أن أسألك بعض الأسئلة الإضافية عن برنهارد و...

– مَن أنت؟ وما معنى أن تقرع على أبواب الناس هكذا؟

– إسمي كونراد، وقد زرتُك سابقاً. اعذريني لكن...

– لقد عدتَ؟ ماذا تريد أيضاً؟

– اعتقَدتُ أنه ربما يمكنني مساعدتك على تذكُّر إسم تلك المرأة التي اتصلت ببرنهارد ذات يوم بحجّة أنها تحتاج إلى قطعة غيار.

حدَّقت به جوهانا كما لو أنها لم تفهم قصده.

– لقد أخبَرتني أنه واعَدَ نساء أخريات.

– ألا تفضّل الدخول؟ لا يمكنني مناقشة هكذا أمور على الدرج. قلتَ إن إسمك كونراد؟

بدا أن جوهانا عادت إلى رشدها.

– بالضبط.

للمرة الثانية ذلك اليوم، تبَع زوجة برنهارد السابقة إلى شقتها المثيرة للإشمئزاز وأغلق الباب خلفه. لم تنظّفها جوهانا منذ زيارته الأولى، وارتمت بقوة على نفس الكرسي.

– إسم هذه المرأة؟ قالت.

– ألم تتذكّريه؟

– حاوَلتُ تذكّره بعد رحيلك.

– قلتِ إن إسمها مأخوذ من كتاب الحِكم القديمة.

– نعم.

– إذاً، هل تذكّرته؟

عبست جوهانا، وانتظَر كونراد الجواب الذي فضَّل أن يسمعه من فمها. بقي ينتظرها بفارغ الصبر، لكنها لم تنطق بكلمة.

– ألم يكن إسمها سالومي؟ قال مقترحاً.

أضاء وجه جوهانا.

– آه نعم، أعتقد هذا، رَدَّت. يبدو لي أنها كانت تدعى سالومي. قال برنهارد إنه لا يعرفها وإنها مجرد زبونة تريد شراء بعض قِطع الغيار.

– هل أنت متأكدة؟

– نعم، إسمها سالومي. لقد تذكَّرتُ الآن.

نظَرَت جوهانا إلى كونراد بعينَي كلب مُنهَك، وفهِم أنها تفكِّر.

– هل تريدين أن تسأليني سؤالاً؟ سألها.

– أخبَرتني سابقاً أن... تركت جملتها معلّقة.

– أن...؟

– أن برنهارد كان يعرف سيغورڤن.

– نعم، تعرَّفا على بعضهما عندما كانا صغيرين.

– هل تعتقد أنه أذاه؟
– لا أعرف، لكن هذا ليس مستحيلاً، رَدَّ كونراد.
– هل قَتَله؟
– لا أعرف.
– ماذا بشأن ذلك الفتى في شارع ليندارغاتا؟
– هذا ما أحاول معرفته. كنتِ معه في السيارة، وأنتِ في وضع أفضل مني لمعرفة الجواب.
– بالطبع، وافَقته جوهانا الرأي، بالطبع، ما عدا...
– ما عدا ماذا؟
– في النهاية، أنا لا أَدين لذلك الرجل بشيء.
– تقصدين برنهارد؟
– هل تعتقد أنني أَدين له بشيء؟
– لا أدري...
– إنه مجرد كذّاب قذر.
– ماذا تقصدين؟
– لقد عامَلني كأنني ممسحة، وعليَّ فوق ذلك أن... أن أكذب لصالحه.
– أن تكذبي؟ بشأن ماذا؟
استوت جوهانا جالسةً على كرسيها.
– اتصل بي ذات يوم وطلب مني أن أقول إنني كنتُ معه في السيارة في ليلة لا أعرف متى كانت. ولم أُخبر أي شخص عن هذا أبداً!
لم يكن كونراد متأكداً أنه فهِم بشكل صحيح.
– هل طلبَ...؟
– نعم، لكنني لم أكن معه.
– أرادك أن تكذبي؟
– بالضبط، فقد أتت الشرطة لتستجوبه بشأن حادثٍ، وقد أخبَرني أنه قاد سيارته ثملاً، وأنه لا يريد أن يواجه أي مشاكل، لذا طلب مني أن أؤكِّد أنني كنتُ معه في السيارة في حال سألتني الشرطة أي أسئلة، وأنه لم يحتسِ أي قطرة شراب،

وأن أقول إنه مرَّ ليأخذني من عملي أو من حفلةٍ، لا أتذكَّر حقاً، وأننا لم نتعرَّض لأي حادث، وأننا لم نلاحظ أي شيء مريب. حتى إنني لم أفهم عما كان يتكلَّم.

– هل كانت تلك الليلة التي دُهس فيها الشابّ في شارع ليندارغاتا؟

– هذا ما يبدو لي. على أي حال، كانت في تلك الفترة تقريباً. لم أستطع أن أتوقف عن التفكير بذلك منذ زيارتك السابقة لي، وكانت تلك المرة الوحيدة التي طلب مني فيها هذا النوع من الأمور.

– وهل أكّدتِ للشرطة أنكِ كنتِ معه؟

– للشرطة؟ لا. لم أُخبِر الشرطة أي شيء.

– لماذا؟

– لم يأتِ أحدٌ ليسألني أي سؤال، لذا لم أضطر أن أقول أي شيء لأي شخص.

– ماذا تقصدين؟

– الشرطة لم تستجوبني أبداً، أصرَّت جوهانا.

– ألم يطلب منك أحدٌ أي تأكيد؟ تساءل كونراد وهو يتذكَّر رؤيته ليو يسير بسرعة نحو مبنى أخوية البنّائين.

– لا أحد.

– إذاً فقد كان برنهارد لوحده تلك الليلة؟

أومأت جوهانا برأسها.

– لا أفهم لماذا سأكذب لصالحه. لا أمانع أن تعرف، ولا يهمّني أبداً. ولستُ متأكدة حتى أن تلك الكذبة مرتبطة بوفاة الفتى.

– ألم يبدُ لك طلبه مفاجئاً؟

– لم أسأله أي أسئلة، وأخبَرني فقط أنه قاد السيارة ثملاً، ولم أُجرِ أي رابط مع ما حصل لذلك الفتى، فأنا لم أكن أستمع إلى نشرة الأخبار في ذلك الوقت. هل تعتقد أن برنهارد دهسه؟ وأنه قَتَل سيغورڤن؟ لا يمكنني أن أصدِّق. لا يمكنني أن أتخيَّل أنه يستطيع أن يفعل شيئاً كهذا، فبرنهارد ليس من هذا الصنف من الرجال. لقد كان... لم أظن أبداً أنه قادر على فعل ذلك.

لم يعرف كونراد ماذا يقول لها.

– هل لاحظتِ أي تغيُّر في سلوكه؟ سأل.

– تغيُّر؟

– هل أصبح نَزِقاً؟ كئيباً؟ عصبياً؟ هل بدأ يشمل أكثر؟

– لا، ما عدا أنه دخل مركز إعادة التأهيل، وأنه أخذ القرار فجأة. أتذكَّر ذلك بشكل جيد جداً.

اكتفى كونراد بما عرفه من جوهانا، لذا شَكَرها وتذكَّر كل النساء اللواتي التقى بهن في حياته واللواتي كذَبن لصالح أزواجهن أو عشّاقهن، كل تلك النساء المساعِدات، المطيعات، البريئات.

– نعم، كانت تدعى سالومي، قالت جوهانا في نهاية اللقاء وهي تصافحه. عرَفتُ أن إسمها مأخوذ من كتاب الحِكم القديمة. أليست هي التي... لكنني ذهَبتُ إلى حصص التعليم أيام الأحد، ويجب أن أعرف هذا. أليست هي التي طلبت أن يُقدَّم لها رأس ذلك الرجل على طبق من فضة؟ الراقصة الصغيرة؟ كانت تدعى سالومي، أليس كذلك؟

مرّ كونراد عبر الباب، وهو يقول لنفسه إنها على الأرجح ليست مجرد صُدفة، فإسم سالومي ليس شائعاً في آيسلندا. لقد كانت حبيبة هجالتلين، وزميلة برنهارد في صف المدرسة.

– نعم، هذه هي، رَدَّ كونراد. الراقصة الصغيرة التي أحضَرت لنا رأس هجالتلين على طبق من فضة، تمتم وهو يُغلق الباب.

عاد إلى منزل برنهارد، ووجد أن سيارته غير مركونة هناك، لذا راقَب المنزل للحظات، وعندما رأى أن كل شيء هادئ، قرَّر أن يذهب إلى باحة الخردوات. هناك ضوء خافت في الداخل، ومركبة برنهارد مركونة أمام الباحة، لذا أطفأ كونراد محرِّك سيارته، ولم يعكِّر صفو الهدوء إلا الحافلات التي تمرّ عند فواصل زمنية دورية في الشارع الخلفي.

حاوَل أن يفهم الروابط التي اكتشفها للتو، وعاد ليصطدم بسالومي، حبيبة هجالتلين السابقة. ما علاقتها بالقضية؟ وما الدور الذي لعِبته فيها حقاً؟

سالومي تملك متجر ثياب. كيف اشترته؟ لقد اغتنى شتّى أصناف البشر خلال "الانهيار الاقتصادي" الكبير لعام 2008، ومن غير المستحيل أن تكون جزءاً من ذلك، وأن تكون قد استحوذت على ذلك المتجر بعرق جبينها وبفضل حنكتها التجارية. لقد ترعرعت على يد أم عزباء، ولم تُكمل دراستها بعد المدرسة، لكنها عمِلت هنا وهناك، وكبائعة بشكل رئيسي، وقد التقت هجالتلين في الواقع أثناء عملها في أحد متاجر الثياب التي يملكها، وكانت علاقتهما قد بدأت منذ بعض الوقت عندما اختفى سيغورڤن. لقد شكَّلت سالومي شاهدةً رئيسيةً في التحقيق حول هجالتلين، فبعد أن صرَّحت أولاً أنها أمضت الليلة معه، عادت وقالت إنه تركَها ليذهب لرؤية "صديق" ليلة الاختفاء، ولم تعُد إلى هذه النسخة من الرواية أبداً. ورغم أن هجالتلين أقسَمَ أنها تكذب، إلا أن الشرطة بقيت تعتبر إفادة سالومي جديرةً بالثقة، وانتهى الأمر بالمشتبه به أن اعترف أنه التقى سيغورڤن تلك الليلة فعلاً.

لقد تعلَّم برنهارد وسالومي في نفس المدرسة، وعلى الأرجح طوال فترة طفولتهما. ما كانت طبيعة العلاقة بينهما؟ كما أن برنهارد يعرف سيغورڤن أيضاً، فقد تعرَّف عليه في الكشّافة. هل هو متورّط في اختفائه؟ هل هو الرجل الذي دهس ڤيلي في شارع ليندارغاتا؟

بقي كونراد ينتظر بصبر خلف مِقوَد سيارته، وليس هناك صوتٌ غير هدير الحافلات التي تمرّ في الشارع كل عشرين دقيقة قبل أن تختفي في الظلمة.

فُتح باب باحة الخردوات عند منتصف الليل، وظَهَر طيف برنهارد عند المدخَل. وقف هناك يتأمل الليل، وأشعلَ سيجارةً. ثم رنَّ هاتفه الخلوي، فأخرجه من جَيبه، وردَّ على الاتصال الذي دام بضع دقائق. هزَّ برنهارد رأسه، ثم أغلق الخط، وأنهى سيجارته ورمى عَقِبها، وعاد يتأمل الليل مرة أخرى، ثم دخل وأغلق الباب. بعد لحظات، رأى كونراد الضوء ينطفئ في المبنى، فافترَض أن برنهارد سيعود إلى منزله فوراً.

انتظَر لحظةً، ورأى سيارة تصل، ثم تُبطئ سيرها أثناء مرورها أمام باحة الخردوات، ثم تستدير، ثم تمرّ أمام الباحة مرة أخرى. لم يستطع كونراد رؤية السائق بوضوح في الليل، فالإضاءة في الشارع سيئة. توقفت المركبة أمام الحظيرة، وانطفأت أضواؤها الأمامية، ومرَّت لحظات قليلة على هذه الحال.

فُتح الباب، وخرَج السائق، واقترب من باحة الخردوات.

إنها سالومي.

راحت تتفحَّص المحيط بعناية كما لو أنها تخشى أن تكون مراقَبة، لكنها لم تر سيارة كونراد. ثم سرَّعت خطواتها وركَضت نحو الباب، ودخلت وأغلقته.

مرَّت نصف ساعة وكونراد لا يزال يتساءل ماذا عليه أن يفعل عندما فُتح الباب مرة أخرى وخرَجت سالومي. أغلقت الباب وسارت عائدة إلى سيارتها بخطوات حازمة، وفكَّر كونراد أن يخرج لإيقافها، لكنه أقلعَ عن ذلك عند مرور حافلة في الشارع تحته. جلست سالومي خلف المِقوَد، وأضاءت الأضواء الأمامية، واختفت في لحظة.

ماذا جاءت تفعل هنا في هكذا وقت متأخر؟ ماذا ينويان أن يفعلا؟ لم يستطع كونراد أن يفهم. لم يعد هناك أي ضوء داخل المبنى، لكن برنهارد لم يظهر.

بقي يركِّز نظراته على الباب متوقِّعاً أن يراه يخرج في أي لحظة، لكن عندما شَعَر أن ذلك لن يحصل، خرَج من السيارة واقترب ببطء من مرأب السيارات المهجور ومن ورشة عمل برنهارد ومحيطها الغارقين في الظلمة فمدخل المبنى غير مُضاء، وعمود الإنارة القريب مكسور.

أكمل كونراد يتقدَّم، وتردَّد بضع لحظات قبل أن يمسك مسكة الباب. وجده غير مُغلق، وغمره الليل ومخاوفه، وكذلك القصص المختبئة في الظلمة.

فتَحه ودخل.

– برنهارد؟! صاح.

اعتقَد أنه سمِع شيئاً يشبه صوت الحفيف.

– برنهارد!

لم يُجب الرجل.

– أعرف أنك لا تزال هنا!

بما أنه لم يستطع العثور على أي مفتاح ضوء، دارَ ببطء حول المنضدة وهو يحاول أن يتذكّر تخطيط المكان. تذكَّر الرفوف المزدحمة بقِطع غيار، والأقواس والسلاسل المتدلية من السقف، وأنابيب العوادم ومخفِّفات الصدمات.

– برنهارد! صرَخ مرة أخرى دون الحصول على جواب. اعتقَد مرة أخرى أنه سمِع ضجةً.

– أعرف أنك هنا، يمكنني سماعك.

لا جواب.

وصل إلى خلف المنضدة، وتوقَف متردِّداً أن يدخل أكثر من ذلك إلى ورشة العمل.

– برنهارد!

لا جواب.

– أعلم أنك تعرف سالومي، وأعلم أنها أتت لزيارتك منذ قليل. لماذا ترفض أن تتكلّم معي؟

تقدَّم قليلاً أكثر في ورشة العمل، نحو النوافذ حيث رأى ذلك الضوء الباهت الذي انطفأ بعدها.

– ماذا جاءت تفعل هنا؟ لماذا تُوفِّي سيغورڤن؟

وَصَل كونراد إلى النوافذ، وازدادت الضجة صخباً. الرفوف الداكنة على الجهتين مليئة بالقِطع، وامتلأ مِنخَراه برائحة الحديد والزيت والمطاط. تابع يسير ببطء وهو ينظر نحو الباب بشكل دوري، وشَعَر أنه ضعيف لوحده في الليل.

مرّت الحافلة الأخيرة بصخب في الشارع، وغمرت أضواؤها الأمامية ورشة العمل للحظة عبر النوافذ الوسِخة، ثم ابتعَدت. وقف كونراد متحجِّراً وهو يحدِّق بزاوية الحظيرة.

عمَّ الظلام مرة أخرى.

لم يعرف منذ متى هو هناك عندما سمِع الضجة مرة أخرى. لم تصدر عن برنهارد، بل عن كيس بلاستيكي عالق في أخدود في النوافذ ويرفرف في الرياح.

هذه كانت آخر ضجة سمِعها برنهارد، فقد عثر على جثته تلوِّح على طرف سلسلة موصولة بالسقف. يبدو أنه صعد إلى رفٍ مليء بقِطعٍ جمَعَها من سيارات قديمة، ولفَّ السلسلة حول عنقه، ثم رمى نفسه في الخلاء.

ارتجَف كونراد من الخوف، وبقيت الأصابع الجليدية للرياح تلاعب الكيس العالق بالنافذة، وصدى الخشخشة يتردَّد في ورشة العمل مثل موسيقى حزينة للمدنَّسين والملعونين.

راحت نُدَف الخريف الأولى تتساقط بينما قاد سيارته نحو منزل سالومي. إنها عزباء وليس لديها أولاد، وتعيش بشكل مريح جداً في فيلا كبيرة في ضاحية غارذابارير الأنيقة. لم ير سوى المطبخ الهائل حيث وافَقت أن تستقبله رغم الممانعة التي أبدتها على عتبة بابها بعد أن طالَبها كونراد بالحديث معها رغم الوقت المتأخر. الأمر طارئ ولا يمكنه أن ينتظر، وقد سمحت له مارتا أن يستجوب سالومي قبل أن تبدأ الإجراءات الرسمية، وقد انتهى بها الأمر أمام إصراره أن أقرَّت أنها تَدين له بذلك، لكنها لم تُعطه وقتاً طويلاً جداً.

كان قد اتصل بها من باحة الخردوات، ووصلت الشرطة بعد لحظات. وقد سمِع صحافيٌ عن الحادث المأساوي، وراح وميض الكاميرا يُضيء الليل.

أخبَر كونراد مارتا ما عرَفه عن الروابط بين برنهارد وسالومي وسيغورڤن وهجالتلين، وأنهم تعرَّفوا على بعضهم إما في المدرسة أو في الكشّافة، وأن أخت ڤيلي هي التي وضعته على هذه السكة. لقد قاده موت الشابّ إلى برنهارد، ثم من برنهارد إلى سالومي.

– سأعطيك عشر دقائق فقط لا غير، قالت مارتا.

وَجَد نفسه الآن وجهاً لوجه أمام سالومي، بعد سنواتٍ على إبلاغ الشرطة عن اختفاء سيغورڤن في ذلك اليوم البارد من فبراير. هل هذه هي المرأة التي قضى نصف حياته المهنية في البحث عنها؟ مالكة متجر ملابس؟ لم يعرف حقاً كيف يتصرَّف. هل عليه أن يلوم نفسه لأخذه كل ذلك الوقت الطويل في حلّ هذا التحقيق المعقّد؟ ألا يُفترَض أن يكون العكس هو الصحيح وأن يشعر بنشوة النصر؟ لكنه لم يشعر بأي بهجة، وبدلاً من الشعور بالفرح والارتياح، غمره شعور بالإرهاق بالإضافة إلى حزن عميق.

إنها الثانية بعد منتصف الليل، وسالومي لا تزال ترتدي ملابسها. ادّعت والانزعاج واضح عليها أنها ذهَبت في نزهة، وقد تفاجأت كثيراً من زيارته لها في

هكذا ساعة متأخرة. رَدَّ كونراد أنه عائدٌ من باحة الخردوات، ورأى الصعوبة الكبيرة التي حاولت بها سالومي أن تُخفي مشاعرها.

– رأيتُك أمام ورشة العمل، قال موضِّحاً.

– المسكين... هل هو... هل هو بخير؟ هل تكلَّمتَ معه؟

– فهِمتُ أنكما كنتما حبيبين، رَدَّ كونراد وهو ينظر إلى الموقد ذي الحارقات الستة، والبرّاد الأميركي الكبير، والفرن المزدوج المحاط بصندوق من الرخام وخشب السنديان الفاتح.

– حبيبين؟

– لقد اشتبهت زوجته السابقة بخيانته لها، وقد ادّعت أنك مخرِّبة بيوت. ماذا كنتِ تخطِّطين معه؟

– لقد تعرَّفنا على بعضنا في المدرسة، ولم يكن... لم تنشأ أي علاقة عاطفية بيننا أبداً. هناك سوء فهم.

– ما كانت علاقته بسيغورڤن؟

– علِمتُ منذ فترة فقط أنها يعرفان بعضهما، أجابت سالومي بعصبية.

– هل تتخيَّلين أنني سأصدِّقك؟ ردّ كونراد بحدّة. ماذا كنتِ تخطِّطين مع هجالتلين وبرنهارد؟ كيف حدثَ أن تُوفِّي سيغورڤن؟

– هجالتلين؟ لا علاقة له بأي شيء... وأنا أيضاً. لا أصدِّق أنه يمكنك أن تتخيّل هكذا شيء مضحك. بصراحة، يا لها من فكرة غريبة!

– لماذا ذهبتِ إذاً لزيارة برنهارد عند منتصف الليل؟

– لأنه هاتَفني وأخبرني أنه في ورشة عمله وأنه يريد التحدّث معي، وتوسَّلني أن آتي إليه. لم يكن في حالة طبيعية، وقال إن كل شيء انتهى، وإنك زرته. حتى إنني لم أفهم عما يتكلَّم. كل ما أعرفه هو أنه كان خائفاً وفي حالة من الصدمة، وطلب مساعدتي.

– لماذا؟ لماذا أنتِ؟

– كنا جيران في نفس المبنى في صغرنا، ردَّت سالومي. كان أبوه... لنقل إنه كان يعاني من مشاكل، وقد أمضى برنهارد وأخته الكثير من الوقت معنا. كانت لديه أخت، لكنها تُوفِّيت. كنا نتعلَّم في نفس المدرسة، لكننا لم نعد نرى بعضنا

عندما غادرت أمي الحي، ولم أر برنهارد لسنواتٍ. ثم نظَّم الطلاب السابقون من صفنا لقاء لمّ شمل حوالي عام 2000، وقد بقي على اتصال بي منذ ذلك الوقت. كان يثمل كثيراً في تلك الفترة، لكنه دخل إلى مركز إعادة تأهيل، ثم عاد يثمل مرة أخرى، مما جَعَله لا يُطاق...

– هل تعرفين السبب؟

– لا، لم أعرفه قبل الآن، بل عرَفتُ فقط أنه مكتئب وأنه ليس على ما يرام. ثم عِلمتُ السبب ليلة أمس... عِلمتُ لماذا ليس على ما يرام. لماذا احتاج إلى أن يبقى على اتصال بي. لماذا... هذا مريع. لقد اعترَف لي بكل شيء، ونصَحتُه أن يذهب إلى الشرطة، وأظن أنه سيذهب صباح الغد. حتى إنني عرضتُ عليه أن أرافقه، أن أساعده. كان يتألم كثيراً. هل أُخبرك عن... عن سيغورڤن؟

– لم تسنح لي الفرصة لأتكلّم معه، رَدَّ كونراد.

– كان قد رحل؟

– إذا أمكننا قول ذلك. لقد قرَّر أن يُنهي حياته بعد مغادرتك.

راحت سالومي تحدِّق به.

– ما...

– لقد تُوفِّي برنهارد.

– كيف...؟ ماذا تقول؟!

– شنق نفسه في باحة خردواته.

لم تفهم سالومي. من الواضح أنه كان بإمكانه أن يُطلعها على الخبر بشكل لبق أكثر قليلاً. تمسَّكت بالمنضدة وجلست على كرسي وهي تنظر إليه نظرة استفسار، وبدت مرتابةً ومرتعبةً.

– أردتُ أن أستجوبه، أكمل كونراد يقول، لكنني وَصَلتُ متأخراً. آسف لإخبارك هذا الخبر.

– لكنه... أراد الذهاب إلى الشرطة، قالت سالومي محتجّةً. أراد أن يروي كل شيء، أن يقول الحقيقة كلها. لقد وعَدني بذلك، وقد شَعَر أنه تحرَّر أخيراً لتمكّنه من أن يريح ضميره. لقد عاش بكل ذلك الثقل طوال تلك السنوات، وأراد أن يقول الحقيقة.

– لماذا أراد أن يبقى على اتصال بك؟ هل هناك سبب خاص بالإضافة إلى حقيقة أنكما كنتما صديقَي طفولة؟

– أراد أن يبقى على اطلاع بالمستجدات، ردَّت سالومي. لقد اعترف لي بذلك، فمن الواضح أنه كان يعرف أنني على علاقة بهجالتلين، وأنني وجدتُ نفسي متورّطة في هذه القضية، وأراد معرفة ما الذي يجري، وإن تابَعت الشرطة تحقيقاتها والاتصال بي. كان يسألني بعض الأسئلة أحياناً، فيسألني عن أخبار هجالتلين، ويسألني إن بقيتُ على اتصال به أو بأخت سيغورڤن، ويسألني عن كل هذه الأمور، وقد أصبحتُ أعرف الآن أنها لم تكن مجرد حشرية منه. المسكين كان بائساً جداً. أتذكَّره يُخبرني أحياناً أنه يتساءل عما حصل، وقال إنها خسارة وإنه من الفظيع أن يُنهي حياته هكذا. لقد أمضى وقته في الواقع يطلب المساعدة بشكل غير مباشر.

– هل اعترف أنه متورّط في موت سيغورڤن؟

أومأت سالومي برأسها.

– نعم، اعترف.

– كان لوحده؟

– لا، كانا اثنين.

– مَن هو الشخص الآخر؟

– لم يرد إخباري.

– وقد أخذا سيغورڤن إلى المُجلَّدة؟

– نعم.

– وذلك الشابّ المدعو ڤيلمار، هل أخبرك عنه؟

– لا، ردَّت سالومي. لكنه أخبَرني شيئاً آخر غامضاً جداً. لقد أخبَرني أنه اضطر أن يعيش بكل ذلك الثقل على كاهله، وأنه حتى لجأ إلى بعض التدابير المتطرّفة، لكنه لم يكن أكثر تحديداً.

هزَّت سالومي رأسها.

– كان عليَّ أن أفهم ماذا ينوي أن يفعل، فقد بدا يائساً عندما اتصل بي، لكنني شَعَرتُ أن مزاجه تحسَّن قليلاً بعد أن باح لي بسره، خاصة أنه بدا مصمِّماً

على الذهاب لرؤيتك، وقد كرَّر لي ذلك عندما رحلتُ. شَعَرتُ أنني جعلتُه يبتهج، ثم... ثم فعل ذلك.

– أظن أنني وجَدتُ حُطام الجِيب الذي صدمَ ڤيلي. إنه في مرأب باحة الخردوات، مخفي بعناية، ومع ذلك على مرأى من الجميع. لم يبقَ منه إلا الهيكل، لكنه هو، وأتساءل لماذا لم يتخلَّص منه برنهارد أبداً.

نظرت إليه سالومي نظرة فارغة.

– لا أعرف شيئاً عن هذه القصة. أخبَرني فقط عن سيغورڤن، أكَّدت له.

– لماذا المُجلَّدة؟ سأل كونراد. لماذا أخذ الجثة إلى لانغيوكل؟ ألم يستطع أن يجد مكاناً أبسط وأقرب؟

من الواضح أن سالومي لم تعرف الجواب.

رنَّ جرس الباب بإصرار.

– ها قد أتوا، قال كونراد خاتماً الحديث وقد فهِم أن مارتا وزملاءها وصلوا.

عاد كونراد إلى باحة الخردوات، فرغم توتّره الكبير، لم يرغب أن يأوي إلى سريره في المنزل، ووَجَد أن جثة برنهارد أُنزلت، وأن قسم الأدلة الجنائية انتهى من تأدية عمله، والمبنى تحت حراسة شرطيين يناوبان في سيارتهما. كونراد على معرفة جيدة بالشرطي الأكبر سناً بين الاثنين فتبادَلا بضع كلمات، وسمح له زميله السابق أن يدخل ورشة العمل بعد أن شرَح له أنه يساعد مارتا في هذا التحقيق.

– ظننتُ أنك تقاعدتَ منذ فترة طويلة، تساءل الزميل.

– لا مجال للاسترخاء والراحة، رَدَّ كونراد.

الأضواء مضاءة الآن، ويمكنه أن يرى بوضوح أكثر بكثير من ذي قبل. دارَ حول المنضدة، ودخل ركن القهوة الصغير المفروش بطاولةٍ عليها آلة قذرة لصنع القهوة وكرسي واحد فقط، بما أن برنهارد هو الوحيد الذي يعمل هنا. ثم ألقى نظرة سريعة على المكتب الذي بدا أصغر حتى، وكان مفروشاً بطاولةٍ وكرسي بنفس النمط، وهناك شاشة وفأرة ولوحة مفاتيح كانت بيضاء ذات يوم، ورأى الحاسوب المكتبي يجلس على المشمَّع الوسِخ الرثّ الذي يغطي أرضية الغرفتين.

جلس كونراد في المكتب، وراح يتصفَّح المستندات المكوَّمة هناك: فواتير، أرقام هواتف الزبائن، مراجع لقِطع الغيار، وبيانات مصرفية. ورأى أن العديد من تلك الأوراق تحمل بصمات أصابع برنهارد الذي من الواضح أنه مُهمِل في حساباته التي تبدو فوضوية.

نظَرَ إلى الإضبارات في المكتبة، والتقويم الذي يعود عمره إلى سنوات عديدة، ومشمَّع الأرضية القذر، والغبار الذي يملأ المكان، وبيَّن له كل هذا أن برنهارد لم يكن غنياً، كما شكَّل دليلاً إلى نوعٍ من الإهمال والعجز، كما لو أنه اعتبر أنه لا جدوى من الترتيب أو التنظيف لإنشاء بيئة عمل لطيفة، ولا شكّ أنه تخلّى عن الاكتراث لعمله منذ فترة طويلة، ربما منذ الأيام التي أخذت فيها حياته اتجاهاً غير متوقع، قبل أن تنتهي هنا في هذا المكان بالذات عند طرف سلسلةٍ.

وَجَد جارورَي طاولة العمل غير مُقفلين، ويحتويان على أشياء أخرى غير مثيرة للاهتمام، ودليل قديم للهاتف، ومغلّف مليء بفواتير... بيانات مصرفية أخرى. لم يعثر على بنود شخصية تخصّ برنهارد.

شغَّل كونراد الشاشة، وضغط مفتاحاً على لوحة المفاتيح، فخرخَر الحاسوب المكتبي وظهرت صورةٌ غير تلك الصورة التي رآها أول مرة جاء فيها إلى هنا. بقي ينظر إليها لفترة طويلة وهو يقول لنفسه إن برنهارد بلا شكّ خصَّص لحظاته الأخيرة ليضعها هناك.

بدت تلك الصورة الملوَّنة القديمة، الصغيرة الحجم والممدَّدة لتتلاءم مع حجم الشاشة، نقية جداً وتُظهر ثلاثة فتيان بنفس العمر وقفوا ليتصوّروا قرب جرّار قديم، حيث جلس أحدهم خلف المِقوَد، وجلس آخر على عجلة خلفية، ووقف الثالث بجانبه. بدا له أن هذه الصورة التُقطت في الريف حيث السماء زرقاء صافية، وبدا الأولاد سعداء ومفعمين بالحيوية، ويرتدون زيّ الكشّافة: قمصان، وجوارب خضراء عالية، وسراويل قصيرة، ويبتسمون للمصوِّر.

وقد كتبَ برنهارد إسم كل واحد منهم.

إنه الولد الجالس خلف المِقوَد.

وسيغورڤن الولد الواقف.

لا يعرف كونراد الكثير عن الولد الثالث الجالس على العجلة الخلفية، ولم يره إلا مرة واحدة فقط، وقد راقَ له.

راح يحدِّق بوجه برنهارد، وأدرك أنها ليست صدفة أنه اختار هذه الصورة لتكون خلفية شاشته قُبيل أن يُنهي حياته.

لم ينم طوال الليل، لذا شَعَر بالإنهاك وهو يجلس خلف مِقوَد سيارته ويتّجه نحو البلدة، وبدا له كأنه أصبح بعيداً عن الواقع قليلاً بعد تلك الأيام الطويلة التي لا تنتهي. لم يكن قد حاوَل أن ينام حتى، بل أمضى معظم الليل في المخفر مع مارتا يتناقشان بما سيجري بعد أن أبلَغوا الشرطة في بلدة سيلفوس.

اعتذَر كونراد لسالومي، وتأسَّف لها على قدومه إلى منزلها في منتصف الليل واتّهامه لها، وقد تفهَّمته رغم أنه لم يستحق ذلك منها حقاً، ثم أدلت بإفادة لمارتا توافَقت حرفياً مع ما قالته له سابقاً تلك الليلة.

لقد تعرّفت على برنهارد عندما كانا صغيرين، وقد تقاطعت دروبهما مرة أخرى بعد سنوات عديدة، وأصبح معتاداً على رؤيتها بشكل دوري منذ ذلك الوقت.

– تذكَّرتُ تلك اللحظة عندما تقابلنا مرة أخرى خلال لقاء لمّ شمل صفنا القديم، قالت سالومي.

– هل كان لا يزال يعيش مع زوجته؟

– نعم، كان متزوجاً. لم نكن حبيبين أبداً، وعلاقتنا ليست من هذا الصنف على الإطلاق. سبق وأخبَرتُك أنه احتاج إلى مَن يستودعه سره. كان حزيناً، وحتى أنني شعرتُ أحياناً أنه يغرق في نوع من جنون الارتياب، فهو لم يثق بأي شخص، ويتخيَّل أن الناس يقولون أشياء سيئة عنه. من الواضح أنني لم أعرف ما الذي كان يجعله مكتئباً إلى ذلك الحدّ. برنهارد رجلٌ شديد السرية، ويغضب ويبتعد إذا سألتُه أسئلة كثيرة، وقد بدا عصبياً جداً قبل دخوله مركز إعادة التأهيل. رأيتُه مرة واحدة في تلك الفترة، وقد انهار وراح يجهش بالبكاء، لكنه لم يرغب أن يُخبرني السبب. بدأ يتحسَّن بعد علاجه في مركز ڤوغور، ولا يتصل بي كثيراً. ثم اتصل بي مرة أخرى عندما تم اكتشاف الجثة على المُجلَّدة، فقد أراد أن يتحدّث عن ذلك، وسألني إن عاد رجال الشرطة لاستجوابي، وإن كانت لديهم أي أدلة على ما حدث، وإن كان التحقيق على وشك الانتهاء.

سكَتت سالومي قليلاً.

– لماذا كنتَ تراقبه؟ وما الذي جَعَلك تعتقد أننا نخطِّط لشيء ما؟ سألت متفاجئةً.

– اكتشفتُ أنكما تعرفان بعضكما، وبدا لي ذلك أمراً يدعو للريبة.

– مَن هو ڤيلي ذاك الذي تتكلَّم عنه؟ هل أذاه برنهارد؟

– على الأرجح، رَدَّ كونراد، لكننا لسنا متأكدين.

– واعتقَدتَ أنني ساعدتُه على قتل سيغورڤن؟

– لقد حرقتُ المراحل، أقرَّ كونراد. فهذا التحقيق أربك ذهني، وقضى على قدرتي على التحليل المنطقي، وآمل أن ينتهي كل هذا سريعاً، وأن تصبح هذه القضية اللعينة مجرد ذكرى عما قريب.

لم يكن كونراد على عجلة من أمره، لذا راح يقود بمواجهة الشمس وهي تشرق من فوق جبال بلايفيول. لقد بدأت الأيام تصبح أقصر أكثر فأكثر مُعلنةً اقتراب فصل الشتاء، وقريباً سيصبح طول اليوم مجرد أربع ساعات قصيرة يبذل خلالها قُصارى جهده ليُضيء سماءً تملأها الظلمة.

لم يجد الرجل في منزله الذي يقع في أحد شوارع الضواحي على ضفاف نهر أولفوسا، قبل الجسر القديم بقليل، وكان كونراد عند وصوله قد عرَّف عن نفسه للمخفر، حسب الاتفاق مع مارتا، ورافقته سيارة شرطة. وعندما شَعَر أن أحداً لن يأتي ليفتح له، نزل كونراد إلى الشاطئ حيث رأى طيفاً من الخلف جالساً على الحافة الصخرية، واستطاع أن يتعرَّف عليه، فأشار لرجلَي الشرطة أنه يريد أن يذهب لوحده، وردَّا عليه بإيماءةٍ من رأسيهما.

المكان مكسو بأشجار بتولا وطحالب تنحدر إلى الحافة، ويمكن رؤية الواجهة الرمادية القريبة لثكنة عسكرية قديمة من الحرب العالمية الثانية نصفها مدفونٌ في الأعشاب. ويوجد في وسط النهر صخرة ضخمة تتعارك مع التيارات الفوّارة، وقد نما العشب على سطحها، وفي الجهة البعيدة هناك شجرة شوح وحيدة بدا وكأنها تنتظر اللحظة التي تُرمى فيها في هذه الدوَّامة.

استدار الرجل الجالس على الحافة عندما سمِع وصول كونراد.

– آه، ها قد أتيتَ، قال كما لو أنه ينتظره منذ بعض الوقت.

– مرحباً يا لوكاس، يا له من مكان جميل، علَّق كونراد وهو يقترب ببطء.

– إنها لرفاهية كبيرة أن يتواجد هكذا منظر طبيعي على عتبة بابك، وافَقه لوكاس الرأي.

كان يرتدي ملابس رقيقة رغم البرد القارس، ولم يحلِق ذقنه منذ عدة أيام، وهناك دوائر داكنة عميقة تحت عينيه، والنهر يرغي ويزبد تحت قدميه.

– هل تمانع إن جلستُ بجانبك؟ سأل كونراد.

– على الرحب والسعة. يمكنني تمضية ساعاتٍ هنا في مشاهدة هذا النهر.

– هذا لا يفاجئني.

– اكتشَفتُ هذا المكان الجميل عندما انتقلت للعيش هنا في سيلفوس، وأنا آتي إلى هنا أحياناً لأتأمل المنظر، لكن من الواضح أن على المرء أن يكون يقظاً

من الأخطار، وعليَّ أن أقرّ أن هذا النهر لطالما أرعبني. إنه نهر فاتن وجذّاب، لكن عليك أن تعامله باحترام.

– التيارات عنيفة جداً.

– بصراحة، كنتُ أتوقعك.

– أظن منذ بعض الوقت، رَدَّ كونراد.

– طبعاً، ومنذ عقود، في الواقع. أرى أنك لم تأتِ لوحدك هذه المرة، علّق لوكاس وهو يلقي نظرة سريعة من فوق كتفه نحو الشرطيين الواقفين على مسافة خلفه.

– لا، أتيتُ ومعي بعض المرافقة.

راح كونراد يتأمل النهر المثقَل بِطَمي جليديّ بقي يسقبق تحت الضفة الصخرية لعشرات آلاف السنوات، قبل زمن طويل على قدوم الإنسان إلى آيسلندا. هدير هذا النهر الأكبر في البلد يُصمّ الآذان، وأدرك كونراد تماماً قوة الانبهار التي تحدَّث عنها لوكاس.

– لماذا سيغورڤن...

– بسبب هُرائه، رَدَّ لوكاس كما لو أنه لم يرغب أن يسمع نهاية الجملة. بسبب انعدام خبرته. بسبب حماقته. لكن الأهم من هُرائه هو هُراؤه اللعين.

– برنهارد مات، قال كونراد.

– مات؟! صاحَ لوكاس وهو يحدِّق به. كيف...؟

– شنق نفسه في متجره.

– لا... برنهارد المسكين، تنهَّد لوكاس. لم... هذا لن ينتهي أبداً. أبداً.

– لم يعد قادراً على التحمّل.

– يا لها من كارثة!

بقي الرجلان صامتين لبضع لحظات.

– هل قال شيئاً...؟ سأل لوكاس.

– لقد قادني إليك.

ساد صمت آخر.

– هل... هل تمانِع إن بقينا هنا قليلاً؟ سأل لوكاس.

– لدينا بعض الوقت. هل تريد إخباري ما حصل؟ أن تشرح لي السبب؟

لم يُجبه.

– لوكاس؟

– نعم، عفواً، أنا... لا أعرف حقاً من أين أبدأ.

– ابدأ بإخباري عن ڤيلي، اقترَح كونراد.

– ڤيلي؟

– الشابّ من المقصف. برنهارد هو الذي دهسه، أليس كذلك؟

– كان يدعى ڤيلي؟

– للأصدقاء المقرّبين، لكنه يدعى ڤيلمار في الواقع. لديه أخت تريد أن تعرف ما حصل له، وأن تفهم لماذا مات.

– التقى به برنهارد صدفةً ذات ليلة عندما ذهب ليشاهد مباراة في كُرة القدم في ذلك المقصف، وأُصيب بالذعر فهو لم يستطع أن يتخطى أبداً ما فعلناه. اتصل بي مرتعباً عند منتصف الليل وقال إن ذلك الفتى تعرَّف عليه، وإنه هدَّده بالاتصال بالشرطة، لذا طلبتُ منه أن يهدأ. ادّعى برنهارد أنه أعطى ذلك الشابّ إسمه، فقد كان يثمل كثيراً في تلك الفترة، ولم يعد قادراً على السيطرة على كمية الشراب التي يستهلكها، وبدا متوتراً جداً ومخبولاً بالكامل.

– بسبب ما فعلتماه لسيغورڤن؟

– نعم. لم يستطع أن يهضم ذلك. وكلما مرّ وقت أكثر، كلما عانى أكثر.

– وتذكَّر الولد بجانب الخزّانات.

– نعم. لم يستطع برنهارد أن يتوقف عن التفكير بذلك الولد الذي تكلّم معه على تلة أوسكجوليد، وكان يقول دائماً إنه خائف من أن يكشفه.

– هل لحِق ڤيلي إلى خارج المقصف؟ سأل كونراد.

بدلاً من الإجابة عليه، غيَّر لوكاس الحديث.

– قلتَ إنه قادك إليَّ، كيف فعل ذلك؟

– لقد احتفظ بصورة قديمة لكما مع سيغورڤن، كما أخبر صديقة طفولته سالومي بما فعله.

– حبيبة هجالتلين؟ كنتُ متأكداً أنه يعرفها. في الواقع، أنا... لقد أراد أن

يعمل لي معروفاً، وأنا مسرور أن هذا انتهى أخيراً. لا يمكنك تخيّل مدى صعوبة العيش مع هكذا أمر، مع لعبة الغمّيمة هذه، مع هذا الكَرْب، مع هذا الخوف، مع تلك الكوابيس. إنه... لا أحد يمكنه أن يتخيَّل كيف...

لم يُنه لوكاس جملته، ووجَد كونراد صعوبة في الشفقة عليه.

– هل لحِق برنهارد ڤيلمار بسيارة جِيب؟

– نعم.

– ودهسه؟

– نعم.

ظهر زوجان يافعان يسيران على الضفة الأخرى وهما يدفعان عربة طفل. توقّفا للحظات قليلة، وانحنت الأم فوق الطفل لتتأكد أن كل شيء بخير، ثم استأنفا نزهتهما دون أن يكترثا للرجلين الجالسين على الضفة الأخرى منهما.

– لقد وفى بوعده.

– ماذا تقصد؟ سأل لوكاس.

– انتهى به الأمر أن قتل ذلك الفتى مثلما هدَّده بأنه سيفعل منذ سنوات، وضّح كونراد.

بقي لوكاس صامتاً.

– ثم توقّف عن احتساء الشراب؟ هل دخلَ إلى مركز إعادة تأهيل؟

– نعم، رَدَّ لوكاس.

– واحتفظ بحُطام الجِيب تحت ملاءة واقية للماء بالقرب من باحة خردواته؟

– لا، لم يعد موجوداً منذ فترة طويلة، فقد تخلّص منه شيئاً فشيئاً وباعه كقِطع غيار إلى أن لم يبق منه إلا الهيكل، وأظن أنه باع ذلك أيضاً.

بقيا صامتين لبضع لحظات.

– لماذا مات سيغورڤن؟ سأل كونراد.

أخذ لوكاس نَفَساً عميقاً.

– كنا مجرد مغفَّلين، أقصد برنهارد وأنا، ولا نفهم أي شيء، ولا نعرف أي شيء. برنهارد هو الذي اقترح أن نستفيد من وجودنا في ألوية المُقذفين البحريين لنكسب الكثير من المال عبر تهريب المخدرات إلى آيسلندا. هذا كان مشروعنا

وقد خرَج عن السيطرة بالكامل.

راحا ينظران إلى عينَي بعضهما البعض: غريبان جمعهما القدر وقادهما إلى حافة جرف صخري. وفهِم كونراد أن لوكاس يعاني منذ فترة طويلة.

– الأرجح أنك تعرف من أين يأتي معظم هذا الماء، علَّق وهو ينظر نحو المنبع وإلى المرتفعات، ويفكِّر ملياً بسخرية القدر. كما تعرف المُجلَّدة التي تغذيه.

– بالطبع، رَدَّ لوكاس. أعرف أنه يأتي من لانغيوكل.

– هذا النهر أشبه بعتاب دائم لك.

– نعم.

– ويمكنك سماع صراخه وهديره في الليل.

راح لوكاس يراقب منحنى المصبّ حيث ينساب النهر إلى وادٍ عميقٍ على الجهة الأخرى للجسر.

– لن تفعل شيئاً غبياً مثل برنهارد، أليس كذلك؟

نظَرَ لوكاس إلى كونراد وهزَّ رأسه.

– لا تقلق. لطالما أرعبني هذا النهر.

– قلتَ إن مشروعكما خرج عن السيطرة.

– ما كان كل ذلك ليحصل لو لم نلتقِ سيغورڤن ذات يوم في السينما. لا أتذكَّر عنوان الفيلم الذي ذهَبنا لنشاهده، لكنه كان تافهاً. لم نر سيغورڤن أبداً منذ أن ترَكَ الكشّافة، فبدأنا ندردش، ولا أتذكَّر حقاً لماذا تكلَّمنا عن الشراب المهرَّب، ربما لأنني عمِلتُ على سُفن شحن. أخبَرتُه أنه يمكنني أن أُحضر له بعض الشراب الروسي، فلديَّ بعض القوارير التي كان أحد أصدقائي يهرِّبها، وأحضَرتُ له قارورتين في الليلة التالية. أعجبه ذلك، فصرتُ أبيعه بعض القوارير أحياناً عندما تتوفَّر لديَّ، وأصبحنا ندردش كل مرة، وتوطَّدت العلاقة بيننا تدريجياً...

– لا أتذكَّر أنني عثرتُ على ذلك النوع من القوارير في منزله، رَدَّ كونراد الذي يبحث دائماً عن التفاصيل التي فاتته خلال تحقيقه الأول. لم يكن هناك أي شيء على الإطلاق في منزله يوحي أنه كان يشتري بضائع مهرَّبة.

– لا، فقد كان يقظاً جداً. أظن أنه كان يفرِّغ تلك القوارير في قوارير أخرى، وأعتقد أنه أخبَرني ذلك.

– وماذا بشأن المخدرات؟

– لم يعرف أحدٌ أننا نعرف سيغورڤن، قال لوكاس وقد بدا جاهزاً ليعترف بكل شيء. كان الوحيد بين أصدقائنا الذي يملك بعض المال، وأخبَرتُه أن برنهارد يريد استغلال وجودنا في فرقة المُنقذين البحريين لتهريب المخدرات، ففكَّر بالأمر ثم وافق لحبّه للمال قائلاً إن المرء لا يشبع من المال أبداً. وعدناه أن العملية ستُكسبه

عشرين ضعف استثماره ولم نكن نكذب، وأن أحداً لن يعرف أنه شريكنا، وإذا عرَف أي شخص، يمكنه أن ينكر بسهولة لأننا وعدناه أننا لن نترك أي أثر يمكن أن يقود إليه. كانت فرقة المُنقذين البحريين تحتاج إلى شخص يذهب إلى أمستردام، لذا تطوَّعتُ مع برنهارد، وكنتُ قد هرَّبتُ من قبل كميات صغيرة جداً، أغلبها من الكوكايين الذي كان رائجاً جداً في آيسلندا في ذلك الوقت، وخبّأتها في درّاجتين ثلجيتين مستعملتين اشترتهما الفرقة من ألمانيا وستُشحنان في حاويةٍ. بقي كل شيء يسير على ما يرام إلى أن أُصيب سيغورڤن بالذعر، وقال أولاً إنه لا يمكنه الوثوق بنا، وإننا نغشّه، وإنه لن يكون قادراً على إقناع نفسه بخلاف ذلك أبداً. لم نسرقه، وأقسَمنا له بذلك، لكنه لم يصدِّقنا، وأعتقد أنه أراد فضَّ الشراكة فحسب. لذا أعطيناه حصته، وحتى أعطيناه مالاً أكثر نظراً للطريقة التي تصرَّف بها، وكان ذلك سخيفاً جداً لدرجة أننا طلبنا منه في النهاية أن يعيد لنا بعضاً من ذلك المال، لكنه لم يرغب أن يسمع عن المسألة بأكملها.

– اكتشَفنا مؤخراً أنه أخفى كمية كبيرة من المال في منزله. هل زرتماه من أجل تسوية تلك الخلافات؟

– التقى برنهارد في أوسكجوليد.

– لمرة واحدة؟ سأل كونراد وتذكَّر ما أخبَره إياه إنغڤار عن الجِيب الضخم بجانب الخزّانات.

– لا، مرتين. ولأن برنهارد ميكانيكيٌ فقد استخدَم بعض المال الذي كسبناه ليشتري باحة خردواته، وكان ينوي بيعها بسرعة ليجهِّز مرأباً، ويحقِّق أحلاماً أخرى أكبر حتى. عملية التهريب الكبيرة الأولى أكسبتنا الكثير، فقد ساعَدنا أخي على بيع الكمية بفعل معارفه في سوق المخدرات، وظنَّ أن برنهارد هو شريكي الوحيد، ولم أخبَره عن سيغورڤن أبداً. على كل حال، ساءت الأمور لدرجة أننا لم نعد نستطيع أن نتحدّث مع سيغورڤن دون أن يصيح بنا، وأراد برنهارد أن يحاول إصلاح كل شيء، لذا رتَّب لقاءً معه على التلة، ونجح في إقناعه بأن يرافقه إلى باحة الخردوات حيث كنتُ أتوقعه بهدف إيجاد أرضية مشتَركة، لكننا تشاجَرنا شجاراً عنيفاً فوراً، وهدَّد أن يتصل بالشرطة ويبلِّغ عنا، وقال إنه لا يمكننا أبداً إثبات أنه شريكنا، وكان محقّاً، فقد حرصنا دائماً على عدم ذِكرْ إسمه أبداً.

– مَن منكما ضربه على رأسه؟

لم يُجب لوكاس فوراً.

– سيكون من السهل اتّهام برنهارد نظراً للحالة.

– بالطبع، وافَقه كونراد الرأي. إذا كان بإمكان ذلك أن يساعدك.

– لطالما تساءلتُ ماذا سأقول للشرطة إذا اعتُقلنا، وقلتُ لنفسي إنني قد أنال حكما مخفَّفاً إذا اتّهمتُه. وأسهل طريقة اليوم هي القول إنه هو، لكنني سئمتُ من كل تلك الكذبات. أنا مَن ضربه. ومرتين.

– بماذا؟

– شيء وجَدتُه على رف في باحة الخردوات.

– ما كان ذلك الشيء؟

– رافعة. كان سيغورڤن يهمّ بالرحيل، وقد جُنّ جنوني، حيث كنتُ... ثملاً، كما أنني كنتُ قد تعاطيتُ بعض المخدرات، وشعرتُ بحنق شديد.

– هل مات فوراً؟

– نعم. لم أكن أريد فعل ذلك. لم أكن أريد قتله، بل أردتُ فقط إيقافه. لك الحرية في أن تصدِّقني أم لا، لكنني لم أكن أريد أن تصل الأمور إلى ذلك الحدّ.

– حسناً، لكنك ومع ذلك ضربته مرتين، علَّق كونراد. وبقوة، لذا كانت نيّتك واضحة جداً.

– نعم، وافَقه لوكاس الرأي. لقد... تماديتُ كثيراً. كنتُ... كنتُ...

– وأين الرافعة؟

– أنا... اهتمّ برنهارد بأمرها... أظن، فأنا لم أسأله أبداً.

– هل بقيتَما تهرِّبان المخدرات بعد ذلك؟

– لا أبداً.

– وهجالتلين؟ ألم يزعجك ما اضطر أن يتحمّله؟

– نعم، أزعجني، لكن ما باليد حيلة. لم نكن موضع شبهة، ولم نذهب إلى الشرطة، ومرَّ الوقت ولم يتوجَّه التحقيق نحونا. كنتم تستكشفون مسارات أخرى وهجالتلين لم يُدَن أبداً. ثم أُغلقت القضية، إلى أن عُثر على الجثة على المُجلَّدة.

– لماذا أخذتماه إلى هناك؟

– إنها فكرة برنهارد. أراد إخفاء الجثة، وكان قد ذهب إلى تلك المُجلَّدة قبل ذلك بأسبوع، لذا فهو المكان الوحيد الذي خطر بباله. وحتى لو بدا تصرّفنا حماقةً كبيرةً، إلا أننا نجَحنا كل تلك السنوات. لقد عرَفنا أن علينا أن نصعد إلى مستوى عالٍ بما في الكفاية إذا أردنا ألا يُعثر عليه. فعلنا ذلك بعد يومين، وقد علقنا في عاصفة شنيعة، واضطررنا أن ننزل للاحتماء منها، ثم لم نستطع إيجاد المكان الذي خبأناه فيه، وحلَّ الليل، واستمرّت تلك العاصفة... كنا قد خطَّطنا أن نرميه في صَدع، وبالتالي سيبرِّر السقوط إصابات رأسه في حال عُثر عليه...

– هل أخذتما مفاتيح سيارته؟

– أردنا تصوير الأمر كما لو أنه تاه على المُجلَّدة، لكن عندما تذكَّرنا جِيبه أخيراً، وأردنا قيادته إلى هناك، كنتم قد عثرتم عليه من قبل، ثم اختفى سيغورڤن بالكامل. لو نجحنا في أخذ تلك السيارة إلى المُجلَّدة، لساعدنا ذلك في تفسير اختفائه بشكل أفضل قليلاً حيث عرَفنا أنكم ستمشِّطون المُجلَّدة بشكل دقيق لو عُثر على المركبة هناك، وقلنا إنه من المستحيل عليكم العثور على الجثة لأننا أردنا وضع الجِيب في مكان يمنع حصول ذلك. كانت فكرة برنهارد أن نجعلكم تصدِّقون أن سيغورڤن مات جرّاء سقوطه في صَدع، فقد شارك في عمليات بحث كثيرة في أحوال مناخية متنوعة وقال إن هذا هو أفضل حل.

هزَّ لوكاس كتفيه مُحبَطاً، وتابَع النهر تدفّقه عند قدميهما، وشَعَر كونراد كما لو أنه يحسّ بطاقة المُجلَّدة خلف هديره. اقترب الشرطيان.

– ثم بدأنا نتكلَّم عن ظاهرة الاحتباس الحراري ونقول إن الجليد ينحسر في كل أنحاء العالم. وبعد أن أصبح المزيد والمزيد من الأشخاص يذهبون إلى لانغيوكل، عرفنا أنه سيتم العثور على جثة سيغورڤن عاجلاً أم آجلاً، لذا ذهَبنا إلى هناك لمحاولة إيجاده قبل الآخرين، لكننا لم ننجح، وكنا متأكدين أنه سيتم العثور عليه ذات يوم. لقد عرَفنا ذلك من البداية وهو شعور مُرعِب. انتظار لا يُطاق.

– وماذا فعلتَما بمفاتيح جِيبه؟

– رميتُها. ذهَبتُ إلى أكوام القمامة في خليج غوفونز ورميتُها إلى أبعد مسافة داخلها.

– منقذِون يبحثون عن رجلٍ أخفوه بأنفسهم، علَّق كونراد. وليس لإنقاذه،

بل لإخفائه بشكل أفضل حتى. ألا تجد هذا الأمر كريهاً جداً؟

– يراودني باستمرار في كوابيسي، اعترف لوكاس. والأمر نفسه مع برنهارد...

– هذا ليس...

– أعرف أن ما فعلناه لا يُغتفَر، قال لوكاس وهو ينظر إليه باهتمام. لقد عاش كلانا في أوقات صعبة ولم يتحسَّن الوضع مع الوقت. أعتقد أن برنهارد فهِم ذلك.

– آه كم أُشفِق عليكما، قال كونراد ساخراً وقد سئم من كبت غضبه.

– عفواً؟

فهِم كونراد أن لوكاس نادم على فعلته بقدر ما يحاول أن يبرِّر نفسه، لكنه لا يشعر بأي شفقة، بل يشعر بالغضب فقط لأنه يفكِّر بأولئك الذين ماتوا بسببه، بالذين عانوا بسببه، ولأنهما لم يعترفا بالحقيقة أبداً بل اختبأا في عرينهما، لكن بالأخص لأنه يفكِّر بهجالتلين الذي أصرَّ على براءته دون أن يصدِّقه أحد. لذا كلما استمَع أكثر إلى لوكاس، كلما ازداد غضبه، فأخفَض نظره إلى النهر وقال لنفسه إنه يرغي ويزبد من الداخل مثله، وإنه لم يكن أبداً بهذا القدر من الغضب منذ ذلك اليوم البعيد الذي تجادَل فيه مع أبيه للمرة الأخيرة. والعداء الذي شَعَر به تجاه لوكاس سرعان ما همَس له في أذنه أنه من السهل جداً دفعه إلى الماء.

– لم تكترث أبداً لهجالتلين، أليس كذلك؟ سأل وهو ينهض ليُنهي حديثهما. لذا فأنت لست نادماً على كل شيء فعلته به؟ سيغورڤن مات ولا يمكنك أن تؤذيه أكثر من ذلك، لكن هجالتلين عانى الأمرَّين بسببك! هل يمكنك أن تتخيَّل ما اضطر أن يتحمَّله ذلك المسكين؟! هل تُدرِك ما فعلته به؟! لقد دمَّرت له حياته بالكامل!!

– نعم، من الواضح أن هذا صحيح... كنا... من الواضح أننا كنا قلِقين...

بدأ لوكاس ينهض، لكنه أصدر أنيناً قبل أن يتسنَّى له أن يُنهي جملته، فقد زُلَّت قدمه أو انزلَقت يده على حجرةٍ، ولم ير كونراد ما الذي حصل بالضبط فقد حصَل بلمح البصر. امتلأت عينا لوكاس بالرعب عندما بدأ ينزلق على الحافة، ومدَّ له كونراد يده لمساعدته فأمسَكها لوكاس، لكن ذلك عرَّضه لخطر أن يسحبه معه إلى أسفل. راحت عيناه تبحثان بيأس عن شيء ليتمسّك به، لكنه أدرَك أن إمساكه تلك اليد لن يكون كافياً.

رأى كونراد في نظرات لوكاس وفي عينيه المحملقتين أنه شَعَر أن ذراعه لن تكون كافية لمساعدته، وأنه لا يمكنه أن يتمسّك بها بإحكامٍ كافٍ، ثم أطلقَ صرخة خوف.

وَقَع في النهر، وجرفه التيار بعيداً فوراً، وراح يدوِّره في كل الاتجاهات. اختفى، ثم ارتفع إلى السطح، ثم اختفى مرة أخرى. لم ير لوكاس شيئاً في الماء الموحِل وقد شلَّه برد المُجلِّدة، فراح يصرخ يأساً، وامتلأت رئتاه بالماء، ثم عاود الظهور على السطح عند أسفل الصخرة الهائلة التي تعلوها شجرة الشوح.

اختفى مرة أخرى، ثم رماه التيار على الصخرة فلوَّح ذراعيه وتمكَّن من أن يتمسّك بها تحت الماء، لكنها سرعان ما أفلتت منه، وراح يتلمَّس بحثاً عن مكان يتعلَّق به وقد فَقَد كل إحساس بالاتجاه الصحيح وبالجاذبية في هذا التيار الذي يقسو عليه. عاود الظهور مرة أخرى ونجح في التمسّك بصخرة أخرى للحظات قليلة، لكنها أفلتت منه فوراً، فقد أصبحت أصابعه خدِرة، ثم عاد ونجح في أن يتمسَّك بصخرة أخرى ويوقف اندفاعه حيث ثبَّته التيار على جدار الصخرة الكبيرة، وأدرَك عند رؤيته شجرة الشوح المتدلية أنه وَصَل إلى وسط النهر.

بدأ التيار يهدِّده بسحبه بشكل دائم هذه المرة، لذا تشبَّث بالصخرة يائساً، ونجح بأن يدفع نفسه بعيداً عن طاقته الجبّارة. بقي ينتظر هناك، وأصابعه خَدِرة وتنزف، ورأسه في الهواء الطلق يطرطشه الماء باستمرار، على أمل أن يتمكن أحدهم من إنقاذه، ولم يتجرّأ أن يتحرَّك خوفاً من أن تفلت قبضته ويقع في الدوَّامة مرة أخرى، لذا حضنَ الصخرة وحاوَل أن يكوِّر نفسه قدر المستطاع.

راقَب كونراد صراعه من الحافة وهو مُقتنِع أنه ليس هناك سوى مخرج واحد ممكن فقط. افترَض أن البرد شلَّ أصابعه، وبقي يراقبه إلى أن أفلتت قبضته عن الصخرة، وجرفه النهر بعيداً مرة أخرى، ثم اختفى تحت الماء ولم يظهر.

عملية البحث الواسعة التي أُجريت على ضفاف أولفوسا ومصبِّه دامت عدة أيام، ولم يُعثَر على جثة لوكاس أبداً، وافترض الجميع أنها قُذفت إلى البحر.

زار كونراد أخت سيغورڤن، وأخبرته أنها لا تعرف الرجلين اللذين قتلا أخاها، وشرَحت لها مارتا أنه تشاجَر معهما بسبب المخدرات وأن الأمور تفاقمت بينهم. لم تكن تعلم أنه متورِّط في هذا النوع من الاتجار، وحزنت لانخراطه في هذا الطريق ذي العواقب الكارثية. أمضى كونراد وقتاً طويلاً معها، وفهِم أنها تشعر بالراحة أخيراً لحصولها على أجوبة عن الأسئلة التي بقيت تراودها لسنوات، حتى ولو تبيَّن أن تلك الأجوبة فظيعة. وبينما همَّ بالرحيل، عانَقته وشكرته على إصراره لكشف الحقيقة.

جُنَّ جنون الصحافة بعد حلّ هذه القضية التي تعود إلى ثلاثين سنة والتي احتلّت العناوين الرئيسية، وعندما هدأت الأمور قليلاً، زارت هيرديس كونراد مرة أخرى بنفس التحفّظ كما الليلة الأولى التي أتت فيها لتتكلّم عن أخيها ڤيلي. جلسا في غرفة الجلوس، وقدَّم لها بعض الشراب مفترِضاً أنها بحاجة إلى ذلك، لكنها شَكَرته بتهذيب: لا تشعر برغبة باحتساء الشراب.

– إنني أحاول تقليل استهلاكي، أضافت بنبرة حزن.

– هذا شيء جيد، رَدَّ كونراد ولم يصبّ لنفسه كوب شراب العنب الأحمر الذي كان يريده.

– لا أعرف. المستقبل سيُخبِرنا.

أخبَرها عن هجالتلين، ذاك الرجل البريء الذي أمضى حياته كلها متألماً، ومتَّهماً بجريمة قتل لم يرتكبها. وحقيقة أن ذلك الرجل لم يعترف فوراً بالحقيقة كلها سبَّبت له ضرراً كبيراً، وكان متأكداً أنه لو أخبَر الشرطة كل شيء فسيكون كمن يحفر قبره بيده، وسيجرّ معه أيضاً المرأة التي أراد دائماً حمايتها.

– وڤيلي؟ سألت هيرديس.

– لعِب دوراً مهماً في حلّ هذه القضية.
– لكن ذلك كلّفه حياته.
– بالفعل، وافَقها كونراد الرأي.
– وبرنهارد ذاك، هل...
لم تستطع هيرديس إيجاد الكلمات.
– بقيت حاله سيئة بسبب ما فعله لڤيلي، رَدَّ كونراد. حياةٌ أخرى أُهدرت هباءً. كان مسؤولاً بشكل غير مباشر فقط عن موت سيغورڤن، وبالنسبة له، الحل الوحيد كان بقتل أخيك. السر الذي كان يحمله جَعَله عصبياً ومُصاباً بجنون الارتياب، وقد انتهى به أن قاده إلى الموت.
– آسفة، لكن لا يمكنني أن أُشفق عليه.
– أعرف أن هذا لا يشكِّل عزاءً كبيراً، لكن لو لم يكن ڤيلي هناك، لما نجح هذا التحقيق أبداً.
– هذا لا يساعدني حقاً.
– قد يحصل ذلك مع الوقت.
هزَّت هيرديس رأسها.
– كل هذا مجرد فوضى فظيعة.
– ربما كان من الأفضل ألا أجلس بجانبه، قال كونراد بتمعّن. كان عليَّ أن أُبعده عن تلك الحافة فوراً، لكنني لم أرغب أن أستعجله، وخشيتُ أن...
سكت قليلاً.
– لا أدري، تابَع. قال لوكاس إنه يعرف ذلك النهر وتلك الصخور جيداً، ووعَدني أنه لن يفعل أي شيء غبي، وأضاف أن أولفوسا يُرعبه. ما حصل كان حادثاً، وقد قال الشرطيان اللذان رافقاني أنهما رأياه أيضاً ينهض وينقلب فجأة فوق الحافة، ولا يوجد أي دليل أنه فعل ذلك عن قصد، عِلماً أن صديقتي الشرطية مارتا تلومني باستمرار على ما حصل، وهي حانقة مني، والأرجح أنها تفضِّل لو أنني غرقتُ معه أيضاً.
بقيا صامتين لفترة طويلة وهما مستغرقان في التفكير.
– تم اتهام هجالتلين خطأً منذ البداية، قال كونراد بمرارة. وكنتُ أتمنى لو شهِد

نهاية هذه القصة ليعرف أنه تمت تبرئته أخيراً من أي شبهة، لكن فات الأوان. لقد كان يُخبرنا الحقيقة كل تلك السنوات ولم نصدِّقه. لم يصدِّقه أحد. لا يمكنني التوقف عن التفكير عن شعور ذلك المسكين طوال ذلك الوقت، طوال تلك السنوات التي أمضاها يدّعي براءته دون أن يُنصت له أحد. فكَّرتُ كثيراً بالدور الذي لعِبتُه في كل ذلك، بطريقة تصرّفي معه، وحتى في لحظاته الأخيرة عندما أصبح مريضاً جداً. أُخبِر نفسي أن النظام خرج عن السكة الصحيحة، وأننا جميعاً خرجنا عن السكة الصحيحة.

– لم يكن بإمكانك أن تعرف، رَدَّت هيرديس.

– ربما، لكن المشكلة أنه كان علينا أن نعرف. كان علينا أن نؤدّي عملنا بشكل أفضل. كان يُفترَض بنا أن نعرف فحسب.

بعد رحيل هيرديس، أمضى كونراد بعض الوقت جالساً في غرفة جلوسه يفكِّر بلوكاس وهجالتلين، ويفكِّر كيف أنه كان عليه أن يُدير التحقيق بعد أن أصبح يعرف الآن ما الذي حصل. كسر رنين الهاتف الصمت، فنظَرَ إلى الوقت ووجد أنه منتصف الليل تقريباً، وقدَّر أن مارتا احتست بعض أكواب الشراب وتحتاج إلى مَن يُصغي لها، لكن تبيَّن أنه مخطئ: إنها آيغلو.

– اعذرني على اتصالي بك في هذا الوقت المتأخر. هل أُزعجك؟

– على الإطلاق، طمأنها.

– فكَّرتُ بما تكلَّمنا عنه ذلك اليوم وبأن والدَينا ربما التقيا مرة أخرى. هل ستحاول توضيح هذه الفكرة؟

– لا أعرف، ولا أرى حقاً كيف يمكنني أن أفعل ذلك. هل تعتقدين أنه عليَّ أن أفعل ذلك؟

ساد صمتٌ.

– هل تعتقد حقاً أنهما عادا ليعملا معاً؟ سألت آيغلو. هل تعتقد أنه يمكنك العثور على أي دليل على ذلك؟

– أعرف أنهما تعرَّفا على بعضهما خلال الحرب عندما كانا عضوين في مجتمع محضِّري الأرواح ذاك، ورحتُ أتساءل بعد محادثتنا إن كان لا يزال أعضاء آخرون

من تلك الدائرة أحياء اليوم. ربما يمكنهم أن يُخبرونا إن اجتمعا مرة أخرى، لكنني لا أظن أن لوفاتهما أي علاقة بذلك، فأنا لا أجد السبب.

– ربما علينا وضع خاتمة لهذه القصة، اقترَحت آيغلو. ومع ذلك... لا يمكنني التوقف عن التفكير بها... منذ أن...

– أفهمُك.

– هل ستُبلغني إن قرَّرتَ إجراء بعض الأبحاث؟ إن وجدتَ شيئاً؟

– نعم.

– هل تعِدُني؟

– بالتأكيد.

– اعذرني على إزعاجك في هذا الوقت المتأخر، كرَّرت. ما كان يجب أن أتصل بك، فهذا ليس مجالك الطبيعي.

– لا تقلقي، رَدَّ كونراد.

– هل من سوء؟

– كل شيء على ما يرام، ولا توجد أي مشكلة.

– هل أنت متأكد؟ ماذا حصل عند ضفة النهر؟ سألت آيغلو.

– كان حادثاً. سقط الرجل في النهر.

– كان شيئاً آخر.

– لا، كان مجرد حادث.

– حسناً، الأمر متروك لك، ردَّت آيغلو، واستأذنته، وأغلقت الخط.

راح كونراد يمسِّد ذراعه المريضة وهو يفكِّر بما قالته له آيغلو للتو، واستحضر في ذهنه شريط الأحداث التي وقعت. لقد بقي يجهد في إبعاد تلك الأفكار البغيضة عن ذهنه، لكنها تعود إليه دون سابق إنذار ولأتفه الأسباب. آيغلو محقّة، بغض النظر عن كيفية فهمها أنه يعاني من خطب ما خلال حديثهما القصير، فهو قد شَعَر بالندم أثناء مراقبته المنقذِين يبحثون عن ذلك الرجل الذي سقط في النهر، ثم بدأ شعور الذنب يراوده شيئاً فشيئاً.

مرَّت الأيام، واشتعلت الصحافة، ولم يشكِّك أحدٌ في التفسيرات التي قدَّمها، أو في إفادة الشرطيين أو الأشخاص الذين كانوا على الضفة الأخرى. كلهم رأوا لوكاس ينزلق، كما رأوا كونراد يبذل ما بوسعه لينقذه مخاطراً بنفسه بالسقوط في أولفوسا. لم تأخذ السلطات القضائية أي إجراء بحقه، وقد رآه الشهود يتصرَّف بطريقة عادية تماماً في تلك الحالة المأساوية، حيث مدَّ كونراد يده إلى ذلك الرجل.

لكنه في وضع أفضل من أي شخص آخر ليعرف أنه مدَّ له ذراعه المريضة، وأن ذلك لم يكن كافياً لإنقاذه. سيُدفَن هذا السر في الليل أيضاً.

لم يكن قادراً على النوم، لذا بقي يمسِّد تلك الذراع حتى ساعات الصباح الأولى دون أن يتوقف عن التقلب على سريره. ثم ثبَّت عينيه على السقف وراح يفكِّر بثيلي الممدَّد على الرصيف، بجريمة قتل أبيه أمام المسالخ، بمخاوف أمه، بأنين پولي عند أعلى تلة سكولافوردهولت، بأنغيلبرت العرّاف وابنته آيغلو، بجثة برنهارد المتدلية من رفٍ، بنظرات لوكاس المتفاجئة عندما أمسَك ذراعه، وبتعبير الألم الذي لا يمكن فهمه على وجهه عندما رأى الموت وجهاً لوجه.

تذكَّر زيارته هجالتلين مرة أخرى في السجن، وعينيه الزرقاوين الفاتحتين اللتين نظَرَتا إليه مثل واحتين في صحراء وجهه الذي دمّره المرض. إذا عثرتَ عليه، قال له هجالتلين قبل أن يفترقا، تأكد أن تجعله يندم على فعلته. هل تعِدُني بذلك؟ دبِّر الأمر بحيث تجعله يندم على الأذى الذي ألحقه بي.

ثم حلّ عليه الهدوء حالما استقرّت أفكاره على إرنا. وعلى غرار الأحيان الكثيرة التي لا يكون فيها بخير ويفتقدها كثيراً، ملأت النغمات الشجية والمهدئة للأعصاب لأغنية *الربيع في ڤاغلاسكوغور* ذهنه، ودخلَ في حالة نوم بلا أحلام وهو يفكّر بالرمال الحريرية لخليج ناوثولسفيك، بالأولاد يلعبون على الشاطئ، وبالطعم المثمِل لقبلةٍ عابقةٍ برائحة الزهور.

استعاد ڤيلي وعيه، وبدا له أن شخصاً يقترب منه ببطء شديد، فقد سمِع فرقعة الثلج تحت قدميه، ثم شَعَر بلهاث أنفاسه عليه. فتَح عينيه جزئياً، لكنه لم ير أحداً بل كانت هناك العاصفة فقط، ومع ذلك فقد شَعَر أن هناك شخصاً قريباً جداً منه، وأنه ليس لوحده، وهذا طمأنه.

استعاد وعيه مرة أخرى بعد لحظات، ورأى شكلاً يركع بجانبه، ثم امتدّت يدٌ دافئةٌ وأمسكت يده الجليدية، وراحت يدٌ أخرى تمسِّد جبهته بلطف لتدفئتها.

لم يعرف مَن هو ذلك الشخص، وغمره هدوءٌ مطمئنٌ، وشَعَر بالراحة من أنه ليس لوحده، ومن أن شخصاً بجانب سريره الجليدي.

عندما استعاد وعيه للمرة الثالثة، رأى في خضم الرياح العاتية المظلمة أنها العجوزة التي تعيش في شارعه. همَست له بعض كلمات المواساة، وأخبَر نفسه أن كل شيء سيكون على ما يرام بما أنها هناك لتسهر عليه. حاوَل أن يُخبرها عن الرجل الذي دهسه، أن يُخبرها أنه تسنَّى له أن يراه بلمحة سريعة خلف مِقوَد جِيبه، أن يُخبرها أنه تحدَّث معه في المقصف، وأنه الرجل الذي رآه ذات يوم على تلة أوسكجوليد.

– أشعر... أشعر بالبرد، همَس.

أراحت العجوزة رأسه على رُكبَتيها.

– يلا ينام، يلا ينام، قالت له.

خارت قواه تماماً وهو يسمع العجوزة تغني له تلك الأغنية القديمة من بعيد.

ثم ساد الصمت.

– يا صغيري، همَست، يا صغيري المسكين...

مكتبة | سُر مَن قرأ
t.me/soramnqraa

السياحة مزدهرة كثيراً هذه الأيام في أيسلندا بفعل انحسار المُجلّدات ببطء نتيجة ظاهرة الاحتباس الحراري. تعثر مجموعة من السيّاح بالصدفة على جثة رجل أعمال مفقود منذ ثلاثين سنة على مُجلّدة لانغيوكل، فيُعاد إلقاء القبض على شريكه من تلك الفترة. ويضطر الشرطي المتقاعد كونراد أن يستأنف على مضض تحقيقاً لطالما أثقل كاهل ضميره، خاصة أنه كان قد تم تخريبه جزئياً بسبب إهمال شرطي لا يزال في الخدمة. فقط عندما اعتقد أنه سيتمكن من أن يعيش بسلام حزنه على وفاة زوجته مؤخراً، يجد كونراد نفسه ملزماً أن يستأنف أبحاثه رغم المصاعب الكبيرة والكراهية التي تحيط تلك القضية. فقط شهادة امرأة تأتي لتخبره قصة مقتل شقيقها على يد سائق مجهول وتوسّلها إليه أن يكتشف ما حدث له يمكن أن يساعده في المضي قدماً...

telegram @soramnqraa

صدر أيضاً للمؤلف:

ISBN: 978-9948-471-10-3
9 789948 471103
ثقافة THAQAFA
للنشر والتوزيع ذ.م.م
Publishing & Distribution L.L.C.
نيل وفرات كوم
جميع كتبنا متوفرة على الانترنت في مكتبة نيل وفرات كوم
www.nwf.com